1948

جيش التّحرير المغاربي

1948 — 1955

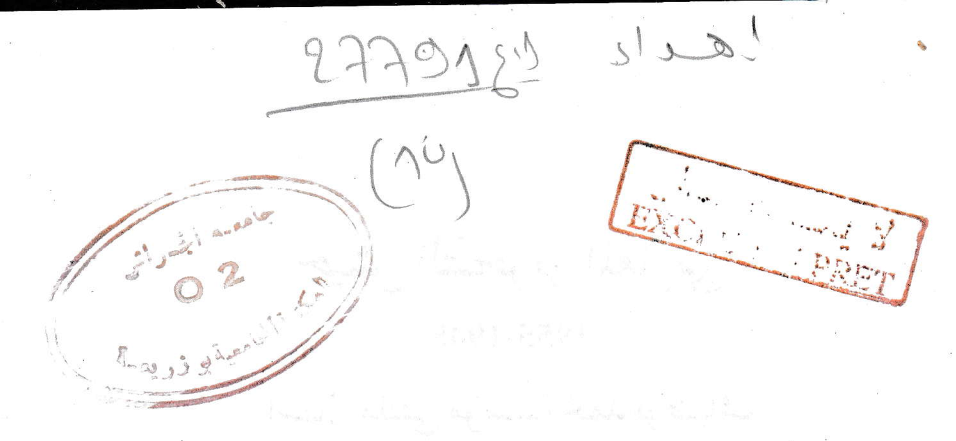
أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف
الجزائر 11 - 12 ماي 2001

تحت إشراف دحو جربال



1955

مؤسسة محمد بوضياف



جيش التّحرير المغاربي

1955-1948

جيش التّحرير المغاربي

1955-1948

أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف

الجزائر 11-12 ماي 2001

تحت إشراف دحو جربال

نقل وترجمة من الفرنسية إلى العربية
عفاف زقور

ترجمة من الفرنسية إلى العربية
لحسن عيساني

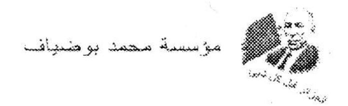
ترجمة من الأمازغية إلى الفرنسية
كهينة نايت عبد اللّه

أمانة النّشر بالعربية
عفاف زقور

تصميم وإخراج بالعربية
عبد القادر سماتي

أمانة النّشر بالفرنسية
تصميم وغلاف
زهية تزايرت - يبال

الإيداع القانوني: 2004-530
ISBN 9947-0-0358-2



جيش التّحرير المغاربي

1955-1948

أعمال ملتقى مؤسسة محمد بوضياف

الجزائر 11-12 ماي 2001

تحت إشراف دحو جربال

الفهـــــرس

حول المشروع:
مسألة طرق ووسائل التّحرير المغاربي

معتدلون وجذريون
من أجل التّحرير المغاربي

الدّاخل-الخارج، المثقّفون-الجذريون
مسألة اتجاه الكفاح المسلّح

تنسيق الكفاح المسلّح ميدانيا.
الفاعلون والممثلون

المقدمة

دحو جربال*

الروابط المنسوجة منذ بداية القرن بين وطنيي المغرب الأقصى، و الوطنيين الدستوريين، و كذلك وطنيي نجم شمال افريقيا من جهة، و بين علماء الحركة الإصلاحية المعاصرة من جهة أخرى، تركت آثارا في الذّاكرة وامتدّت إلى الطلبة المنضمّين إلى جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا[1] وإلى جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا بفرنسا، وكذا مناضلي التنظيمات النقابية المرتبطين ارتباطا ما بالتّعاليم الماركسية، والدّاعين إلى معركة مشتركة ومتضامنة، ولكن:

هل وجد نسيج للرّوابط بين أنصار الكفاح المسلّح للتحرير المغاربي؟

كما هو معلوم، التقى خلال سنوات الثلاثينيات كل من محمد حسن الوزاني، واحمد بلفرج، ومحمد علال الفاسي، والشادلي خير الله، واحمد بن ميلاد، والحبيب بورقيبة، بقادة نجم شمال إفريقيا للتّشاور معهم حول الخطة العامة للحركة إزّاء سلطة السياسة الإستعمارية.

---

* جامعة الجزائر ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، دائرة التاريخ

ومعلوم كذلك، أنّ الوطنيين من المغرب، والجزائر، وتونس تواجدوا بالقاهرة بعد الحرب العالمية الثانية، لمساندة أوّل مؤتمر للمغرب العربي (15–22 فيفري1947)، و تولّد عن هذا اللّقاء مكتب المغرب العربي، الذي سيكون من ضمن مهامه تنسيق العمل السياسي لمختلف الأحزاب الوطنية المغاربية.

كان الإتجاه الرّادكالي الدّاعي للّجوء للكفاح المسلّح مهمّا في العاصمة المصرية، فبعد سنة واحدة، تكوّنت في جانفي 1948 لجنة تحرير المغرب العربي برعاية الأمير عبد الكريم الخطابي، وأصبحت المسألة الرئيسية هي التنسيق بين مختلف الأحزاب الوطنية المغاربية؛ لإعلان الكفاح المسلّح في كل شمال إفريقيا، و وُقّع في تاريخ 29 ماي 1954 بالقاهرة على ميثاق لإتحاد كومندو شمال إفرقيا، وقد سبقه اتفاق سري أبرم في 1951 ما بين ممثلي كل من حزب الإستقلال، وحزب الدستور الجديد، وحركة الإنتصار للحريات الديموقراطية.

بحث موجهو حزب الشعب - حركة الإنتصار للحريات الديموقراطية وخاصة المنظّمة الخاصة عن دعم للتموين وشبكات لتمرير الأسلحة في بداية الخمسينيات، ووجدوا مبتغاهم بالقرب من ثوّار جنوب تونس، وليس من الصدفة أن يلقّب أوائل رجال المقاومة الجزائرية من طرف الفرنسيين بـ: *الفلاقة*.

هذا التقارب ما بين المناضلين الوطنيين لكل من الأوراس، والنمامشة، و واد سوف، والمتعاطفين مع صالح بن يوسف في جنوب تونس يتجاوز المفهوم الدلالي والجغرافي المحدود.

تحقّق في سنة 1951 رابط آخر، حين أرسلت إدارة حركة الإنتصار للحريات الديموقراطية مسؤولي المنظّمة الخاصة إلى القاهرة للإفلات من

الإعتقال، حيث شكّلوا أوّل وفد خارجي للحزب بالمشرق، و الذي ضمّ كل من آيت احمد، ومحمد خيدر، واحمد بن بلة. كما أنّ ممثلي النّهج الثوري سيعيشون سنوات مهمّة من التقارب المباشر مع لجنة تحرير المغرب العربي. وهنا بالذّات أقيمت بوساطة أحمد بن بلّة بصورة خاصة تحالفات وضعت محور مغرب - مشرق في قطب ظاهر بالعاصمة المصرية.

تبلور على واقع العمل المسلّح تحالف عملي منذ 1954 وحتى قبل هذا التاريخ، الأمرالذي جسّد على الأرجح شكلا من أشكال إتحاد كومندو شمال إفريقيا، و تمّ الاتفاق المبدئي في تاريخ 29 ماي 1954 بالقاهرة.

هناك وقائع وشهادات تدعّم هذه الفرضية، لكن تبقى نادرة، وجزئية، ومقتضبة. وعلى سبيل المثال، كما هو معلوم، منذ الشهور الأولى للثورة في جنوب تونس، ساعد جيش التحرير الوطني الجزائري لزهر شريّط، وطاهر لسود على تنظيم وحدات جيش التحرير التونسي[2]. كما أنّ أنصار صالح بن يوسف ساعدوا مباشرة الجنود الجزائريين. كل شيء يؤكّد بأنّ تحالف وحدات جيش التحرير الوطني الجزائري، وجيش التحرير التونسي، يُسجّل واقعيا في إطار مشروع ثورة عامة بشمال إفريقيا.

تأكدت هذه الفرضية، في المنطقة الخامسة بالغرب الجزائري (عمالة وهران)، وتحت قيادة بن مهيدي الذي وضع مراكزه بالنّاظور بالرّيف المغربي، حيث توجد معسكرات جيش التّحرير المغربي، أعطى مجانًا العقيد بن ميلودي أحد قادة هذا الجيش للمقاومين الجزائريين معسكر خميسات[3]

الذي أحيا فيه كل من أبركان والدكتور الخطيب مشاريع جيش تحرير شمال إفريقيا؛ لتحقيق الغاية المنشودة من إتّحاد مغاربي مؤسّس على تحالف سياسي بين كلّ من حزب الإستقلال، وحركة الإنتصار للحريات الديموقراطية، وحزب الدّستور الجديد، إذ حلّت محلّه ميدانيا وحدة مغاربية أخرى ترتكز على إتصال جيوش تحرير الدّول المغاربية الثلاث: جيش

التحرير المغربي، وجيش التحرير الوطني الجزائري، وجيش التحرير التونسي. في مواجهة الحل السياسي المفاوض والحريص على استقلال مرحلي للمغرب ودائر في فلك الغرب. إذن وقع إختيار بديل لتحقيق الإستقلال عن طريق العمل المسلّح لتشييد مغرب عربي مرتبط ارتباطا وثيقا بالمشرق.

حول هذه المساعى الإتحادية بين القوى السياسية للتّحرير المغاربي، نظّمت مؤسسة محمد بوضياف في ربيع 2001 ملتقى للدّراسة، والتأمّل، والشهادة حول الأحداث التاريخية القريبة العهد لمنطقتنا ومعرفتنا المشوَهة لها.

و دعت المؤسسة ليس المؤرخين فحسب، إنّما الفاعلين، وشهود هذه المرحلة كي يرجعوا للذاكرة الأعمال التي سخّروا حياتهم النّضالية من أجلها لضمان تحقيق الوحدة المغاربية.

ونظرا لأهمية مساهمات المؤرّخين، الشهود، والفاعلين لهذا الحدث الأساسي الذي لم يقدّر حق قدره في تاريخنا، قرّرت مؤسسة محمد بوضياف نشر أعمال هذا الملتقى.*

1- جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا أنشأت في 1919 بالجزائر، وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا أسّست في 1927 بباريس.

2- شهادة أحمد محساس الممثل السياسي- العسكري لجبهة التحرير الوطني لدى السلطات التونسية 1955-1956.

3-Ali Haroun. La 7éme wilaya. .La guerre du F.L.N. en France. Paris, Le Seuil, 1986. p.42

* الشهود والفاعلون أنفسهم والمؤرخون هم وحدهم المسؤولون عن الآراء الواردة في عروضهم.

التحرير المغربي، وجيش التحرير الوطني الجزائري، وجيش التحرير التونسي. في مواجهة الحل السياسي المفاوض والحريص على استقلال مرحلي للمغرب ودائر في فلك الغرب. إذن وقع إختيار بديل لتحقيق الإستقلال عن طريق العمل المسلّح لتشييد مغرب عربي مرتبط ارتباطا وثيقا بالمشرق.

حول هذه المساعى الإتحادية بين القوى السياسية للتّحرير المغاربي، نظّمت مؤسسة محمد بوضياف في ربيع 2001 ملتقى للدّراسة، والتأمّل، والشهادة حول الأحداث التاريخية القريبة العهد لمنطقتنا ومعرفتنا المشوَهة لها.

و دعت المؤسسة ليس المؤرخين فحسب، إنّما الفاعلين، وشهود هذه المرحلة كي يرجعوا للذاكرة الأعمال التي سخّروا حياتهم النّضالية من أجلها لضمان تحقيق الوحدة المغاربية.

ونظرا لأهمية مساهمات المؤرّخين، الشهود، والفاعلين لهذا الحدث الأساسي الذي لم يقدّرحق قدره في تاريخنا، قرّرت مؤسسة محمد بوضياف نشر أعمال هذا الملتقى.*

1- جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريفيا أنشأت في 1919 بالجزائر، وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا أسّست في 1927 بباريس.

2- شهادة أحمد محساس الممثل السياسي- العسكري لجبهة التحرير الوطني لدى السلطات التونسية 1955-1956.

3-Ali Haroun. La 7^{éme} wilaya. .La guerre du F.L.N. en France. Paris, Le Seuil, 1986. p.42

* الشهود والفاعلون أنفسهم والمؤرخون هم وحدهم المسؤولون عن الآراء الواردة في عروضهم.

حول المشروع :
مسألة طرق ووسائل التّحرير المغاربي

مؤسسة محمد بوضياف

جذور التّنسيــق

شهادة مؤسّس[1]

عبد السلام الهاشمي الطود *

السّيدة الفاضلة، السّادة الإخوان، سيّداتي، الأساتذة الباحثين، مناضلين، مجاهدين، تحياتي لكم من إخوانكم في المغرب الأقصى، الّذي هو جزء من هذه الحركة التي نتمنى أن يستمر البحث فيها لخلقها حقيقة؛ لأنّها مع الأسف أهملت، وكثير من الرجال الذين شاركوا في هذا العمل عاش وجنّ، و يوجد من مات بعدما ضحى و أعطى أشياء كثيرة، ولكن نرى من عاش وسَلِم و استحلى النوم و الحياة بنعيمها وأضوائها، اسمحوا لي سوف أدخل بهذا المدخل، كوننا تألّمنا كثيرا وعانينا كثيرا خلال أربعين سنة بعد لا أقل الإستقلال الّذي لم نحقّق فيه شيء، لم أكن أريد أن أبدأ من هنا لكن تأثّرت بكلام الإخوان، وخاصة الأخ الذي أشار إلى نقص الأدلجة في ثورات شمال إفريقيا أي خلق عقيدة حقّة.

أنا أبدأ كلامي عن الثورات، عن ثورة لويس كارلس بريستن Luis Carlos Bristin في البرازيل، و ماو في الصين، وشودا، أنا رأيت شودا رجل بدأ في سن الواحدة والعشرون كثائر برتبة ملازم لم يَرْتدّ أبدا لكونه ثوريا حقيقيا، و قطع ثمانين ألف كلم إلى أن دخل بكين في1949، و أين نحن مما وصلت

إليه الصين، و في الحقيقة الثورة ثورة، و لكن أين وصلنا؟ قالوا لنا أين وصلتم؟ يعني لا شيء.

أريد أن أبدأ بهذا المدخل على كل حال ، كل واحد منّا عاش هذه المرحلة الإخوان السياسيين، الإخوان الذين حاربوا، وكل المجاهدين، و لكن أولادنا، أنا عندي سبعة أولاد كلهم لا يعرفون شيئا عن الثورة. يعني الآن كلمة "الشراكة" أصبحت أحسن من الوحدة، و حدتنا، ماهي الشراكة؟ هي الشركة، لّما كنّا نقول الوحدة، وحدة مغربنا، يوجد بيننا من حارب هذه الكلمة، و ما زال يحاربها، و لكن غداً سوف يأتوا ليقبّلوا أرجلنا على كلمة الشراكة، لكي تعلموا و أغلبكم مثقفون و علماء، و فيكم، وفيكم، هل نحن بلداء إلى هذه الدرجة؟ الشيء الذي نريده هو أن نبحث عن حل لأنفسنا يعني نحمي أولادنا.

أنا كنت أتمنى اليوم أن أصل إلى هنا و أقول هذه الكلمة ثم أموت؛ لكي أرتاح لأنّي أدّيت واجبي، الكل يعلم أنّني كنت في لجنة تحرير المغرب وهي واحدة، الأستاذ اليزيد أنت أشرت لذلك، كلّكم يعلم أنّ لجنة تحرير المغرب واحدة لم تكن أبدا متفرقة، لماذا؟ وأعطيكم الإجابة، و أشكر أحد الغائبين و هو الأخ أحمد بن بلة و الذي كان السبب في لجنة التحرير.

في إحدى الفترات عيّنوا الأمير عبد الكريم الخطابي رئيسا، والرجل لم يكن يريد أبدا، قال لهم «أتركوني، أنا عندي عكّاز أمشي به (كان يعاني من عاهة برجله) وتعبت و عمري الآن خمسة وثمانين سنة، إذهبوا أنتم، أنا لست بحاجة إلى رئاسة» ، المهم ترأس لجنة التّحرير الأولى، كانت فيها أحزاب و عندي الأسماء و كل شيء يتعلّق بالتّأسيس الأوّل، و يرجع إليه الفضل و لجماعة الشبّان الذين أسّسوا مكتب المغرب العربي، و أأكّد على كلمة الشبان، و ليس الزعماء الكبار، أنا جئت لأوضّح ولأقول الحقيقة، و لم أجيء لتزييفها ولا لأتكلّم كلاما فارغا.

و أوّل ماتمّ تأسيسه، أسّسه جماعة من الشبان، منهم عبد المجيد بن جلول من المغرب، عبد الكريم غلاب من تونس، رشيد إدريس و عندي القائمة وكلّهم شباب، و لدي صورهم واحداً واحداً إلى أصغرهم و هو عز الدين عزوز، حينئذ كنت طالبا و كنت فرحاً أن يتحقّق كل شيء، وتلك الجماعة تبنّت فكرة تأسيس مكتب المغرب العربي، و مطالبهم موجودة، مطالب جميلة جدا و كلّهم شباب، و الملحوظ أنّهم استبعدوا الزعماء، لماذا؟ كل واحد يتساءل لأنّ هؤلاء الشبّان أدركوا أنّ الزعماء ليس في يدهم شيء، وخلال عدّة سنوات منذ قدومهم إلى القاهرة لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا إلاّ الكلام، و كنّا نقول لهم تعالوا نعمل، ورغم هذا لم يفعلوا شيئا. و عندي صورة تجمعهم كلّهم من بينهم علال الفاسي، الطريس، أستاذي الشيخ المكي الناصري وآخرون.

أنا لا أريد أن أظلم أحدا و لكن هذا هوالتاريخ، يجب أن نتعرى لنرى أوساخنا، والتاريخ يجب أن يُبنى على حقائق كما ذُكر سابقا، وكيف كانت الناس تبني الثورات على حقائق لا على تجميلات برباط العنق والسراويل، يجب أن نزرع الحقيقة في أنفسنا و في أولادنا.

هذه الجماعة أدّت رسالة، تبنّت فكرة الإستقلال، وأنا عشت هذه المرحلة كطالب، وذهبت سنة 1945 بدافع أن أدرس، والدي سجن و عذّب و جلد أمامي، و خرجت من بلدي القصر الكبير إلى القاهرة ماشيا، و استغرقت مشيا ثلاثة أشهر و وأربع وعشرون يوما يا عباد اللّه، و وصلنا.

وأخرجوا هذا الرجل(عبد الكريم الخطّابي)، وحضر بعض الزعماء والبعض لم يحضر واختلفوا في قضية إخراجه من بورسعيد، كل زعيم قال بأنّه هو الذي أخرجه وبأنه هو الذي قال للملك فاروق، وكلّهم تسابقوا في هذا الشأن، دعاهم والتزم هو، هذه حقائق عشتها لأنّي كنت كابنه، و الفضل في حياتي و في تربيتي يرجع إليه، و لم أندم على أي شيء في حياتي، و لكن بالعكس أفتخر بذلك.

ألزم نفسه على أن لا يتكلم في مصر؛ لأنّه كان لاجئا سياسيا، و كان لا يريد أن يلتقي لابالصحافة ولا شيء آخر، و كانت هناك جماعة من المغاربة يزورونه، و لم يكن فرحا بالمعطيات التي كانوا يقدّمونها له، ونحن الصغار لم نكن أيضا فرحين.

عبد الكريم الخطابي جاء إلى القاهرة في ماي 1947 وبقي حتى29 نوفمبر، يوم إعلان التّقسيم في فلسطين، و كل واحد منّا يتذكر هذا اليوم المشؤوم في العالم العربي، وكانت القاهرة تعجّ بالحركات السياسية الماوالماو، والحركات الإفريقية، فيها كل شيء.

جاء عند عبد الكريم الخطابي جماعة منهم الشيخ الأمين الحسيني، وجماعة من القيادات السياسية، و طلبوا منه أن يوجّه نداء للعالم الإسلامي للجهاد في فلسطين، و بدأ يضحك وقال «كلكم تقولون جاهدوا و أنتم»، وبقي يضحك، كان رجلا بسيطا، جد بسيط، «أنتم من تعرفكم شعوبكم، أما نحن فلا يعرفنا أحد»، وقالوا له «بل أنت الذي سوف توجّه هذا النداء»، وباعتباره مجاهدا وجّه هذا النداء، و هذا النداء موجودا ومسجّلا لدى الجامعة العربية في مكتب المغرب العربي، و أنا متأكد أنّه موجود عند الأستاذ رشيد ادريس، وهوضمن الشباب الّذين كانوا يوثّقون، وكان جد حريص على هذه الأشياء.

وأريد أن أختصر، و التاريخ شبيه بالقصة، وأنا لا أتكلم إلاّ بالصورة والحقيقة، الرجل التزم ووجّه النّداء، رغم خشيته في أن يتسبّب في إثارة المشاكل بين مصر وفرنسا، فقال من أجل فلسطين ليس بمشكل، وفي مدة وجيزة حضر إلى القاهرة من المغرب والجزائر وتونس و ليبيا تسعمائة مجاهد متطوع، وكنت أبلغ من العمر آنذاك سبعة عشر سنة ودخلت مع المتطوعين، أنا ورفيقي الشاب في رحلة عام 1947.

لما جئت من القاهرة إلى تونس، أحد أبناء عمي كان يدرس في قسنطينة

بأحد معاهد جمعية العلماء، وتخوّف من الإلتحاق بي في القاهرة، و جئت من مصر بنفس الطريقة التي ذهبت بها ودخلت تونس، وهو تخلّف عني وبقي في قسنطينة، ومضطرّا أخذت معي صديق - و لن أنساه طول حياتي - إسمه محمد إبراهيم بالقاضي وهو جزائري من باتنة، ذهبنا معا مشيا على الأقدام ووصلنا و تطوّعنا معا من أجل فلسطين. وهنا التقيت أحد المجاهدين القدامى سي محمد شريّط، و قال لي بأنّه كان معه في تونس.

و في أيام التدريب بالمعسكر الكبير هيكستيد، جاء إلينا الزعماء بورقيبة، والأمير عبد الكريم لرفع المعنويات و لتشجيعنا، و كان هناك حماس كبير لدى المغاربة في شمال أفريقيا، و قد تلقّينا تدريبا بسيطا، ما بين سبتمبر وديسمبر، وفي أوائل يناير دخلنا، و هذا تحت إشراف الجامعة العربية المسؤولة عن التمويل، ولكن التجميع وكل شيء كان على عاتق مكتب المغرب العربي برئاسة الأمير عبد الكريم الخطابي، و تجمّعت عباد اللّه ودخلت المعسكرات، و من الصور التي بحوزتي هنا صورة مع المرحوم بورقيبة، وصورة مع المرحوم علال الفاسي وكذلك مع المجاهدين الذين ذهبوا إلى فلسطين.

ودخلنا في أوائل يناير تحت قيادة un lieutenant-colonel و اسمه أحمد عبد العزيز و هومتطوع استقال من منصبه في الجيش المصري، و كذلك دخل معنا un lieutenant متطوع اسمه كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة، و خالد محي الدين الذي كان يلقّب le commando rouge،و عبد الناصر لم يكن متطوعا بل بقي في الجيش المصري والذي دخل بعدنا في ماي، و لمّا كنّا في غزة قمنا بمصادمات في محل البرج جنوب غزة، وبإحدى المستعمرات واسمها نيتا سالم مقابل بربرة و عسقلان، و كنّا على بُعد ستة وثلاثون كلم من تل أبيب، و معنا متطوعون من اليمن والسودان، و العمل كان يسير على أحسن ما يرام، أما السلاح فكانوا يعطوننا خمسة وثمانون خرطوشة "قرطاس" في اليوم، عشرة منه سليمة وما تبقّى كان فاسدا، كانت تخرج على

بأحد معاهد جمعية العلماء، وتخوّف من الإلتحاق بي في القاهرة، و جئت من مصر بنفس الطريقة التي ذهبت بها ودخلت تونس، وهو تخلّف عني وبقي في قسنطينة، ومضطرّا أخذت معي صديق - و لن أنساه طول حياتي - إسمه محمد إبراهيم بالقاضي وهو جزائري من باتنة، ذهبنا معا مشيا على الأقدام ووصلنا و تطوّعنا معا من أجل فلسطين. وهنا التقيت أحد المجاهدين القدامى سي محمد شريّط، و قال لي بأنّه كان معه في تونس.

و في أيام التدريب بالمعسكر الكبير هيكستيد، جاء إلينا الزعماء بورقيبة، والأمير عبد الكريم لرفع المعنويات و لتشجيعنا، و كان هناك حماس كبير لدى المغاربة في شمال أفريقيا، و قد تلقّينا تدريبا بسيطا، ما بين سبتمبر وديسمبر، وفي أوائل يناير دخلنا، و هذا تحت إشراف الجامعة العربية المسؤولة عن التمويل، ولكن التجميع وكل شيء كان على عاتق مكتب المغرب العربي برئاسة الأمير عبد الكريم الخطابي، و تجمّعت عباد اللّه ودخلت المعسكرات، و من الصور التي بحوزتي هنا صورة مع المرحوم بورقيبة، وصورة مع المرحوم علال الفاسي وكذلك مع المجاهدين الذين ذهبوا إلى فلسطين.

ودخلنا في أوائل يناير تحت قيادة un lieutenant-colonel و اسمه أحمد عبد العزيز و هومتطوع استقال من منصبه في الجيش المصري، و كذلك دخل معنا un lieutenant متطوع اسمه كمال الدين حسين عضو مجلس قيادة الثورة، و خالد محي الدين الذي كان يلقّب le commando rouge،و عبد الناصر لم يكن متطوعا بل بقي في الجيش المصري والذي دخل بعدنا في ماي، و لمّا كنّا في غزة قمنا بمصادمات في محل البرج جنوب غزة، وبإحدى المستعمرات واسمها نيتا سالم مقابل بربرة و عسقلان، و كنّا على بُعد ستة وثلاثون كلم من تل أبيب، و معنا متطوعون من اليمن والسودان، و العمل كان يسير على أحسن ما يرام، أما السلاح فكانوا يعطوننا خمسة وثمانون خرطوشة "قرطاس" في اليوم، عشرة منه سليمة وما تبقّى كان فاسدا، كانت تخرج على

شكل دخان، و كان لهذا أثر كبير في نفوس الناس، وعندما دخلت الجيوش العربية قرأت في *"الأهرام"* و في *"مصر الصباح"*، أنّ من دخل هو الجيش المصري - ليس لأهين الجيش المصري - والحقيقة كانت عند العرب والمسلمين كلّهم، و بالبّند العريض و بالخط الأحمر كتبت *الأهرام* «*الجيش المصري يتقدم إلى غزة بعد معارك عنيفة*»، ونحن نبيت بها دون ماء ولا شيء.

لا أطيل الحديث لإنّ الموضوع طويل نوعا ما فاعذروني، رجعنا من المهمة التي كُلّفنا بها، و تعرّفنا حتى على المواقع، كل قائد في تونس كان يعرف موقعه، جئت بهذا وقدّمناه وانتهى الأمر، الإخوان في طرابلس حتى هم كانوا يتّصلون و يبحثون عن الأسلحة، ويشترون المسدّسات أي بدأو يعملون، و حتى نحن كنّا نعمل و نحن في الطريق، أنا وحمادي العزيز، وإبراهيم بالقاضي، و لم نكن نعتمد إلا على أنفسنا و لم نمد يدنا لأحد، اشتغلنا، حفرنا، وأنا اشتغلت ميكانيكي بمحل في بن غازي، وكان شخص اسمه صالح تواتي، سي البشير هل تعرفه؟ يرحمه اللّه كان قاعدة و هو جزائري له محل للتّجارة، و كان له الفضل في حصولنا على مناصب للشغل و هذا مع جمعية عمر المختار .

قال لنا الأمير: أنتم بحاجة إلى إقامة تنظيم قوي، و البعثات العسكرية كانت تتخرّج، و طلب من النّظام الملكي أن يسهّل لنا التدريب على الأسلحة، و فتح لنا المجال و هذا قبل قيام الثورة، و قالوا لنا أنّ هناك مشكل قلّة الإمكانيات، و بما أنّكم دخلتم الكليات العسكرية، سوف نسمح في ثلاثة معسكرات بتكوين من ثلاثة إلى خمسة إلى عشرة أفراد .

بدأنا في ماي حتى جوان 1952، وطُلب منا الدخول أنا وحمادي العزيز إلى المغرب، وكنّا شباب صغار مررنا بتونس (ومعي وثيقة هنا مع صورة و لم أصطحب معي النسخ الأصلية مخافة أن تضيع منّي في الطريق)، قيل لنا إذا ما قبض عليكم ومعكم هذه الوثيقة سوف تموتون، و حمادي أخذ معه وثيقة

و أنا أخذت معي وثيقة أخرى، و قد جهّزنا أنفسنا سواء بالأحذية أو بالمال، المهم أنّنا تحرّكنا إلى داخل تونس والجزائر وكنّا ثلاثة، اتفقنا أن ندخل نحن الثلاثة، و لكن لما وصلنا إلى طرابلس خفنا أن نهلك نحن الثلاثة ولا نحقّق أي فائدة، و دخلنا إلى فندق الأهرام، و اتفقنا أن ندخل أنا و آخر ولا يدخل الثالث لخوفنا عليه.

أنا كنت أعرف هذا المسلك منذ الصغر، والأخ الثالث الذي كان معنا هو من وجدة، وإذا دخلنا إلى المغرب من وجدة سيُعرف، وضربنا العود أي اقترعنا لكي نعيّن من يدخل أولا، فكنت أنا و اتفقنا أن أخرج يوم 2 جوان، و أخبرته من تونس يوم 11 جوان بأنّني وصلت، و هذا عن طريق كلمة السر لكي يتحرك هو، و كنّا قد عبرنا الكثير من الصعوبات أثناء الطريق.

وفي قابس، تكلّف بنا أحد المناضلين وهو الحاج جربوع، والحاج شرايطي، والساسي الأسود أي مجموعة، حُجز لنا في فندق كان من أروع ما يكون محل لشخص له فرن و صيدلية، و نِمنا في محل فرحنا به فعلا، كان به حماران وجمعية حقوق الإنسان جعلت لهما محل فيه تبن وكل شيء، قال أنّه لا يملك محلا آخر ولا يستطيع أخذنا إلى البيت مخافة أن يرانا الأولاد، وبِتنا مع الحمير واللّه، وعندي اسمه وأحتفظ به وكان معنا الباهي، والطيّب حتى وصلنا إلى سبول، و التقينا بشخصين لا يستحقّان أن نطلق عليهما كلمة إنسان.

دخلنا تونس ثم إلى الجزائر، و أوّل هدف لنا كان هو الإتصال بالسيّد عبد الحميد مهري، ولديّ تقريره السياسي وهو مكتوب بخط اليد عن الوضعية في شمال إفريقيا، وهو هديّة أيضا لهذه المؤسسة، و هذه هي نقطة البداية داخل الجزائر.

أنا وصلت إلى الجزائر، و كتبت أقول: جئت لا أعلم من أين أتيت ولكنّي أتيت، و سوف أبقى ماشيا شئت أم أبيت، و لن أقف حتى الموت إن شاء اللّه،

و وصلت إلى العاصمة، و أوّل شخص التقيت به هو الأخ العزير عبد الحميد مهري، و تقابلنا مع مجموعة من الإخوان و كان على رأسهم الأخ محمد العربي دماغ العتروس، ونحن حلقة الإرتباط مع الأخ عبد الحميد مهري الذي قدّمني إلى بعض القادة أمثال مولاي مرباح، مزغنة، وبودة محمد إذا لم تخني الذاكرة، المهم جلسنا و تناقشنا معهم، و إستمع إلينا الناس و ألقوا علينا بعض الأسئلة، وقلنا آنذاك بأنّ هناك شعوب في غاية التخلف وهي أقل منّا ونحن رغم قربنا من أوروبا وتفتّحنا، هم في النهاية قاموا بإنشاء حركة ونحن لم نقدر أن نعمل أي شيء، واستمعوا إلينا بقليل من التردّد، كما تقابلنا مع الأخ بن يوسف بن خدة وقمنا باتصال، و كنا آنذاك نحفظ الأسماء، كنت في تونس أحفظها محفوظات.

وكانت وصية الأمير عبد الكريم الخطابي «حذار أن تقولوا لحزب بأنّكم اتصلتم بحزب آخر؛ لأنّهم كلّهم يكرهون بعضهم بعضا». كان كل شيء يحقد على كل شيء و هذه هي حقيقة لا مرية فيها، و الكل تحفّظ إلاّ أنا، و أنا كنت رجلا عسكريا و قد أدّيت قسماً على السلاح للعمل من أجل هذه القضية للّه وليس من أجل منصب، و لا من أجل مال أو شيء آخر، فوجدنا شيئا من التردّد والتخوّف، ماعدى الأخ عبد الحميد مهري الذي ترك فينا بصيصاً من الأمل.

ولقائي مع المرحوم البطل محمد بوضياف كان هادئا، و شعرنا في الحقيقة بأنّ الجزائر مستعدّة و حلمنا بالنصر، وقال «أنّنا أعددنا ستة وستون عملية، وهل أنتم استطعتم أن تحضّروا شيئا ما؟» فقلنا له «سندخل إلى المغرب ولدينا توصيات»، والمرحوم الأستاذ علال الفاسي كان يختلف مع الأمير عبد الكريم الخطابي وبينهما حساسيات جزئية، لوجود من كان مقتنعا بالحرب و من لم يكن كذلك، ونحن كنّا نريد أن نكون كواسطة، و لا يمكن أن نُنكر رغبتنا في التدعيم والحصول على قاعدة سياسية، حيث لا يعقل أن نفكّر في القيام بعمل عسكري و نحن تنقصنا القاعدة السياسية و كنّا على وعي بهذه

المسائل، و قال لنا الأمير «أريد أن تذهبوا أنتم لتبحثوا الأمور معهم لأني تعبت منهم ».

ذهبت أنا و عبد الحميد الوجدي، وحمادي العزيز، و هذه شهادة للّه ولن أخفيها أبداً، ذهبنا إلى علال الفاسي و قلت له «نحن نرغب في القيام بعمل ما»، فقال لي«ما هو الشيء الذي تريدون القيام به ؟»، قلت له «ليس لدينا سلاح؛ ولكن نستطيع صنع المتفجرات و هذا لتحضير الناس، و هكذا تبدأ كل الثورات "جنوي" و"موس"، وحبل للخنق و ندافع عن أنفسنا لاحرام ولاعيب». فقال «يا سيدي من منكم يعرف عبد الكريم غلاب؟»، قلت: ""أنا"؛ لأنّ عبد الكريم غلاب وعائلته من بلدي القصر الكبير، ومتزوج من عائلة ابن جلول، وكنت أعرفه في القاهرة ولعبت معه الشطرنج، و أعطانا كلمة السر». وأنهينا مهمتنا هذه بالإتفاق مع الأخ المرحوم بوضياف على أنّنا سوف نحاول أن نقوم بعمل ما في المغرب.

خلال هذه الفترة كانت لدينا صلاحيات، و في التفويض الذي لدينا به جبهة الجزائر- المغرب وتونس محذوفة ، وفي تونس قرّرنا أن لا نضيع الوقت، لأنّنا إذا ضيّعنا الوقت سوف نعتبرمن المقبوض عليهم وسيباشرون العمل دوننا، و بعدما انتهى لقاؤنا مع الأخ محمد بوضياف انتقلنا إلى المغرب.
و هذا بهدف الإتصال بالهيئات السياسية في المغرب، و الحق يقال أنّ عبد الكريم غلاب تكفّل بنا وعاملنا معاملة طيّبة و أكرمنا.

وذهبنا كما قلت إلى الهيئات السياسية، و لا أريد ذكر الأسماء وسأكتبها في كتاباتي، لأنّنا لا نريد أن نمس شعور أي أحد الآن، و لكن الشيء الذي نريده هو الإصلاح لبناء المستقبل، و لّما وصلنا وجدنا الرفض التام و الطرد التام، الطرد «أخرجوا عنّا» لخوفهم من فرنسا والبوليس، و اللّه، و اللّه، ثم و اللّه، لقد كان معنا السّلاح و فكّرنا أن نرجع إليهم و نبدأ الثورة بقتلهم، و بعد ذلك ذهبنا إلى قائد آخر، إلى إدارة جريدته بالدّار البيضاء، ودون أن أسمّي الإسم، ومن جهتي اللّه يسامحه وبينه وبين اللّه و«عند ربّكم

تختصمون»[2] هذا الأخ وصلنا إليه، و كان لدينا موعد في مراكش مع رجل فاضل ومحسن و مؤمن بالثورة، لا ينتمي إلى أي حزب و اسمه مولاي أحمد العلوي أبو المحاسن، 24 شارع الأبلاك في مراكش، كانت له علاقة طيبة مع محمد الحسن الوزاني و بعض الشخصيات، و كان رجلا مسالما يلبس لباسا جميلا، و هذا الرجل كل سنة كان يمنحنا في الكلية العسكرية دولار لوجه اللّه، و يقول لنا «حضّروا أنفسكم».

هذا الرجل كان لنا معه موعد في مراكش، و اتفقنا مع هذا الأخ في الدار البيضاء، واعذروني على عدم ذكر إسمه ، والّذي سبق أن وعدنا في اجتماع لجامعة الدول العربية عام 1951، و قال لنا «ادخلوا المغرب بأسرع ما يمكن، و هذا بهدف تنظيم خلية، و أصرّ على ذلك»، وهو الآن مسؤول كبير، وذهبنا إليه في الإدارة، بعدما كنا قد حدّدنا معه موعدا، و قلنا له سوف نرجع بعدما نذهب إلى مراكش، حيث كان لنا موعد آخر مع بعض الإخوان، و بعد ذلك ذهبنا إلى الدار البيضاء، و اتجهنا إلى بيته وطرقنا الباب، و خرجت خادمة له، وسألناها عنه، و كان ردّها في كل مرة بأنّه لم يأت بعد. وحدث ذلك يوم جمعة، وهم يقومون بشي "الكفتة" والروائح منبعثة، و نحن في الحقيقة كنّا جائعين، وجئنا زاحفين من القاهرة إلى الدار البيضاء ومنها إلى مراكش، ولا نملك حتى قوت يومنا و انتظرنا أنا و الأخ حمادي العزيز، و لكلٍ منّا مسدس، وكان لي سابقا سلاح من نوع "برابي لوما" تركته ذكرى في القاهرة لأخ جزائري و هو أستاذ جامعي، و اتفقنا على أن نمكث هناك و نترقّبه، و كان يسكن في شارع مسدود (زنقة) واسمه درب اسبانيول، و كنّا نمشي متقاطعين، وأخيرا خرج على الخامسة و الجلاب على ظهره، والتقى وجها لوجه مع الأخ حمادي، وقال له «لقد طال انتظارنا و أنت لم تأت إلى الموعد»، فكان ردّه «كان عندي عمل»، وحمادي كان ذو طابع حاد (مغندف)، طابع سكان الرّيف وهو من بني وريغن، فقال له.

«و اللّه يا أخي، ثم و اللّه، لولا... لبدأنا الثورة بك».

هربنا من الدار البيضاء خوفاً، و ذهبنا عند شخص و هو أستاذي قام بتدريسي في تيطوان، و اسمه الحاج أحمد معنينو، و كان من أعضاء حزب الشورى و الإستقلال، وأستاذا (شيخ) في معهد مولاي المهدي، الذي كان يدرّس به الشيخ المكي الناصري، و أنا كنت تلميذهما فاشتكيت إليه، و كان ذلك قد آلمني، وجرّاء اليأس فكّرنا أن نرجع إليه ونقوم باغتياله، و هذا كل شيء بكل مراحله، و هذه أحاسيسي كاملة كما كانت حينئذ، فكلّمه عبر الهاتف و وبّخه توبيخا حادا. و لم نلتق بالأستاذ حسن الوزاني الذي كان في طنجة، وكلّف شخصا بالإتصال بنا ريثما يأتي، و قال لنا أستاذنا، يجب أن ننتظر حتى سبتمبر و إلى ذلك الوقت سوف أحضّر لكم لقاء مع قادة حزب الشورى و الإستقلال.

و بالفعل في سبتمبر كان لنا لقاء مع قادة حزب الشورى و الإستقلال في مدينة فاس، أين انعقد مؤتمر للشبيبة الإستقلالية الشورية، فحضّرنا أوراق على أساس أنّنا طلبة، و كنّا عندما نلتقي مع طالب و هو من مدينة ما، نحن نقول له أنّنا من مدينة أخرى غير مدينته، و انعقد المؤتمر و كانت هناك تغطية من الجمعية الأساسية و من بينهم الأستاذ بوطال، وبن جلول، ومحمد الشرقاوي، والأستاذ أحمد بن سودة، والأستاذ لعراقي الذي مات مغتالا -مسكين الله يرحمه-، و دخلنا و عرضنا عليهم الموضوع، و هذا إلى جانب أنّنا كنّا في حاجة إلى تكفّل بالقوت، ومأوى نأوي إليه بعيدا عن الناس في مزرعة أو في برّ خالٍ ، و هذا إلى جانب البارود الأسود، أو يأتون لنا بـ"المِلاح" ونحن سوف نقوم بإعداده، مع القليل من ليسانس ونعمل خليط من "المولوتوف" ومفرقعات، أي يعطوننا حاجات قليلة ونحن نتحمل المسؤولية وسوف نعمل هذا بهدف أن نزيل الخوف من نفوس الناس و تتحرك و لكن دون جدوى، صفر.

ولم يكن معنا المال لنواصل الطريق إلى مغنية، و الله و الله و القرآن الكريم، قام الحاج احمد معنينو بإعطائنا عشرة آلاف فرنك، وكان هذا هو

اللّقاء الأخير مع أستاذي، و رجعنا إلى الجزائر و التقيت بالسيّد عبد الحميد مهري و حدّد لنا لقاء آخر، و التقينا مع الأخ بوضياف في تبسة. اتفقنا على مسائل و أتمنى أن تأتي الفرصة و أتحدّث لكم عنها، هذه حقائق حيّة، و أريد أن أرويها حية؛ لأنّ الكتابة خاصة اليوم تقرأها كما تمرّ على الجريدة ، وأنا لست من الّذين يؤمنون بكتابات التلفزيون.

سؤال طرح من قبل حول الأخ أحمد بن بلة و لم أجب عنه، حقيقة كان له موقف في لجنة التحرير الثانية، حيث أنّه كانت هناك لجنة تحرير المغرب العربي الأولى و لما "احرفتنا" وأقولها هكذا باللّهجة المغربية مع الأحزاب خاصة الأمير عبد الكريم قال لا.

الأخ أحمد بن بلة اقترح على فتحي الديب وعزّت سليمان، حيث أنّنا كلّنا كنا بحاجة إلى قاعدة سياسية، و التي كنا نفتقر إليها، فتحي الديب جمعهم (و أنا عندي هنا نص لفتحي الديب و النص اعتمده) و حضرت الجلسة كمستمع، مع الأمير امحمد الخطابي و بعض الإخوان الضباط، اجتمعوا و تكلّموا كثيرا بالشتم و قالوا فلان يصلح لكي يمثّلنا و الآخر لا، هذه حقائق يجب أن تتعرّفوا عليها يا إخوان، و لكن كلّهم مغاربة و كلّهم زعماء من شمال إفريقيا، و اجتمعوا بشق الأنفس، و كانوا يتخاصمون و يتبادلون الشتائم (يردّحوا في بعضاهم)، حينئذ، و بعد أربعة أيام من النقاش، قام بن بلّة و كان هو الذي اقترح على فتحي الديب وعزّت سليمان باجتماع هؤلاء، و منهم و على أساسهم تشكلت لجنة التحرير الثانية و ألغيت الأولى، و التي كان فيها الأمير عبد الكريم الخطابي، هذا هو السّر الذي كنت أريد أن أبوح لكم به.

هذا أمر يجب أن تدخله في حسابك يا أخ عبد الحميد، وكان لذلك اهتزاز سياسي وتاريخي، و قام أحمد بن بلة و تكلّم بالفرنسية، و لم يتكلم بالدارجة المغاربية لأنّ المصريين لا يفهمونها، و كان من بين أعضاء الجامعة

العربية من يتقن اللّغة الفرنسية كعبد المنعم النائب العام لحسونة، و كانت كلمة جد مؤثرة، لم يسانده أحد إلا الأخ محمد خيضر، قال له سوف نعمل ما قلته وفعلا إنطلقت العملية.

1. الشهادة منقولة عن شريط سمعي.

2- «ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون»، سورة الزُمُر، الآية 31.

* الهاشمي الطود من مواليد الثلاثينيات بالقصر الكبير بالمغرب، كان طالبا بالقاهرة سنة 1945 وضمن لجنة تحرير المغرب العربي، تطوع في حرب فلسطين سنة 1948، كان ضمن أول بعثة عسكرية للأمير عبد الكريم الخطابي إلى بغداد من 10-10-1948 إلى 30-6-1951، ضابط مغربي تولى تدريب اللبنة الأولى لجنود جيش التحرير المغاربي بالقاهرة، وهوأحد مبعوثي الأمير عبد الكريم الخطابي لتنسيق الكفاح المسلّح بين الأقطار المغاربية 1952 .

مسألة الانتقال إلى الكفاح المسلّح

عبد الحميد مهري*

شهادتي منصبّة على الفترة الممتدة من بداية 1952 إلى غاية اندلاع الثورة المسلّحة، و إن كانت حركات التحرير في المغرب العربي كلّه في حاجة إلى مزيد من البحث التاريخي و الدراسة، فإنّ المرحلة التي سبقت مباشرة الحصول على الإستقلال في المغرب و تونس و الجزائر، هي في رأيي من أغنى الفترات التي تسمح بهذه الدراسة وتمكّننا أيضا من دراسة العلاقة بين الحركات التحريرية في المغرب العربي، و المرحلة التي أقصدها في الجزائر، تكاد تمثل الحلقة المفرغة في تاريخ الحركة الوطنية، لنقص المعلومات والوثائق المتصلة بها، و بتميّزها بنوع من الغليان الداخلي الذي لعب دورا كبيرا في تطورها، ولكن آثاره لم تبرز كلها على السطح. و قد قدّر لي أن أعيش هذه الفترة أو بعض أحداثها عن قرب، و كلّها متصلة في الواقع بشخصية محورية، هي شخصية الأخ محمد بوضياف؛ ولهذا أستسمح الإخوان في أن أبدأ بذكر علاقتي معه كمدخل لهذه الكلمة.

دور محمد بوضياف في الإعداد للكفاح المسلّح وعلاقته مع مهري

أوّل ما عرفت محمد بوضياف كان بمدينة سطيف، و ذلك في خريف 1949، قدّمه لي في لقاء سري المرحوم عبان رمضان، وكان مسؤولي المباشر

لأنّه رئيس ولاية سطيف، و كنت رئيسا للدائرة بها. وقدم لي سي الطيب المسؤول عن المنظمة الخاصة في الشرق الجزائري، لأنّه كان علينا أن ننسق عملية تنصيب خلايا المنظّمة الخاصة عبر تراب الولاية، و عملنا جميعا فترة من الزمن، ثم نُقلت بعدها إلى ولاية قسنطينة، ثم عدت إلى تونس، وعندها التقيت به مرة أخرى وكان في مهمة مع المناضل الأخ محمد العصامي وهو من مسؤولي الحزب ببسكرة، و كانت مهمتهما تتمثل في نقل بعض الأسلحة من ليبيا عبر تونس إلى الجزائر. ثم عرفته في اجتماعات متعددة بالجزائر العاصمة، و في إحدى هذه الإجتماعات عرّفني على الأخ ديدوش مراد، رحمه اللّه، وكان ذلك في الفيلا التي كان يسكنها ميصالي في بوزريعة. ولما أبعدت من تونس عام 1952، وجئت للعاصمة و طلب مني أن أبقى موظف في المقر المركزي للحزب وعيّن لي مسكنا مؤجّرا من طرف الحزب باسم الأخ عبد الرحمن كيوان في 14 شارع مارنغو Marengo سابقا.

ومن الغد وجدت الأخ محمد بوضياف في المسكن الذي كان يجمعني والأخ جيلالي مبارك رحمه اللّه، والذي كان يشكّل كذلك مكتبا للأخ محمد بوضياف، ولذا كنت أراه كل صباح طيلة ما يقرب من سنة، و كانت هذه اللّقاءات اليومية مناسبة للحديث حول مشاكل البلاد، والحالة السياسية في الجزائر والمغرب العربي، والحالة الداخلية للحزب، ومن خلال هذه اللقاءات بدأت بعض الأفكار تتبلور، ثم انضم إلينا الأخ ديدوش مراد بطلب من الأخ محمد بوضياف، وعندما نضجت بعض الأفكار وصلنا إلى اتخاذ بعض القرارات ، أولها تشكيل لجنة مصغرة خاصة من أعضاء المنظمة الخاصة ، تتولى إعداد العمل المسلّح دون أن تنتظر الأمر من قيادة الحزب، وثانيا لاحظنا أن اكتشاف المنظمة الخاصة من طرف الإدارة الاستعمارية ، وتّر العلاقة بين أعضاء المنظمة و قيادة الحزب وأصبحت العلاقة تنازعية،و رأينا أنّ هذا لا يخدم مصلحة البلاد ولا يخدم الكفاح المسلح، ولذا رأينا أنه من الضروري ـ على العكس ـ أن تساهم العناصر التي كانت منتمية إلى

المنظمة الخاصة، في تمتين العمل السياسي و ترشيده، وثالث القرارات هو ضرورة إخراج الحزب من فخ الإنتخابات، ورابع هذه المحاور هو البحث عن تنسيق العمل المسلّح ما بين أقطار المغرب العربي.

كان الأخ محمد بوضياف دائم التساؤل، كيف تمكنت تونس من الإنتقال إلى الكفاح المسلح؟ والواقع أنّنا نحن من كان يدعو الإخوان في تونس إلى تنظيم مثل هذا الكفاح، فكيف أمكنهم البدأ في الكفاح المسلّح ؟بينما نحن نتفرج على الوضع، وقد أطلعت الأخ بوضياف على المعلومات التي استقيتها من الأخ الطاهر قيقة، تفيد بأنّ العناصر التي بدأت بالعمل المسلّح في تونس تمتاز بنوع من الإستقلالية عن حزب الدستور، وأنّ بعضها يجد تشجيعا من الحبيب بورقيبة شخصيا و لكن توجد عناصر كثيرة متأثرة بفكر الأمير عبد الكريم الخطابي، الذي يرى أنّ الإعتماد على الأحزاب للانتقال إلى مرحلة الكفاح المسلّح ضرب من العبث.

بدأت اللّجنة بمحاولة الإتصال بكثير من المناضلين، على أساس الإقتصار في المرحلة الأولى على الأعضاء الذين مروا بتجربة المنظمة الخاصة، فقبل البعض واعتذر البعض، ولا داعي هنا لذكر الأسماء. لكن من القضايا الخاصة التي درسناها هي وضعية الأخ محمد العربي بن مهيدي، و قرّرنا أن يكون الأخ محمد بوضياف وحده الذي يتصل به شخصيا، في استشارات فردية، لأنّه كان محاطا بكثير من العيون، ومتّهما في نظر البعض بالإندفاع والحماس الزائد.

كانت هناك أيضا محاولات عديدة للاتصال بالأخ كريم بلقاسم دون جدوى، ومحاولات للإتصال بالدكتور الأمين دباغين باعتباره من الرجال الذين لهم رأي و تجربة في ميدان العمل السري، و أعتقد أن الإتصال به قد تمّ في مدينة العلمة، و لم يصل إلى نتيجة و لكنّه أبدى بعض الآراء التي أخذت بعين الإعتبار.

و من القضايا التي واجهتها هذه اللّجنة فيما بعد، هي قضية الإتحاد بين الأحزاب. و القضية كانت مطروحة، و كان رأينا هو تشجيع الإتحاد، أو صنّف من الإتحاد بين الأحزاب الذي يخدم الإتجاه ويحضر الجو للكفاح المسلّح. وكان الرأي أنّ التشدّد اللفظي لا يفيد، و أنّنا إذا وصلنا إلى صيغة مرنة مع الأحزاب حتى تنشط سياسيا فهذا يملأ الساحة. وهذا ما يفسر تشجيعنا لجريدة *"المنار"* في تناولها لقضية الإتحاد بين الأحزاب و الإستفتاء الذي نظمته، الأمر الذي أقلق بعض الشيء قيادة الحزب لأنها - و هذا لم نكن نعرفه - حضّرت أيضا مشروعا للنداء بعقد مؤتمر وطني جزائري.

تحضير وتنسيق الكفاح المسلّح

بعدما شرعت اللّجنة المذكورة في عملها، و نصّبت هياكلها، جاءني ذات يوم شابان طلبا رؤيتي، تبيّن فيما بعد أنّهما ضابطان مغربيان، أحدهما، موجود معنا و الحمد لله، و نحن نعتز بوجوده بيننا، وهو الأخ الهاشمي الطود، و الأخ حمادي العزيز، و عند اللّقاء صارحاني بأنّهما جاءا من طرف الأخ الطاهر قيقة، وهو مثقف و كاتب تونسي معروف، و مناضل في حزب الشعب الجزائري و في الدستور و مؤمن بقضية وحدة المغرب العربي، و كانت بيننا ثقة كاملة، بحيث إذا جاء واحد من عنده فأنا أطمئن له، و العكس صحيح. و فاتحاني الأخوان بأنّهما يحملان رسالة عامة من الأمير عبد الكريم الخطابي، للحث على ضرورة الشروع في الكفاح المسلّح في أقطار المغرب العربي الثلاثة والإتصال بالعناصر القادرة على الإضطلاع بهذه المهمة.

وقد طلبا مني على ما أذكر أن أمكّنهم من الإتصال بالأخ أحمد مزغنة رحمه الله، ففاجئني نوعا ما طلبهما؛ لأنّ الصورة التي كانت لدينا عن الأخ أحمد مزغنة، كانت تتنافر نوعا ما مع المشروع الذي جاءا به، فقلت لهم صراحة، إذا كانت رغبتكم هي الإتصال بأحمد مزغنة أو غيره فأنا مستعد

لأوصلكم إليه، وأما إذا أردتم البحث في تحضير الكفاح المسلّح فعندي اقتراح آخر. فوافقا عليه دون أن يسألا عن التفاصيل. وعندها ذهبت إلى الأخ محمد بوضياف وأطلعته على القضية، وافق رأسا على الإتصال بالأخوين، وكنّا مسرورين خاصة وأنّ هذا كان يدخل في إطار الإهتمام بربط الصلة مع المناضلين الملتزمين بالكفاح المسلّح في أقطار بالمغرب العربي. وأعتقد أننا شجعنا الإخوان، و لبينا رغبتهم، وأخبرناهم أننا مستعدون وسنكون في الموعد في حالة تحرك تونس و المغرب. فواصلا طريقهما إلى المغرب و تواعدنا على اللّقاء في طريق رجوعهما، و هذا بالفعل ما كان، وقد طمأنونا أنهما استطاعا، رغم الصعوبات، أن يضعا لبنات العمل المسلّح في المغرب، و أنّه يمكن أن نرى بوادرها في نهاية فصل الخريف على ما أذكر، و هذا ما جعلنا و الأخ محمد بوضياف بالذات، نحرص على التحضير المادي و كانت العقبات بالأساس مالية لتمويل المشروع، فكلّف الأخ مصطفى بن بولعيد بهذا، فاشترى ورشة صغيرة لصنع العديد من القنابل المتفجرة، فتم انجاز المشروع بدوار الحجاج في الأوراس. وكان من المفروض أن يبدأ توزيع هذه القنابل على مختلف جهات القطر، في جويلية 1953.

ولسوء الحظ أنّ المخزن الذي وضعت فيه كمية كبيرة من هذه القنابل انفجر، ذات يوم أحَد بتاريخ 19جويلية 1953، و أحدث الإنفجار دويا هائلا في باتنة، أسرعت على إثره جميع السلطات المدنية والعسكرية إلى مكان الحادث، يتقدمهم Le Sous Préfet Le Commandant de la place وجاءني الأخ مصطفى بن بولعيد بعد يوم، حاملا معه قصاصة من جريدة "*la Dépêche*" التي كانت تصدر في قسنطينة، تصف الإنفجار بجميع تفاصيله، وقد ذهلنا لهذا الحادث لأنّه كان كارثة حقيقية و ربطناها حالا بحادثة تبسة التي كانت حادثة بسيطة في حد ذاتها ولكنها تسببت في اكتشاف المنظّمة الخاصة. غير أنّ الأخ مصطفى بن بولعيد ـ رحمه اللّه ـ كان مطمئنا نوعا ما للنتيجة، و قال

لي: إذا استطعت الحصول على مبلغ من المال، فإني أستطيع أن أدفن القضية فأبديت شكي في جدوى هذا الحل. و ذهب مصطفى بن بولعيد إلى الأخ بن يوسف بن خدة، بعدما رتّبنا سيناريو يدّعي بأنّ هذا الإنفجار وقع في مستودع قديم dépôt من عهد المنظمة الخاصة L'OS، وأن الأمر يحتاج لمبلغ كبير من المال لتغطية الحادث و لم يقصّر الأخ بن خدة حينذاك وأعطى له المبلغ المطلوب وهو 250,000 فرنك، والأخ مصطفى بن بولعيد الذي كان يقول لي "ادهن السير يسير" كان مطمئنا لخطته وقال الآن يمكن أن نشرع في العمل. و لم أكن أصدّق أنّ قضية خطيرة مثل هذه يمكن أن تدفن كما كان يقول بن بولعيد بالمال. لكن الأمور سارت كما قدّر بن بولعيد. و بالفعل فقد اعتقل صاحب المحل و سجن و حوكم ولكن لم يكن لهذه الحادثة آثار سياسية أخرى، و تناسيناها.

وانتبهت أنّ هذه الحادثة لم تسجّل في حد علمي، حتى في التقارير الرسمية للمخابرات الإستعمارية، و لم تتضمنها الكتابات التي تناولت هذه الفترة، باستثناء كتاب واحد أشار مؤلفه إلى أنّ أحد المسؤولين الفرنسيين قال في اجتماع أمني عقد بمدينة قسنطينة أثناء حرب التحرير:

"il me souvient qu à Batna, il y a eu une explosion "

وفي باريس أصدر فوجور Vaujour، المدير العام للأمن الفرنسي، كتابا عن مهمته في الجزائر أثناء الثورة، و أهدى لي نسخة منه عندما كنت سفيرا في باريس، فلمّا تصفحته لم أجد ذكرا لحادثة باتنة، مع أن السيد فوجور Vaujour تقلّد منصبه في شهر جوان 1953. وتفسير الموضوع إما لأنّ مبلغ 250,000 كان له مفعولا حقيقيا في جهة من الجهات، أو أنّ ذلك كان نتيجة قرار سياسي للحكومة الفرنسية يقضي بالتعتيم عن الموضوع تلافيا لتفاعلاته.

بقيت أتذكر هذه الحادثة و قصاصة *la Dépêche* سنوات بعد الإستقلال، و لما كان الأخ حاج يعلى واليا بقسنطينة، طلبت منه أن يبحث لي عن القصاصة، فاستطاع الحصول عليها وأرسلها لي و عندي نصها. لكن من

نتائج هذا الإنفجار أن مشروع التحضير للكفاح المسلّح تعثّر حتى وقع الخلاف بين ميصالي واللّجنة المركزية قبل انعقاد مؤتمره.

وقبل مؤتمر الحزب في نهاية سنة 1952، طلبت إدارة الحزب من الأخوين محمد بوضياف وديدوش مراد أن يتوليا مهمات هامة في فيدرالية الحزب بفرنسا، وبعد التشاور في الأمر استقر الرأي على أنّه من الأفضل أن يستجيب الأخوين لهذا الطلب، على الأقل لضمان مورد لتمويل العمليات، و قبل أن يسافرا ربط ديدوش مراد الإتصال بيني و بين الأخ الزبير بوعجاج، و هو المسؤول آنذاك، والذي عيّن للتكفل بمنطقة الوسط (الجزائر)، وربط الأخ محمد بوضياف الإتصال بيني و بين بن عبد المالك رمضان، الذي كان مسؤولا عن الناحية الغربية، و بقيت أربط الإتصال بين هؤلاء الإخوان و بين بوضياف و ديدوش مراد إلى أن اقترب موعد مؤتمر الحزب الذي انعقد في أفريل 1953. حددنا بالتشاور هدفين لبلوغهما في المؤتمر، الأول هو استصدار قرار من المؤتمر بإعادة تكوين المنظمة الخاصة، و قد كان التيار في هذا الإتجاه قويا بحيث قرر المؤتمر بالفعل إعادة تشكيل المنظمة الخاصة العسكرية، التي أطلق عليها في القرار اسم "البركة". و محاولة إخراج الحزب من فخ المشاركة في الإنتخابات، و لم ننجح رغم النقاش الطويل في الموضوع، وترك المؤتمر البث في الأمر للجنة المركزية. وانتقل النقاش إلى اللجنة المركزية.

بعد المؤتمر جاءني الأخ بن يوسف بن خدة ليعرض علي أن أكون عضوا في اللجنة المركزية، و طلبت مهلة استشرت فيها الإخوان فأشار علي الأخ محمد بوضياف بالقبول، و قال لي ستجد هناك أخا تتعاون معه و هو الأخ مصطفى بن بولعيد. و يومها فقط عرفت أن مصطفى بن بولعيد الذي كان في التنظيم الخاص، هو عضو أيضا في اللجنة المركزية؛ لكي يتبين لكم مدى السرية .

اللّجنة الثورية للوحدة والعمل وظروف تكوّنها

لما انفجر الخلاف بين ميصالي و اللّجنة المركزية واستفحل ولا داعي للدخول في التفاصيل، رأيت من الضروري أن يعودا الأخوان محمد بوضياف و ديدوش مراد إلى الجزائر، و ذهبت إلى الأخ بن خدة، و الأخ لحول حسين رحمه الله، و صارحتهما إذا لم يعودا إلى الجزائر فإن الأمور قد تتطور تطورا سلبيا في أوساط أعضاء المنظمة الخاصة إذا لم يعد محمد بوضياف، و مراد ديدوش إلى الجزائر، و استعدنا بعودتهما نوعا ما النشاط العادي، ولكن بقي موضوع الخلاف في القمة طاغيا. و ذات يوم جاءني بوضياف، و قال لي إن الأخ محمد دخلي الملقب سي بشير و هو أخ مناضل قديم وعضو في اللّجنة المركزية ذو خبرة طويلة في العمل السري، و كان يشرف عمليا على التنظيم الحزبي، اقترح علي أن نتخذ إجراءات لحفظ وحدة الحزب في القاعدة، و أن نشكّل لذلك لجنة خاصة تتركب مناصفة من الموظفين الدائمين للحزب les permanents وأعضاء اللّجنة الخاصة، وطلب رأيي في الموضوع فتحفظت لأنني كنت أخشى أن لا يحصل الإنسجام بين الطرفين، لِما كان بينهما من حساسيات، ولكن بوضياف أجابني قائلا بالفرنسية : *"C'est le seul moyen de s'emparer de la base"*

وتكونت اللّجنة الثورية للوحدة و العمل في هذه الظروف، وشارك فيها بوضياف ومن معه من أعضاء المنظمة الخاصة، بنّية تحويل اللّجنة إلى حركة للعمل المسلح، وعدم الإكتفاء بمعالجة المشاكل السطحية، وعرفت هذه اللجنة على قصر عمرها، مراحل النشأة و التطور ثم الوفاة في أشهر قليلة. نشأت في ظروف صعبة وتكونت من أطراف ينقصها التجانس، لكنهم تحت وطأة الأزمة استطاعوا أن يصلوا إلى إتفاق على أرضية للعمل المشترك. ففي يوم من الأيام جاءني الأخ محمد بوضياف ليخبرني بأن الإتفاق قد حصل بين الطرفين على الإنتقال مباشرة لمرحلة الكفاح المسلح كحل لأزمة الحركة الوطنية، وبدأت اللّجنة بالفعل الإعداد لذلك. و هذا ما أعطى الإنطباع

لكثير من الكتاب الذين غطوا إعلاميا أحداث هذه الفترة بأن Le CRUA هي التي كانت وراء اندلاع الثورة في أول نوفمبر.

وبالفعل شرع أعضاء اللجنة الثورية للوحدة و العمل، بعد الإتفاق المذكور في الإعداد للعمل المسلح، لكن مع الأسف وقع أثناء هذا الإعداد حادث طارئ، جعل البشير دخلي بتجربته الكبيرة يشعر بأن لبوضياف هياكله وقنوات اتصاله الخاصة، وأن هذه الهياكل موجودة من قبل، و كانت تعمل قبل تأسيس اللّجنة الثورية للوحدة والعمل Le CRUA، و وقعت مشادات بين الرجلين، حكي لي الأخ محمد بوضياف تفاصيلها، و كانت هذه الحادثة هي السبب في نهاية اللجنة الثورية للوحدة و العمل.

هناك سؤالان هامان يمكن طرحهما بعد مرور الوقت ، حول انعكاسات تشكيل اللجنة الثورية للوحدة والعمل على تطورات الأزمة التي هزّت الحزب. السؤال الأول هو: هل أثّر اشتراك أعضاء المنظمة الخاصة في اللّجنة الثورية للوحدة والعمل سلبا على نظرة ميصالي لهم وموقفه منهم؟ أعتقد شخصيا أن اشتراكهم مع المركزيين في هذه التشكيلة، جعل مصالي ينظر إليهم بكثير من الريبة والشك. وهذا يؤكّده تشدّده مع مصطفى بن بولعيد كما يأتي بيان ذلك.

السؤال الثاني: هل كان لأزمة اللّجنة الثورية للوحدة و العمل و نهايتها تأثير سلبي على موقف بعض أعضاء اللجنة المركزية من قضية الكفاح المسلح، وتردد أعضاء الإدارة بالذات في اتخاذ موقف حاسم من الإنتقال لمرحلة الكفاح المسلح؟ وقد كان مهماً بعد الإتفاق داخل "اللّجنة الثورية للوحدة والعمل" التحصّل على مواقف صريحة من طرفي الأزمة مصالي الحاج و اللجنة المركزية فيما يخص الكفاح المسلّح، وقد شُكّل لهذا الغرض وفدان لطرح ثلاثة أسئلة (أذكرها بمعناها لا بلفظها) على كل طرف:

1– ما موقفكم إذا اندلع الكفاح المسلح ؟

2- هل أنتم مستعدون للمشاركة فيه؟

3- ما هو موقفكم إذا اندلع الكفاح المسلّح دون موافقتكم ؟

فكان جواب ممثلي مصالي الحاج رفض بحث هذا الموضوع أصلا، لأنّها مسألة تخص الحزب، و تخص مصالي الحاج شخصيا. تحدثنا ليس مع ميصالي مباشرة لكن مع من يمثله. أما مع اللّجنة المركزية فإن الأمور سارت على النحو التالي: بعد ما أطلعني الأخ محمد بوضياف على تشكيل الوفد وفحوى الأسئلة، ذهبت إلى الأخوين الحسين لحول و بن خدة بن يوسف وأخبرتهما بالأمر وقلت لهما أن الإخوان سيجيؤون بأسئلة محددة، و أن الظروف لا تسمح بمواقف متردّدة، ورجوتهما أن يكون الموقف واضحا إما القبول بمنطق البدأ في الكفاح المسلّح لتجاوز الأزمة و إما رفض ذلك صراحة. وكانت المفاجئة أن الأخ مصطفى بن بولعيد جاءني مسرورا بعد المقابلة؛ ليقول لي أن الأخ بن خدة و الأخ الحسين لحول، أعطيا موافقتهما على بداية العمل المسلّح، و أنّه بالإضافة إلى ذلك، قدما مليون فرنك للإسراع في التحضير.

لكن هذا الموقف أصبح أقلّ وضوحا، فيما بعد وخاصة بعد الإتصالات التي تمت في سويسرا بين الإخوان الذين كانوا في القاهرة و بين بوضياف، و الحسين لحول، وامحمد يزيد. هذه الإتصالات لم تساعد على توضيح موقف الإدارة وبعض أعضاء اللّجنة المركزية، بل على العكس تركت المواقف مائعة، وكان من نتائجها توتر العلاقة بين الإدارة وحملة مشروع الكفاح المسلّح. وهنا أريد أن أرفع اللُبس حول مواقف اللّجنة المركزية. فقد نسب كثيرا من الكتاب إلى هذه الهيئة مواقف فردية لبعض أعضائها، وعمّموا تلك المواقف دون تمييز. غير أن الواقع لم يكن كذلك؛ فاللّجنة المركزية لم تدرس - على ما أذكر - قضية الكفاح المسلح دراسة معمقة و صريحة إلا مرة واحدة في الدورة الأخيرة التي عقدتها، وكلّفت فيها

الأخوين الحسين لحول و امحمد يزيد بالذهاب في مهمة إلى القاهرة. ففي هذه الدورة كان النقاش صريحا، و كانت اللّجنة المركزية منقسمة و لكن الأغلبية كانت مع الكفاح المسلّح، وقد عكست اللائحة التي حددت مهمة امحمد يزيد و الحسين لحول هذا الإتجاه.

وأذكر أنّ الأخ امحمد يزيد رفض الصياغة الأولى لهذه الوثيقة ، و قال: «إنني لا أذهب في هذه المهمة بعبارات غامضة»، وطلب من اللجنة المركزية أن تحدّد موقفها بوضوح أكثر، فتم تعديل اللائحة، حتى اطمأنّ إليها الأخ امحمد يزيد، و الأخ الحسين لحول. كان النقاش في اللّجنة المركزية صريحا و حادا، وأذكر أن أحد الأعضاء قال بصريح العبارة: «لا أعتقد أن علب السردين يمكن أن تحرّر الجزائر»، وردّ عليه أحد الإخوان وأظن أنّه الأخ امحمد يزيد، قائلا: «إنك تنسى فقط أنّ علب السردين أيضا تحدث دوريا»، إشارة إلى أن الكفاح المسلح لا يمكن أن ننظر إليه فقط في صورته المادية، و لكن أيضا في مضمونه وديناميكيته السياسية.

أما الإتصالات مع مصالي، فبالإضافة إلى المساعي التي قامت بها اللّجنة الثورية للوحدة و العمل، فإنّ الأخ مصطفى بن بولعيد قام بمهمة اتصال مباشر مع مصالي الحاج، وذلك عندما دعا رئيس الحزب أعضاء اللّجنة المركزية للاتصال به فرادى قبل المؤتمر، و قد كلف الأخ بن بولعيد، باستيضاح موقف مصالي من مشروع الكفاح المسلّح. و قد روى لي الأخ مصطفى بن بولعيد بعد رجوعه للجزائر ما تمّ في هذا اللّقاء فقال:" لقد قضيت تقريبا يوما كاملا مع مصالي، أحاول أن أقنعه بعدم القيام بأي عمل يكرس الإنقسام داخل الحزب و رجوته بكل الصيغ، أن يحاول إصلاح الأمور بما يحفظ وحدة الحزب، و قلت له بأنّ هناك فريقا يهيئ للثورة المسلّحة، وإني أعاهدك أنّنا سنضمن قيام الثورة المسلّحة، فكان مصالي يستمع إلي طويلا، ويجيبني في الأخير: كل هذا ممكن، و لكن حتى ننظف الدار Mais après avoir balayé la maison."

وقد قدّم الأخ مصطفى بن بولعيد، عرضا مقتضبا عن هذه المهمة، في إحدى دورات اللجنة المركزية، لم يتعرض فيه للتفاصيل التي ذكرها لي لأن هذا الجانب من مهمته كان سريا. وقد اختصر عرضه بجملة بالغة التعبير قائلا: «إخواني، أقول لكم باختصار، إن سيدي الحاج(يعني مصالي) ما هوش راجل.» وفوجئ أعضاء اللّجنة المركزية بهذه العبارة وفسروها على أنّها مجرد كلمة جبلية صريحة. والواقع أنها جملة لا يفهم معناها إلا من كان على علم بما دار بين مصالي و بن بولعيد الذي كان يحترم كثيرا مصالي و يحبّه، لكنه أصبح بعد هذه المقابلة مثل جمرة وضعتها في الماء. و أعتقد أن هذه المقابلة كانت أيضا حدّا فاصلا في العلاقة بين مصالي وأعضاء المنظمة الخاصة.

بدأت هذه الكلمة بذكر صلتي بالأخ محمد بوضياف، وأختمها بشيء من ذلك. فقد اتصل بي الأخ بوضياف قبل خروجه بيوم أو يومين، وطلب مني مرافقته إلى الخارج. و قد فوجئت بهذا الطلب واعتذرت و احتد الأخ بوضياف كعادته، لأنّه أخبرني قبل ذلك بقليل بأن بداية العمل قُرّر بأنها ستكون في نهاية الشهر، و لم يقل يوم أول نوفمبر، ثم التقينا بالقاهرة بعدما خرجت من السجن، و لامني على عدم قبولي الخروج في الوقت الذي طلب مني فيه ذلك. و لم نلتق بعد ذلك إلا بعد خروجه هو و بقية الإخوان من السجن في المجلس الوطني للثورة. وعندما ذهبت إلى باريس كسفير للجزائر، أرسلت إليه من يطلب منه الحضور إلى باريس، و أتى بجواز سفر مزور و عشنا معا يوما كاملا، و أعطيت له رأيي الخاص، بأن مكان الإخوان قادة الثورة التحريرية، هو في الجزائر وليس في الخارج، وأنّه يجب أن تتمكن الأجيال الناشئة من مشاهدة بوضياف و بن بلة وغيرهم في المقاهي و الشوارع لأنّهم ملك للجزائر، تحدثنا كثيرا في هذا الموضوع لكنه لم يقتنع بهذا الرأي. لكنني أسفت حقا، عندما وصلني من أصدقاء مشتركين، أن الأخ بوضياف تصور أنني عندما قابلته كنت في مهمة رسمية مكلفا بها من

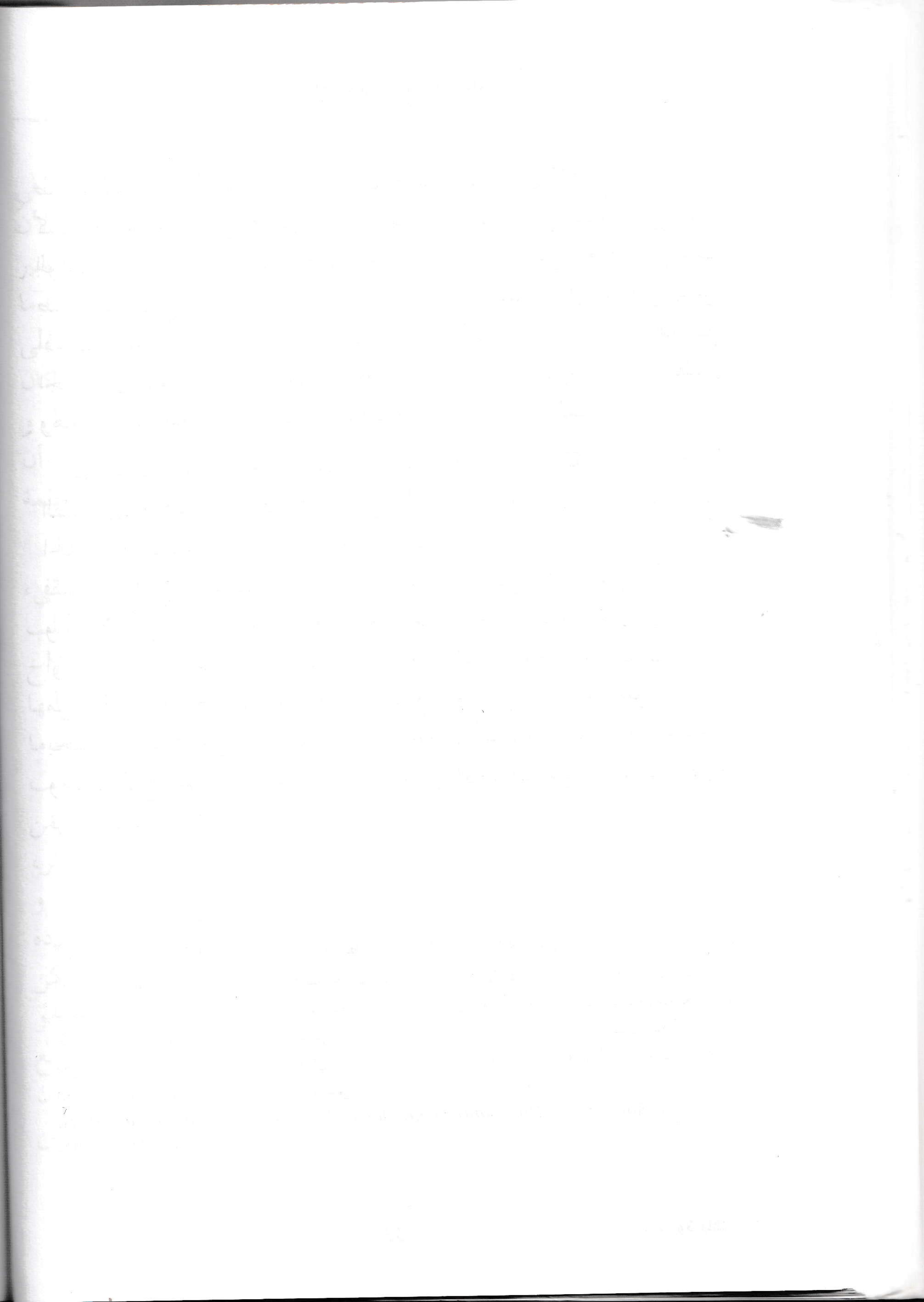
طرف النظام. و لم تتح لي الفرصة أن أقابله مرة أخرى لأشرح له، في أني كنت أصدر عن وعي نضالي لا عن عمل إداري، و إنني اتصلت في نفس الوقت بالأخ الحسين آيت أحمد بنفس الإقتناع ولنفس الغرض. وكنت صارحت الأخ الرئيس الشاذلي بن جديد، قبل سفري إلى باريس بأنني أذهب كسفير للجزائر إلى عاصمة كبيرة، و أن السفير في فهمي هو سفير كل الجزائريين مهما كانت آراءهم و مواقفهم، و أنّني زاملت إخوانا في النضال وهم الآن في المعارضة، وأنّني لا أستطيع أن أوصد باب السفارة دونهم.

ثم التقينا عندما جاء للجزائر في شهر فبراير، يوم تقرّر إعلان حالة الطوارئ، و قد ضمّ اللّقاء عددا من الأحزاب، طلب الأخ بوضياف من الحاضرين أن يدلي كل واحد برأيه في القرار، و كنت الأخير على يساره، فقلت له: إنّني لا أطلب إلا شيئا واحدا هو أن تفصل بين الجيش و الشعب، و أن لا تكون المواجهة بين الجيش والشعب. وعند الخروج قال لي أودّ أن أراك مرة أخرى على انفراد، لكن الموت مع الأسف عجّل به دون أن نتمكن من اللّقاء مرة أخرى. وعزاؤنا أن نجتمع اليوم في مؤسسة تحمل اسمه و بحضور إخوان من تونس و المغرب، إخوان أعزاء شاركونا هذه المسيرة، ومنهم الأخ الهاشمي الطود، و إني أشكر الإخوان على هذه البادرة، و نرجو لهم التوفيق.

---

* ولد في 3 أفريل 1926 بالخروب بعمالة قسنطينة، قرّر الالتحاق سنة 1948 بالزيتونة لمواصلة دراسته للغة العربية وآدابها ، أين شكل جزءً من طلبة حزب الشعب - حركة الانتصار، عاد إلى الجزائر في سنة1951 لينضمّ إلى اللّجنة الإسلامية لحركة الانتصار للحريات الديموقراطية، وسيّر الصحافة العربية للحركة بعد مؤتمر أفريل 1953، وأصبح عضوا باللّجنة المركزية. في سنة 1954 اتصل بمحمد بوضياف، حيث قدّم له مبعوثين مغربيين (الهاشمي الطود، محمد حمادي العزيز المدعو"الريفي") من طرف عبد الكريم الخطابي لاقامة اتصالات بالجزائر، وتونس، والمغرب للتنسيق لاندلاع ثورة مغاربية متوقعة.

Benjamin Stora, Dictionaire biographique de militants nationalistes algériens, L'Harmattan. Paris, 1985.



بداية الوعي بضرورة الكفاح المسلّح

محمد بن سعيد آيت إيدير *

أيّها الإخوة و الأخوات، في البداية أحيّ مبادرة مؤسسة شهيد الحرية و الديمقراطية محمد بوضياف؛ لأنّها ستعيدنا إلى مرحلة تاريخية من نضال شعوبنا المغاربية، التي أعطت تضحيات جسيمة كما قدّم أبناؤها عطاءات سخية من دمهم، فداءً من أجل إستقلال الوطن و وحدته.

لا شك أنّ الشهيد علي الدر يدي -الإسم المستعار الذى نعرفه به في المغرب- يشكّل بالنسبة للمقاومة المغربية رمزا من رموز الكفاح المسلّح ضد الإستعمار الأجنبي في كل أقطار المغرب العربي، و كيف لا؟ و هو من القلائل الذين ربطوا حركة التحرير الجزائرية بالمقاومة المغربية، مع رفاقه أمثال العربي بن مهيدي، وأحمد بن بلّة، و يعتبر اللّقاء الذي جمع علي الدريدي مع أعضاء من قيادة المقاومة المغربية بتطوان محطة تاريخية ساهمت في توسيع جبهات النّضال المسلّح ضد الجيوش الفرنسية في كل من الجزائر، و المغرب، إلى جانب الفلاكة بتونس الشقيقة ، الشيء الذي أعطى نفساً جديدا و حيوياً لوحدة فصائل الثّورة في بلدانا.

إنّ المغاربة الذين عرفوا علي الدريدي و عملوا معه، يشهدون له بالصّلابة و الوضوح في الرّؤية و القدرة على التّنظيم، و النّزاهة الفكرية و كذلك الصراحة في التعبير عن مواقفه، واتّخذ مواقف صارمة تجاه السياسيين المتردّدين فيما يخص إختيار الكفاح المسلّح كمهمة إستراتيجية لمواجهة تحدّيات الإستعمار الفرنسي.

عرفت لقاءاتي معه في النّاظور و تطوان نقاشات طويلة، حول آفاق المستقبل السياسي لكلا البلدين و عن مفهوم الإستقلال و مواقفه من الأحزاب السياسية في المغرب العربي. و قد كانت هذه اللّقاءات بالنسبة إلي من الفرص الثمينة في علاقتي القصيرة معه، قبل أن تختطفه العصابات الإرهابية العسكرية مع رفاق له في وفد غادر المغرب إلى تونس لحضور مؤتمر المغرب العربي، ضمّ الملك محمد الخامس و الرئيس الحبيب بورقيبة و القادة الجزائريون الخمسة سنة 1956، و قد كنت محظوظا بزيارتي له في سجنه بجنوب فرنسا في يناير1962 قبل الإفراج عنهم بقليل، وقد استعرضنا معا آفاق الأوضاع السياسية بالمغرب و الجزائر، و قد لاحظت شعوره بثقل الصعوبات الكبيرة التي ستواجه الثورة الجزائرية عند استقلال الجزائر. و أكِنّ للشهيد تقديرا كبيرا، لصموده أمام العديد من التحديات وواجهها بشجاعة و جرأة إلى آخر نفس من حياته.

إنّ هذه المبادرة و إن كانت متأخرة إلاّ أنّها وضعت في مكانها، و مطروح علينا أن ندشّن بها صفحة جديدة من أجل فتح ملفات أسدل عنها الستار منذ عقود من تاريخ معركة التحرير المغاربية، و التي يجهل عنها الجيل الحاضر الكثير، سواء منها ما يخص الفترات الأولى من النّضال السياسي الذي نهج طابعا سلميا في البداية، بنشر الفكر الوطني التّحرري أو الكفاح المسلّح، و الذي أخذ أشكالا مختلفة أدّت في النهاية إلى الإستقلال السياسي لكل قطر على حدة. فالنّضال السياسي شهد إختيارات ذات إتجاهات متنوعة، من الخطاب السلفي إلى الإصلاحي إلى العنف الثوري، و لعبت

النخب الجديدة أدوارا رائدة في النّهوض بالحياة السياسية و الإجتماعية حينما استفادت من هامش الحريات التي سمح بها الإستعمار من حين لآخر، وشهد فترات من المدّ و الجزر لمواجهة غطرسة الإستعمار، و الذي يستخدم كل وسائل القمع و الإغراء في غالب الأحيان.

وفي محطات متوالية من النّضال السياسي ببلادنا، بدأ الوعي بضرورة المواجهة المسلّحة ينتشر وسط شرائح واسعة من قواعد الأحزاب الوطنية، و لم يعد مقبولا لديها الإستمرار في المواجهة السلمية من إحتجاجات و مظاهرات، بل بدأ التفكير في تصعيد الكفاح المسلّح لمواجهة العنف الذي يمارسه الإستعمار بمثله.

بداية الوعي بحتمية المواجهة المسلّحة:

وفي المغرب الأقصى، بدأت بوادر فكرة العنف المسلّح ضد الإحتلال، تنتشر وسط المناضلين الإستقلاليين أثناء الصدام الدامي مع الجيش الفرنسي عند إعلان وثيقة الإستقلال في جانفي 1944، و ما تلاها من مجازر ضدّ المواطنين المغاربة سنة 1947، من طرف جيش المرتزقة الفرنسي بمناسبة زيارة الملك محمد بن يوسف إلى طنجة، و قد قام الجيش الإستعماري بقمع كل المواطنين بدون تمييز، بما فيهم الأطفال و النساء و العجزة، و قد أثار ذلك الإرهاب الوحشي سخط مجموعات كثيرة من مناضلي الخلايا الحزبية الذين انتظموا في العمل السياسي، و بدأ أعضاؤها يرتابون في سياسة الإنفراج التي كان المقيم العام الفرنسي إريك لابون قد انتهجها بعد الحرب العالمية الأولى وعندما أطلق سراح بعض القادة السياسيين الوطنيين و سمح بإصدار الصحف الوطنية سنة 1946، و قد لا يخلو هذا الإنفراج من فوائد إيجابية للحركة الوطنية المغربية لاستعادة أنفاسها، حينما شرعت في فتح مكاتب و إصدار الصحف و المجلات السياسية.

غير أنّ الإنفراج لم يدم طويلا؛ لأنّ اللوبي الإستعماري من المعمرين، الذين يمسكون حكم البلاد بيد من حديد، تضايقت من النمو السريع و الواسع للوعي في أوساط عريضة من الفئات الإجتماعية المتنوعة، من العمال و التّجار و الحرفيين، مما أدى إلى تطوّر الصراع الإجتماعي إلى جانب النضال السياسي بحجم غير مقبول من طرف أقطاب الحماية، و قد كانت مذابح 1947 من بين الأسباب التي دفعت كثيرا من المناضلين القاعديين إلى اقتناء الأسلحة الخفيفة و الإحتفاظ بها إلى الوقت المناسب.

نهاية فترة الإنفراج السياسي:

حدّد المارشال جوان سياسة جديدة مخالفة لسياسة سلفه الليبرالي إريك لابون حين اختار سياسة المواجهة و مضايقة الحركة الإستقلالية التي انتعشت بكيفية ملموسة بعد الإنفراج السياسي الذي فرضته المعركة على المستعمر، فوضع قيودا صارمة على الأنشطة السياسية بالبلاد كما فرض رقابة على الصحافة الوطنية، و حاول فرض ما يسمى بالإصلاحات الإدارية على الملك و الحركة الاستقلالية، و كان الوعي السياسي يتّسع وسط الجماهير و ينتقل إلى البادية مما يساهم في فك الحصار الذي فرضته عليها الجيوش الإستعمارية، و في نفس الوقت التي تحتدّ فيه عوامل الصراع ضد الإقامة العامة.

و في عهد الجنرال كيوم سارت الأمور على المنهج الذي بدأه المارشال جوان، مما أدى به إلى وضع حد لهامش الحريات التي عاشها المغرب في عهد إريك لابون و قد استغل الجنرال كيوم دعوة الحركة النقابية و الإستقلالية لإضراب عام تضامنا مع الشعب التونسي في كفاحه الوطني، و احتجاجا على اغتيال الزعيم النقابي فرحات حشاد في 8 ديسمبر 1952، ليفرض حالة الطوارئ و يمارس حملة قمع شديدة طالت أغلب قادة الحركة الإستقلالية و

النقابية و أطّرَها، و قد وضعت سياسة الإرهاب هذه القواعد الحزبية أمام تحديات صعبة، وقد قام بعضها بردود فعل عفوية بتنظيم مظاهرات و إضطرابات واسعة كما اهتدى بعضها إلى الإعتصام بالمساجد، في حين وصل الوعي بالآخرين إلى تجنّب التورط في الأعمال التحريضية و بدأوا يفكّرون منذ سنة 1951 في صيغة أخرى للعمل المباشر.

و قد شهد المغرب تحولات كبيرة في الفترة ما بين 8 ديسمبر 1952 و 20 أوت 1953، حيث عاشت البلاد في صراع حاد بين الجماهير المعزولة عن قيادتها وبين القوات الإستعمارية المدجّجة بجميع أنواع الأسلحة الفتّاكة، و لم تقتصر سياسة قيوم على تنصيب محاكم عرفية لمحاكمة القادة السياسيين و النّقابيين بتهمة المس بأمن الدولة الداخلي، بل عمل بكل قوته من أجل إحداث تغيير في الخريطة السياسية المغربية، بإنشاء أحزاب جديدة مصنوعة و إصدار صحف مأجورة تعكس سياسة الإستعمار لفرض نفوذه السياسي على الرأي العام المحلي و الدولي، و تحضير المؤامرة الكبرى لعزل الملك الشرعي للبلاد محمد بن يوسف.

هل العمل الفدائي هو الجواب المناسب؟

إنّ تنفيذ مؤامرة 20 أوت 1953، و تنصيب سلطات صنيعة الإستعمار محمد بن عرفة على عرش المغرب، أحدث هزّة عنيفة وسط شرائح واسعة من الشعب المغربي، و قد وقعت هذه المؤامرة في فترة كانت فيه أنوية المقاومة تتوقعها، و لهذا كان الجواب سريعا و أخذت الأحداث تتوالى في المدن الكبرى، وامتدت إمتدادا واسعا إلى البادية المغربية، الأمر الذي غيّر من مجرى المسيرة السياسية بالبلاد عكس ما كانت تتوقعه السلطات الإستعمارية. و قد حقّق العمل الفدائي انتصارات مهمة في أكبر المدن المغربية و نشر امتداداته إلى البادية في بداية 1954، و بعد حصول التقدم في هذا الميدان، ظهرت فكرة إنشاء خلايا موازية للعمل الفدائي كأنوية أولى للعمل المسلّح في

الجبال. كما أنّ الفدائيين سدّدوا ضربات موجعة لأقطاب الحماية الفرنسية، حيث بدأ قطف عناصر مختارة من قادة مؤامرة 20 أوت 1953 الشيء الذي أرغم الحكومة الفرنسية على البحث عن طريق تنقذها من المأزق الذي وضعت فيه من طرف لوبي المعمرين.

و قد إستعجلت فرنسا السير للوصول إلى وسيلة يقف معها مسلسل الفداء، و الذي كبّد جيوشها هزائم عديدة ليس بالمغرب فحسب، بل في أنحاء مختلفة من مستعمراتها مثل الفيتنام حيث تعرّضت جيوشها لهزائم مرّة مثل ديان بيان فو و في الجزائر، حيث انطلقت الثورة المسلّحة في الفاتح نوفمبر 1954، كما أنّ كفاح حركات التحرير يتطور بالمستعمرات الفرنسية الأخرى في آسيا و إفريقيا بالقيام بانتفاضات متوالية، حتى أصبحت الجمهورية الرابعة بفرنسا تجتاز ظروفا صعبة من الناحية السياسية و العسكرية و الإقتصادية، و تراكمت عليها مشاكل عويصة تولّدت بسببها أزمات متتابعة و لم يبق أمامها سوى اللّجوء إلى اختيارات صعبة للخروج من مأزقها الحرج.

خطورة وحدة المعركة على الإستعمار:

إنّ الشعوب المغاربية الثلاثة خاضت نضالات شعبية سياسية، ثم انتقلت إلى المعارك العسكرية يدفعها الطموح للتحرّر من العبودية و الإحتلال الأجنبي، و من أجل تحقيق إستقلالها الوطني و العمل في سبيل الوحدة المغاربية. و قد أدركت الجمهورية الرابعة بفرنسا بوادر الأخطار التي ستواجهها جيوشها عندما تتحقق وحدة الكفاح المسلّح تحت قيادة حركة تحرير واحدة في كل من تونس و المغرب و الجزائر، و من أجل تفادي ذلك سارعت حكومة منديس فرانس قبل أن يجف مداد إتفاقية جنيف مع حركة التحرير الفيتنامية، إلى فتح مباحثات مع قادة كل من تونس و المغرب،

دشنتها بإنفراج سياسي، بإطلاق سراح مجموعة من قادة الأحزاب السياسية الوطنية من البلدين، تلتها بفتح مفاوضات للبحث عن مخرج سياسي يخفّف عن فرنسا جزءا كبيرا من الخسارات التي تلحقها هنا و هناك، و قد كان الهدف الأول و الأساسي من هذا الإنفراج أن تتمكن الحكومة الفرنسية من فصل المغرب و تونس عن الثورة الجزائرية قبل أن يتوحّد كفاحها المسلّح و يتجذّر وسط المجتمع بشكل يستعصي معه الوصول إلى حلول وسط.

و بالفعل فقد حققت الحكومة الفرنسية جزءا مهما من هذه الأهداف، حيث وصلت مع كل من تونس و المغرب إلى حلول لم تكن مرضية لهما قصد التفرغ إلى الجزائر، و التي كانت في نظرها جزءا لا يتجزأ من التراب الفرنسي، غير أنّ الجزائر استمرت في المعركة التحريرية و بتضامن مطلق من طرف الشعبين التونسي و المغربي إلى أن حصلت على إستقلالها كاملا غير منقوص.

إتفاقية ايكس إيبان:

لم تكن نتائج مفاوضات ايكس ايبان مقبولة لدى كثير من القوى الوطنية المغربية، لأنّها لم تحقّق للشعب المغربي كل الآمال التي يطمح إليها، في الإستقلال الكامل و في الوحدة الترابية، و بقيت أجزاء مهمة من التراب الوطني خارج الإتفاقيات المبرمة بين الدولة المغربية و بين فرنسا و أسبانيا. و لهذا اختارت مجموعة من المقاومين و أعضاء من جيش التحرير الإستمرار في العمل المسلّح من أجل استكمال الوحدة الترابية و تحرير الأراضي التي بقيت تحت سيطرة الجيوش الإستعمارية في جنوب المغرب و شماله، و قد تمكّن جيش التحرير المغربي من فتح واجهات من الكفاح المسلّح ضد الجيوش الفرنسية بالصحراء الشرقية إلى حدود موريتانيا سنوات 1956–1957، و نظّمت عمليات مسلّحة ضد مواقع الجيش الفرنسي في المناطق المجاورة لمدينة

تيندوف، و كذلك في مناطق أدرار بحدود موريتانيا، و قد استفاد جيش التحرير في البداية من تحسّن العلاقات مع القوات الأسبانية بالصحراء المغربية و آيت بعمران، و بفضل دعم مواطني هذه المناطق لجيش التحرير، استطاع أن يفرض وجوده على مناطق واسعة من الصحراء (الإسبانية)، أنشأ فيها مواقع خلفية لتنظيم هجمات على مراكز الجيش الفرنسي في الصحراء الشرقية أو الجنوبية، التي أجّجت الصراع مع الجيش الفرنسي بالصحراء الشرقية و بموريتانيا.

إنّ المعارك التي وقعت في كل من منطقة تيندوف، و رغيوة، و تيكة في موريتانيا، و الصدامات المتوالية مع القوات الإستعمارية أعطت لقضية الصحراء أبعادا جديدة لدى الإستعمارين الفرنسي و الأسباني، وخلق لديهم شعورا بالخطر عبّر عنه الإعلام الفرنسي و أعطاه اهتماما خاصا، ودفعت هذه التطورات بقادة فرنسا العسكريين في إفريقيا الغربية إلى فتح قنوات إتصال مع الحكام العسكريين الأسبان بالصحراء الغربية، لإشعارهم بخطورة ما تقوم به حركة التحرير على مصالحهم بالمنطقة، و التي فتحت على فرنسا واجهة أخرى بالتي تواجهها جيوشها بالجزائر. و قد تمكّنت فرنسا من جر أسبانيا إلى صفها، لأنّ فرنسا مقتنعة بأنها بدون مساندة أسبانيا فإنّها لا تستطيع القضاء على الخطر الذي يهدّد مصالحها بموريتانيا والصحراء الشرقية.

و قد بذل جيش التحرير محاولات لتفادي الصدام مع أسبانيا، و لكنها لم تصل إلى نتيجة مقبولة بل تطور إلى وضعية أسوء حيث لم يكن هناك مفر من الصدام و هو يدرك خطورته.

و في ليلة 23 نوفمبر 1957، نظّم جيش التحرير الهجوم على القوات الأسبانية بمنطقة سيدي افني كما انطلقت عمليات أخرى لجيش التحرير بالصحراء الغربية حقّقت فيها قوات جيش التحرير تقدما ملموسا، إذ

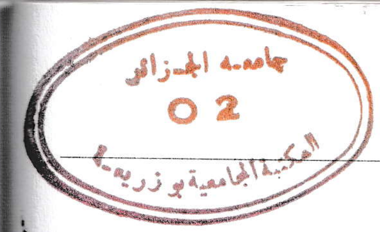
حرّرت المراكز السبعة التابعة لمدينة افني، أما في الصحراء المغربية فقد تمّ تحرير كل من مدينة طانطان، والسمارة، و قرية أو سرد بضواحي تاخلة. كما فرضت قوات جيش التحرير حصارا واسعا على الجيش الأسباني في مدينة العيون، وطرفاية، والتاخلة، و قد حوصر الجيش الأسباني بهذه المدن برا، و دامت المعارك إلى 10 فبراير1958، و هو تاريخ إندلاع "عملية ايكوفيون" الهجوم المشترك بين الجيوش الفرنسية و الأسبانية ضد قوات جيش التحرير، و نظرا لحجم الجيشين الكبيرين من الناحية العسكرية و المادية و التعاون الكبير بين القوتين، لم يكن أمام قوات جيش التحرير سوى الإنسحاب من المواقع البعيدة و عودته إلى مراكز خلفية في منطقة طرفاية في وضعية صعبة، تكبّد فيها جيش التحرير خسائر مهمّة في العتاد و الإنسان.

غير أنّ هذه المعارك رغم الهزيمة العسكرية، فقد حققت مكسبين هامين أولهما اعتراف الحكومة الأسبانية بمنطقة طرفاية و هي جزء مهم من الصحراء الغربية. و فيما يخص فرنسا فقد التحق بالمغرب بعد إيقاف المعارك بقليل وفد مهم من حكومة ولد دادة تحت قيادة محمد فال ولد عمير زعيم قبائل الترارزة، والداي ولد سيدي بابا و ثلاثة وزراء آخرين يمثلون القوى الوطنية بموريتانيا، و قصدوا جيش التحرير و الملك و الحكومة المغربية من أجل تحرير موريتانيا من الإستعمار الفرنسي.

و قد قدّمت إليكم هنا باختصار، بعض ما قام به جيش التحرير في الجنوب المغربي، و يمكن للباحثين أو المهتمين بهذا الموضوع أن يجدوا بعض التفاصيل و المعلومات الجديدة في كتاب

"*صفحات من جيش التحرير بالجنوب المغربي*" سيصدر في نهاية الشهر الحالي، أتمنى أن يكون مساهمة مني في إعطاء صورة عن فترة من تاريخ الكفاح المسلّح بجنوب المغرب.

و ختاما، لا يفوتني هنا أن أطرح بدوري عدة تساؤلات، تهمّ تلك



المراحل الغنية بمبادرات جريئة تهدف إلى تحقيق شعارات تدعو إلى وحدة النّضال ضد عدو مشترك و هو الإستعمار، و بناء كيان واحد لكل أقطار المغرب العربي الكبير، تبعتها بلقاءات متتالية، و مؤتمرات صدرت عنها قرارات مهمة و لكنّها لم ترى النور بعد.

ما هي الأسباب التي حالت دون وصول شعوبنا إلى هذه الأهداف التي رسمها أو فكّر فيها قادة من حركتنا التحريرية في المغرب العربي؟

وفي الأخير أتوجّه من هذا المنبر إلى النّخبة المغاربية، التي قصّرت من دورها في معركة البناء و النمو، فبدل أن تشكل نخبتنا طليعة في بناء مجتمع حديث و قادر على كسب التقدم و التكنولوجيا الحديثة، يبقى رهن إشارة الحكام، و الذين لم يكونوا في غالب الأحيان يعبرون عن مطامح شعوبهم، الأمر الذي أدى بالأقطار المغاربية إلى التباعد و التشتّت والصدام الذي نشاهده اليوم.

*ولد محمد سعيد آيت إيدير بشتوكة، آيت بهاء سنة1925، من قدماء المحاربين، أصبح عضوا بجيش التحرير المغربي سنة 1955، عيّن سنة1956 مسؤولا عن مكتب المفتشية العليا للمقاومة بالدار البيضاء.

معتدلون وجذريون
من أجل التّحرير المغاربي

مؤسسة محمد بوضياف



المتطرفون والمعتدلون في العمل الوطني بالمغرب[1]

محمد معروف الدفالي*

بادئ ذي بدء، أشكر مؤسسة محمد بوضياف على هذه المبادرة الطيّبة، والتي تحتاج إلى التكرار أكثر من مرة سواء هنا بالجزائر أو بتونس أو بالمغرب، لأنّنا نعرف جميعا أنّ تاريخنا تاريخ واحد، ولكن لم نستطع لحد الآن أن نبحث في هذا التاريخ وأن نحلّل ونناقش هذا التاريخ، حتى نعرف منه ما هي الأسباب التي جعلت لقاءنا الحقيقي يتعثر لحد الآن، و الذي حال بطريقة أو بأخرى في تجسيد الوحدة الموجودة في النفوس، و البعيدة بين الفينة والأخرى على الصعيد العملي.

عندما نتصفح بداية تاريخ الحركة الوطنية بالمغرب، أول شيء يثيره كل الناس الذين أسّسوا هذه الحركة هو الحديث عن المؤثرات التي ساهمت في الإنطلاقة الأولى، و يُذكر سواء في الأرشيف أو في مذكرات هؤلاء الأشخاص، أن من بين هذه المؤثرات، الدور الذي لعبته الصحافة الجزائرية التي كانت تصل إلى المغرب، والدور الذي لعبته الصحافة التونسية التي كانت تصل إلى المغرب، و أصداء التحركات التي كانت في الجزائر

* جامعة الحسن الثاني. كلية الآداب، الدار البيضاء.

خصوصا حركة ابن باديس، فهته الأشياء تكرّر باستمرار عندما نأتي إلى نهاية الحركة الإستعمارية حتى في المرحلة التي استقلت فيها تونس و استقل فيها المغرب وبقيت الجزائر تحت سلطة الإستعمار، نجد أن القضية الجزائرية لم تكن قضية جزائرية فقط، بل كانت قضية جزائرية و قضية مغربية وقضية تونسية، بل أنّ مسألة الجلاء في المغرب، جلاء الجيوش الفرنسية عن الجزائر كانت قضية الوطنيين، يشعرون أنها تعنيهم مباشرة بل اعتبروا أنّ أي استمرار للإحتلال في الجزائر هو تهديد للمغرب و تهديد لتونس، ولا يمكن للمنطقة أن تنعم بأي إستقلال حقيقي إلا إذا استقلت الجزائر.

هذه الأمور سواء في البداية أو في النهاية تبين أنّ المسألة، مسألة شمال أفريقيا و مسألة المغرب العربي هي مسألة تعلو على كل المسائل، وربما محتاجة كما قلت سابقا إلى قراءة متأنية و حقيقية في تاريخنا، لأنّنا ربما نتغلب على مجموعة من العراقيل، وتحضرني إشارة إلى الألمان خلال القرن التاسع عشر، لا حضوا تقدم وتحرك فرنسا إلى الأمام، وكذلك بريطانيا، لكن ألمانيا تراوح مكانها، فكان السؤال الكبير هذا دافعا لهم للبحث في تاريخهم ما السبب؟ من نحن؟ ما هي الأسباب التي جعلتنا لا نستطيع التقدم مثل الآخرين؟ فدرسوا تاريخهم وناقشوه وحلّلوه واكتشفوا الأسباب، وكانت الإنطلاقة الألمانية التي نعرفها جميعا، و التي ولو ببعض الإنحراف وصلت إلى الهوس بالرغبة في حكم العالم كله، فدراسة التاريخ مسألة رئيسية، ومثل هذه الندوات هي بدايات رئيسية لهذه الدراسة، وأستسمحكم على هذا التقديم وعنوان موضوعي هو: "**المتطرفون والمعتدلون في العمل الوطني بالمغرب**".

طبعا هذا العنوان كان مقصوداً لسبب بسيط هو: أن الحركات الوطنية في تاريخ المغرب الكبير حسب رأيي هي حركات واحدة، فكرت أن أعطي جردا عاما أفقيا حول الحركة الوطنية بالمغرب، وظننت أنّه من الممكن أن تكون عروضا متشابهة حول الجزائر وحول تونس، لنرى فعلا بعض نقط الإلتقاء و بعض نقط الإختلاف.

إرتبط مفهوم "التطرف" في الأدبيات الإستعمارية الفرنسية بمفهوم "التعصب"، وتَنعت هذه الأدبيات كل رافض للتعامل مع فرنسا بأنه يكره الأجنبي لأسباب متعددة على رأسها الأسباب الدينية، وفي مرحلة العشرينات كان مفهوم "وهابي" في هذه الأدبيات مرادفا لمفهوم "متعصب" و"متطرف"، بل أنّ الفرنسيين كلما خططوا لتصفية الحساب مع وطني معين أو مع جماعة من الوطنين السلفيين نعتوهم أساسا "بالوهابيين".

أما في أدبيات الحركة الوطنية، ظهر مفهوم "التطرف" و"الإعتدال" بعد الحرب العالمية الثانية، وصَنّف المطالبون بالإستقلال الناجز أنفسهم من خلال شعاراتهم بأنّهم متطرفون، بينما نعتوا المختلفين عنهم في التكتيك، أي الذين كانوا يعملون من أجل الإستقلال التام التدريجي نعتوهم بالمعتدلين، وكانت التجربة الحزبية في مصر مثالا في هذا النوع من التنابز معتدل/متطرف، و في هذا العرض سأحاول تتبع التطرف و الإعتدال - طبعا بمفهومه اللّغوي - عبر الخطوط العريضة في مراحل تطور الحركة الوطنية المرحلة الأولى وعَنونْتها:

العمل الوطني بين الاعتدال والتطرف

المرحلة الأولى 1912–1930

يمكن أن نميّز في موقف النّخب المغربية من الهجوم الإستعماري ونظام الحماية في بداياته بين ثلاثة مواقف:

مواقف أو موقف تزعمته فئة إجتماعية سياسية معيّنة، وهذا الموقف هو موقف "التطرف" الموالي(يوالون الإستعمار). وموقف آخر تزعمته فئة إجتماعية أخرى متطرف أيضا لكن ضد الإستعمار، ومابين المساند والرافض موقف ثالث هو الموقف المعتدل أو الموقف الوسط.

الموقف المناصر للاستعمار:

الموقف المناصر تزعّمه بعض رموز المخزن المحلي المعروفون باسم القواد الكبار، وهؤلاء نجح الفرنسيون في استقطابهم بسرعة تَحكم فيها برنامج لتبادل المصالح بين الطرفين، كما كان من رموز هذا التيار بعض المسؤولين في المخزن المركزي، ومنهم من تواطأ ضد البلاد وساهم في استدراج السلطان لتوقيع معاهدة 1912, كما يوجد به كذلك بعض أرباب الزوايا والطرقية اللّذين تجنّدوا لزرع الهزيمة في نفوس الناس، و أشاعوا أنّ الحماية ودخول الإستعمار هو قدر من اللّه، و أنّ الناس ارتكبوا أخطاء معينة في حق دينهم فسلّط اللّه عليهم هذا الغضب، ولا يمكن أن يزول هذا الغضب إلا إذا رجع الناس إلى الطريق، بمعنى أنّ الحماية قضاء من اللّه ولا راد لقضاء اللّه، يضاف إلى هؤلاء الذين اتخذوا هذا الموقف، فئة أخرى و هي مجموعة من نخب التجارة و المال، وهؤلاء كانوا يعتبرون أنّ الفوضى التي سادت بالمغرب قبل الحماية هي بمثابة تهديد لتطور تجارتهم و توسيع ثروتهم، وفي هذا الباب ذكر محمد ابن الحسن الحجوي أنّ المغاربة لما رأوا الجنود الفرنسية مقبلة إلى فاس مدينتهم الدينية وعاصمتهم السياسية، أفرجوا لها عن الطريق يعني أنّهم لم يقاوموها، كما فسّر هذا الإستقبال بقوله «أنّ المغاربة سمعوا بعدل فرنسا وقوة نظامها فعشقوا ذلك ومالت هذه الفئة إليه بكلية جمهورها، ونفضت من فكرها كل تعصب ديني أو جنسي» إذن هذا هو حال الطرف المساند.

الموقف المناهض :

لكن إلى جانب هذا الطرف وبموازاته، كان هناك نوع آخر من "التطرف" هو تطرف مناهض تزعمته البوادي والأرياف أساسا، حيث اندلعت حركات مقاومة مسلّحة بزعامة القبائل في جهات متعددة، أفرزت مجموعة من الملاحم و مجموعة من الرموز المعادية لفرنسا وأسبانيا، منهما أحمد لهيبة

و مح اوحمو الزياني و الد محمد بن عبد الكريم الخطابي، أبو القاسم النقادي، أبو عسوب بسلام، ولائحة طويلة من الذين تزعموا هذه الثورات ضد الإستعمار، يعني مجموعة من الناس الذين أعطوا للسلاح المقام الأول في المعركة، وقد وجد هذا الموقف صداه في المدن على يد عدد من الفقهاء و العلماء، الذين رأوا في المد الإستعماري هجمة صليبية جديدة لا تستهدف المسلمين وحدهم بل تستهدف كذلك الإسلام، و أفتت هذه الجماعة من العلماء مجموعة من الفتاوى، وكتبت الكثير من التحذير من مخالطة الأجانب، والتزيّ بزيهم، والتكلم بلغتهم، وصنّفت كل من أتى أمرا من ذلك في زمرة الكفار، ومثلما أقضّت المقاومة المسلّحة في البوادي مضاجع الإستعمار، أقضّت مضاجعه كذلك نخبة العلماء المناهضة له في المدن، وهذا مثلا ما جعل "ليوتي" أول مقيم عام فرنسي في المغرب، يقول بخصوص العلماء أساسا «لا أخاف على وضعيتنا إلا من أصحاب هذه الجلابيب و البرانس، الذين يترددون على القرويين، ليتحلّق الطلبة حولهم فيبثوا فيهم من روحهم الإسلامية المتعصبة، قبل أن يلقنوهم دروسا في الشريعة الإسلامية»، كما أنّ بعض تقارير الحماية السرّية تؤكّد أن علماء جامع القرويين كانوا وراء انتفاضة فاس التي اندلعت في أفريل 1912 والموسومة في الكتابات الفرنسية باسم "الأيام الحمراء" تارة، و "أيام فاس الدموية" تارة أخرى.

الموقف المعتدل:

كان هناك موقف ثالث بين هذين الموقفين "المتطرف المساند" و"المتطرف المعارض". لم يرتم في أحضان الإستعمار مجانا نظير مصالح فردية ضيقة كما فعل الأوّلون، و لم يراهن على قوة مفقودة كما نهج الطرف الثاني، بل هو موقف نهج منهج الإعتدال، وتعامل مع الواقع بمثابة إشكال وجب التروي والتفكير من أجل معالجته، وعلى هذه النظرة إنبنى موقف المدن تقريبا بعد أن جُرّدت من السلاح بعد فرض الحماية، ويمكن أن نميّز في هذا الموقف المعتدل مرحلتين تمتد الأولى مابين 1912–1918 والثانية بين 1919–1930.

هذا التوزيع ليس بناء على اختلاف الهدف، إنما بناء على بعض التطور الذي حصل على مستوي الوسائل في المرحلة الثانية سيرا مع بعض المؤثرات.

كان من رموز المرحلة الأولى أحمد ابن الموازا وهو عالم وكان متطرفا قبل الحماية، ومن الذين حرّروا البيعة الحفيظية، ومحمد ابن الحسن الحجوي الثعالبي وهذا شخص أصله من الجزائر وتقلّد مجموعة من المناصب في المخزن العلوي المغربي، و يعتبر من أشهر علماء المغرب في نهاية القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، و أحمد الصبيحي العالم السلفي، وعبد السلام بنونة و هو من نخبة الشمال وكان رجل مال بشكل أكبر، ومن نحا نحوهم من نخبة فقهاء و علماء السلفية، وكانت مرجعية هؤلاء إزاء موقفهم بالإضافة إلى سلفيتهم المتنورة إطلاعاتهم على تحولات العالم من خلال أسفارهم ومن خلال قراءاتهم للكتب والمجلات المختلفة، التي كانت تأتي من الشرق خاصة وبعض المترجمات، فمن خلال هذا المُعطى اجتهدوا من أجل تعاون نفعي مع الحماية، واعطوا فكرة الإصلاح الإجتماعي والإقتصادي أولوية في تصورهم، لتهييء جيل تُسند إليه مسؤولية البحث في مصير البلاد.

في هذا السياق كان التحديث، تحديث المجتمع همّا أساسيا في فكر وخطاب هذه النخبة، وكان عليها لموقعها الفقهي والعلمي أن تجتهد قصد تصويغه وقصد تصويغ الواقع عن طريق الإجتهاد، وهكذا بما أنّ التحديث أصبح ضرورة وبما أن الحماية تحمل التحديث فإنّ الحماية تصبح ضرورة، بناء على الفقه المالكي الذي جعل الضرورات تبيح المحضورات، تحكّم في هذا النوع من الإجتهاد ما يمكن أن نسميه بعض إيجابيات الحماية، وعلى رأسها الإستعمار بمعناه اللّغوي أي الإعمار والإنتاج، فالإستعمار في نظر هؤلاء المتنوّرين المبني على حفظ الشرع والعوائد لا يقتضى ما يخالفه، وبناء على هذا الموقف من الحماية وعلى الرغبة في تحديث المجتمع، اجتهدت هذه النخبة في تصويغ المستحدثات الطارئة، فأصدرت مجموعة من الفتاوى تبيح

التعامل بأوراق البنك وكان أغلب الفقهاء قد اعتبرها حراما، وتبيح التعامل بالتأمين وكان كذلك فقهاء آخرون قد اعتبروه حرام، و الإستناد إلى وسائل عصرية مثل التلفون والتلغراف في الخبر الديني وكان بعض العلماء كذلك قد اعتبروها حراما. فهذه الأمور وهذه الفتاوى التي أصدرت كان القصد منها هو توضيح أنّ الدين لا يتعارض مع المدنية؛ وبالتالي فلا يجب على المسلمين أن يرفضوا الحماية جملة وتفصيلا، بل يأخذوا منها المدنية ويهيّؤوا أنفسهم كي يتخلّصوا منها في مرحلة من المراحل، يعني حتى امتلاك القدرة على اللّجوء إلى أساليب أخرى، كما نصحوا المغاربة بأنّ يتبنوا الأشكال العصرية في الإقتصاد و أن يطوّروا فلاحتهم، وحرفهم، و تجارتهم حتى يصبحوا أقوياء، وتصبح لديهم نوع من المغامرة التي يمكن أن يجنوا بها ثروة تمكّنهم من المستقبل، وطالبوهم كذلك بأن يُلحقوا أبناءهم بالمدارس العصرية وأن يستلهموا ما سمته هذه الفئة أسباب "الرقي الحقيقي"، ولم تقف عناصر هذه النخبة عند حدود الإجتهاد والدعوة بل أن بعضها ممن أتيحت لهم بعض الفرص حاولوا القيام بمساهمات عملية إزاء ما آمنوا به، وعلى سبيل المثال حاول محمد ابن الحسن الحجوي الإستفادة من موقعه لمّا أصبح وزيرا للمعارف فهيّأ سنة 1914 برنامجا لإصلاح جامعة القرويين، على غرار ما عرفته الأزهر والزيتونة، إلا أنّه اصطدم بمن لا رغبة لهم في ذلك، كما اجتهد عبد السلام بنونة من أجل عدة مشاريع بشمال المغرب، شملت مجال الإقتصاد والصناعة ومجال التعليم.

كان الهمّ الأول لدى هذه النخبة التي أشرنا إليها في هذه المرحلة ضمن الخط المعتدل، هو تدشين حركة إصلاح ديني و إجتماعي و إقتصادي، وهو الهمّ الذي ترسّخ بشكل أقوى في المرحلة الثانية 1919-1930، وانضاف إليه همّ جديد هو الهم السياسي، و مؤثرات ما بعد الحرب العالمية الأولى، ومؤثرات حركة محمد ابن عبد الكريم الخطابي والمكانة التي اكتسبها أحد المتأثيرين بالسلفية الوهابية المشرقية وهو الشيخ أبي شعيب الدكالي في

أوساط التعليم التقليدي، وكذلك المكانة التي اكتسبها سلفي آخر سبق أن ساهم في المقاومة المسلّحة ضد الفرنسيين وهو الشيخ محمد ابن العربي العلوي إضافة إلى ما راكمته المرحلة السابقة، كلها عوامل ساهمت في تحرير المجتمع والفكر وبالتالي ساهمت في تسييس عدد من القضايا المجتمعية ولو بشكل غير مباشر، فابتداء من 1919 بدأت النخبة وشباب المرحلة حركة إنشاء المدارس الحرة، وهي مدارس كانت بمثابة إدانة غير مباشرة للتعليم الرسمي الفرنسي، وسياسة فرنسا التعليمية بالمغرب.

كما ارتفعت وتيرة مناهضة بعض مظاهر التخلّف الإجتماعي والفكري، وارتفعت وتيرة مناهضة لأرباب الطرق والزوايا باعتبارهم أداة في يد الإستعمار، إضافة إلى الإنفتاح التدريجي مع توالى السنوات على القضايا الفكرية والسياسية العربية والإسلامية بما في ذلك من تحدٍ لسلطات الحماية، و التي كانت ترغب في تطوير المغرب خارج هاتين المنظومتين، وتتويجا لهذه الحركة تكونت في هذه المرحلة مجموعة من الجمعيات السياسية السرّية وصدرت صحافة سرية، كما تمّ توزيع بعض المناشير في بعض المناسبات، وعلى العموم فإنّ موقف التطرف المساند للحماية، كما ساد في هذه المرحلة لم يكن أكثر من موقف مسخَّر، بينما موقف التطرف المناهض مثَّل نوعا من الرفض المسحوب بسِمَة المحافظة والجمود، يعني المتطرفون كانوا محافظين، و المعتدلون كانوا منفتحين.

أما موقف الإعتدال فقد كانت سمته السياسية في البداية الإنفتاح على العصر والمستجدات من خلال الإنفتاح على الحماية، ثم بدأ يتحوّل بالتدريج إلى نوع من التطرّف المعتدل من خلال تجاوز بعض قوانين نظام الحماية. إذن هذه الخطوط العريضة للمرحلة الأولى وهي بدايات بدأت بطيئة وبطيئة جدا.

المرحلة الثانية 1930-1937

المرحلة الثانية تمتد ما بين 1930—1937 وسأمرّ عليها بسرعة، وما يمكن أن أوضحه في هذه المرحلة، أنّ الحركة الوطنية السياسية بدأت في التأسّس سنة 1930 واعتبرت نفسها حركة إصلاح، يعني منذ البداية هي حركة معتدلة و جميع كتاباتها سواء في مجلة *Magrabe arabe* أو في جريدة *l'action de peuple* أو في جريدة *la volonté de peuple* وحتى في دفتر مطالب الشعب المغربي التي قدمت سنة 1934 لم يوضع مبدأ الحماية كمحور للنقاش، أي أن مبدأ الحماية لم يشكل لديهم إشكال، الإشكال هو كيف يتصرف الحماة في هذا المبدأ؟ وكيف لم يراعوا ما اتفقوا عليه في اتفاقيات 1912؟ وبدأ العمل كله في اتجاه واحد وهو إرجاع الحماة إلى معاهدة الحماية، يعني أصبح الوطنيون يدافعون عن معاهدة الحماية وعن ضرورة احترامها حتى لا يتحوّل الأمر إلى نوع من الإستعمار المباشر.

مرحلة ثانية بدأت تعطي بعض التطرف النسبي، هو لما صمّت الحماية آذانها عن مطالب المغاربة، وتعاملت معهم بحوار نعته المغاربة دائما بأنّه حوار الصُّم، حتى حكومة الجبهة الشعبية سنة 1936 لم تستمع إلى المغاربة رغم أنّ من ضمن هذه الحكومة مجموعة من عناصر اليسار التي ساندت الحركة الوطنية المغربية قبل أن تصل إلى السلطة، في فرنسا، هنا بدأ نوع من التطرف، مجموعة من المظاهرات، مجموعة من المطالب المتعلقة أساسا بالحريات التي أعطت مجموعة من الإصطدامات، وهناك نوع من الإتجاه نحو التطرف، وهاتين المرحلتين السابقتين الأولى والثانية في هذه المرحلة توحيان بشيئين رئيسيين، في المرحلة الأولى أصحاب عدم مناقشة مبدأ الحماية هم مجموعة المتخرجين من المدارس والجامعات الفرنسية محمد ابن الحسن الوزاني، و عمر ابن عبد الجليل، واحمد بلفرج...الخ، هؤلاء المرحلة كانت تتطلبهم لإنّ الكتابة في الصحافة كانت بالفرنسية والحديث مع الفرنسيين كان بالفرنسية إلى غير ذلك، هؤلاء حاولوا ما أمكن أن يكونوا

معتدلين مع الفرنسيين، و أن يخاطبوهم بلهجة مؤدّبة وأن يركزوا على المطالب فقط.

الموقف المتطرف:

إبتداء من سنة 1936 تظهر جماعة أخرى و هي جماعة القرويين خرجي التعليم التقليدي، بدأت تستحوذ على المبادرة ، وكأنّ مهمة المتخرجين من المدارس الفرنسية قد انقضت، و بدأ المتخرجون من التعليم التقليدي يسيطرون على المبادرة فبدأت المظاهرات، وهذه المسألة زكّت لدى الفرنسيين بأن المتخرجين من المدارس الفرنسية أكثر انفتاحا وأكثر تقدما وأكثر قابلية للتعامل، بينما المتخرجين من التعليم التقليدي هم متعصبون و يكرهون الأجنبي إلى غير ذلك من هذه الأشياء، هذا التصنيف الذي بدأ في هذه المرحلة أو هذا الإختلاف الذي بدأ في هذه المرحلة بين مجموعتين داخل الحركة الوطنية سيترسخ أكثر و سيقود إلى انقسام الحركة إلى جانب أسباب أخرى إلى مجموعتين: مجموعة مع محمد ابن الحسن الوزاني زعيم للتوجّه الليبرالي التغريبي، ومجموعة مع علال الفاسي كزعيم التوجه الذي يحافظ أساسا على الهوّية، وتصنّف كل الكتابات الإتجاه الأوّل أنّه اتجاه عصري معتدل، بينما تصنّف الإتجاه الثاني بأنّه إتجاه متطرف.

إذا تتبعنا الأحداث تبدو لنا هذه الكتابات وأنّها على شيء من الحقيقة، لماذا؟ لأنه لما وقع الإنشقاق، التطرّف بدأ مباشرة من مجموعة علال الفاسي، المسألة الأولى أنّهم أسّسوا حزبا سياسيا ضد قوانين الحماية، و فتحوا له مقرا وبدأو يستقطبون الأنصار، ثانيا أنّهم بد أو يأخذون اليمين على المصحف من الأنصار إخلاصا للحزب، وللملك، وللبلاد، والأكثر من ذلك أنّهم مباشرة بعد هذه الأعمال بدأو يتدخلون في مجموعة من الأمور المتعلقة بالبادية، ومشكل الحماية في هذه المرحلة كان هو البادية، فقد تترك أهل المدن يتحركون لأنّهم أقلية لكن أهل البادية هم الأغلبية من جهة وأميل إلى العنف من جهة أخرى، فكانت تخاف أن يتسرّب إليهم العمل الوطني .

الحزب الوطني تسرّب إلى البادية وحرّك مجموعة من الجهات التي كانت تصارع الحماية أما من أجل الأرض أو من أجل الماء، فقاد مظاهرات في آيت يمور وقاد مظاهرات في نواحي مراكش، قاد مظاهرات في ناحية بني يازغة وقاد مظاهرات في مكناس إلى غير ذلك من الجهات البدوية الشيء الذي صنّفه أكثر بأنّه حزبا متطرفا، في نفس السّياق لما وصلت العلاقة مابين الحماية و بين هذا الحزب إلى نوع من الباب المسدود اتصلت الحماية بزعيم الحزب لمناقشة الأمر معه، فكان أن أغلظ الكلام و حاكم الحماية في جلسة فيم بينه وما بين حاكم جهة فاس، المهم أنّ هذه المسألة أدّت في النّهاية إلى اعتقال زعيم الحزب محمد علال الفاسي ومجموعة من القياديين الآخرين في هذا الحزب الوطني.

الموقف المعتدل:

الواقع أنّ الطرف الآخر، الطرف الذي صنّف معتدلا، الوزاني لم يطلق على تنظيمه إسم حزب بل أطلق عليه فقط إسم حركة، حركة قومية لأنّه راعى مسألة المنع، و كذلك لم يفتح أي مقر بل مقر جرائد الحزب هو الذي كان مقرا للحزب، لم يكن له مكتب مسير بل فقط الذين يشرفون على الصحافة هم الذين يسيرون الحزب ، بمعنى أنّه كان معتدلا في كل شيء و لم يخرق القانون، لكن الواقع أظهر أنّ الموقف الإعتدالي لم يكن ليذهب بعيدا ، في أحداث مكناس التي ساهم فيها الحزب الوطني وساهم فيها كذلك القوميين وكانوا أكثر حضورا حتى من الحزب الوطني، استمروا معتدلين لكنّهم في فترة تطرفوا بشكل مباشر، لما تمّ اعتقال علال الفاسي استدعت الحماية أحمد ابن الحسن الوزاني لتسأله رأيه في الأمر فساند علال الفاسي، والأكثر من ذلك أنّ الحركة القومية هي التي قادت مظاهرات فاس وهي التي اصطدمت مع الحماية اصطداما عنيفا واعتقل عدد كبير من أفرادها ونُفي الوزان، بل أكثر من ذلك لأنها أعطت تضحيات أكثر لأنّها فقدت أحد

رموزها وهو محمد القري الذي قتل تحت التعذيب في معسكر اقلميمة، إذن بالنّسبة لنا هذه المرحلة كان هناك طرف متطرف، وطرف معتدل، لكن الطرف المعتدل لم يستطع الإستمرار في اعتداله فانحاز نحو التطرّف .

المرحلة الثالثة ما بعد 1937

الموقف المعتدل:

أعتقد أنّ المرحلة الأخرى هي مرحلة ما بعد 1937 الذي ساد فيها هو الإعتدال، الأحزاب أصبحت غير موجودة على الساحة، بعض الناس الذين لم يعتقلوا أو قضوا سنتين أو ثلاث ثم خرجوا، لم يستطيعوا فعل أي شيء، بل بدأو يطرقون باب الحماية، حتى وهم كعناصر من الحزب الوطني الذي كان متطرفا وبد أو يبحثون عن إصلاحات مهما كانت بسيطة، بل أكثر من ذلك لما أعلنت الحرب العالمية الثانية اضطروا إلى تكوين وفد لمساندة فرنسا بمعنى أنّ المعتدل تحوّل إلى متطرف، والمتطرف تحول إلى معتدل، هذا الواقع هو الذي وضّح لنا أنّ التطرف والإعتدال أي منهما لم يكن قاعدة ولا استثناء، بالنسبة لنا في العمق الإعتدال هو القاعدةً، و التطرّف هو الإستثناء.

استمرت الحركة معتدلة و لم تبدأ في أي تحرك متطرف آخر، إلا لما طرأت عوامل خارجية، و النتائج التي أفرزتها الحرب العالمية الثانية ، ونزول الحلفاء في المغرب سنة 1943 أنعش الحركة من جديد، وهنا جاء مطلب متطرف آخر هو مطلب الإستقلال، عندما نتمعن جيدا في مطلب الإستقلال سنة 1944 لا نستطيع أن نضبط العوامل الداخلية الضعيفة، والعوامل الخارجية لها وقع أكثر، ولما نتمعن في وثيقة المطالبة بالإستقلال نفسها كشعار متطرف، لكن كمضمون معتدل ،لأنّ حتى الإستقلال لم يكن مطلبا قويا في هذه الوثيقة، لما نتحدّث عن الوثيقة نتحدث عنها كمطلب للإستقلال و الديموقراطية ، ولكن ليس بشكل قطعي ولا توجد قطيعة ، لأنّ القطيعة لا

تدفعك إلى دفع مطلب إلى الحماة، التطرف ربما يدعوا إلى إعلان الإستقلال أما أن تقدم إلى الحماة مطلبا تقول لهم أريد الإستقلال هنا موضع الإعتدال .

الموقف المتطرف:

ظهر الحزب الوطني الذي أصبح حزب الإستقلال وقدم الوثيقة في 11 يناير وكان متطرفا في مطالبه، لكن بعد يومين فقط المعتدلين الذين صمتوا - مناصرو الوزاني - في 13 يناير الحركة القومية قدمت هي كذلك وثيقة وطالبت بالاستقلال، إذن لم تبق هي الأخرى معتدلة، وانحازت إلى التطرف، هذا النوع من العمل هو الذي استمر حتى لما تأسّس الحزبان حزب الإستقلال وحزب الشورى والإستقلال، والجديد في الأمر أساسي لأنّه مباشرة بعد الحرب العالمية الثانية بدأ كل حزب يدّعي التطرف ويتّهم الحزب الآخر بأنّه حزب معتدل، لما مثلا حزب الشورى والإستقلال قدّم مذكرة إلى سلطات الحماية يطالب فيها بدستور للبلد، وبالإتفاق على استقلال مرحلي و تدريجي، نعته حزب الإستقلال بأنّه حزب معتدل، ولما طالب حزب الإستقلال برفع القضية إلى هيئة الأمم المتحدة نعته حزب الشورى و الإستقلال بأنّه حزب معتدل، وأنّ القضية المغربية يجب أن تحل من الداخل، ولما سمح حزب الإستقلال لبعض عناصره بالدخول في مجلس شورى الحكومة، اتهمه حزب الشورى بأنّه حزب دخل في مجلس يؤمن بالسيادة المزدوجة، و بقي هذا النوع من التنابز بين الحزبين، المهم هنا لا حزب الشورى نجح في مذكرته مع الحكومة ولا حزب الإستقلال استطاع عناصره أن يصمدوا كثيرا في مجلس شوري الحكومة، بل اصطدموا مع المقيم العام فانسحبوا وأصبح الحزبان معا في الباب المسدود، فكانت جبهة 1951 التي شاركت فيها الأحزاب الأربعة المغربية والتي أكدت على ضرورة رفض أي حوار مع الحماية، لأنّ الكل أصبح متطرفا في هذه المرحلة، و رفعت القضية المغربية إلى هيئة الأمم المتحدة وبدأ النّضال الخارجي هناك.

في هذه الشروط كان الصراع مع الحماية محتداً والإصطدامات كثرت. صدام 1947, وصدام 1952 و1953 الذي أدى إلى نفي السلطان، و وصلت العلاقة إلى الباب المسدود.

إندلع تطرف حقيقي هو تطرف المقاومة المسلّحة، من منطلق عادٍ هو أن ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترجع إلا بالقوة، وبالنّسبة لهذه الحركة قادها جيل آخر ليس جيل السياسيين، جيل لا ينتمي إلى القيادات السياسية، جيل ينتمي إلى القواعد، ينتمي إلى العمال و أبناء الفلاحين، هؤلاء هم الذين جاؤو بسياسة أخرى هي سياسة المقاومة المسلّحة، وداخل سياق المقاومة المسلّحة بدأ التفكير في تطرف أوسع بين حركات التحرير في شمال أفريقيا، وفي المغرب العربي من أجل مقاومة أوسع تشمل المنطقة كلها، ربما ومابين قوسين أنّ السياسيين أحسوا أن في هذه المرحلة أن البساط سيسحب من تحت أرجلهم خاصة في تونس وفي المغرب، ودخلوا في مفاوضات أدّت إلى إستقلال تونس و إستقلال المغرب، في هذه المسألة المتطرف ناضل والمعتدل فاوض، والذي أخذ الإستقلال أو الذي سُمي أنّه أخذ الإستقلال هو المعتدل و ليس المتطرف. بمعني كيف استطاع السياسي أن يستغل عمل المقاومة المسلحة لمصلحته؟ .

1- المحاضرة منقولة عن شريط سمعي

تهميش الشعبوية الثورية: مشروع جيش التحرير المغاربي والتخلي عنه

روني غاليسو*

ترجمة: لحسن عيساني

« ربما كان مهمّا لا محالة أن نتأمّل من منظور مغاربي مسألة علاقة المقاومة المسلّحة بالحركات السياسية من ناحية، ومن ناحية أخرى مسألة فوائد القومية بالنّسبة لتحويل البنى السياسية والثقافية للمجتمعات المغاربية وعصرنتها. و من بين ما يسمح به ذلك التحقّق إن كانت نتائج هذه الأطروحة خاصة بالحالة المغربية». كانت هذه الجملة الأخيرة من أطروحة في التاريخ ناقشها محمد زادي عن جيش التحرير بالمغرب[1].

والتي تتّسم نتائجها بالقوة « لم يكن لقادة المقاومة إلا القليل من الميزات المشتركة مع قادة الأحزاب السياسية القومية...» ونقطة اللّقاء الوحيدة ليست في العمق سوى هدف الإستقلال، وليس الطرق المؤدية إليه، فالمتطرفون هم أنصار العمل المباشر والكفاح المسلّح. و مع ذلك يتّفقون على "صيغة غامضة" لـ "مَلكية دستورية تتلاءم مع تعاليم الإسلام".

* المعهد المغاربي-الأوروبي، جامعة باريس 8

وربما وجب أيضا أن نلاحظ أنّ المرجعيات الدستورية من صنع الأحزاب القومية بينما المقاومة تقوم باسم الشعب، قومية سيادة الدّولة من ناحية، ومن ناحية أخرى شعبوية لجميع المذاهب.

وراء هذا الواقع السياسي، يختفي كون هؤلاء المتطرفين هم مهزومو تاريخ التحرير الوطني. فأكثر الوفيات في صفوفهم فبعضهم سيقصي، ويغتال. و من بقي على قيد الحياة عانى العزلة أو النفي. ويبيّن اغتيال محمد بوضياف الجماعات المعزولة التي جعلت الإغتيال ممكنا والتحقيق دون نتيجة، ويبقى لمن بقي على قيد الحياة أن يظفر بالاعتراف له بصفة المجاهد، وعند البعض أن يظهر في الهيئات التذكارية. وتمثّل الاحتفاءات والأماكن التشريفية التي تشفع أحيانا بمنح للبقاء بعيدا هي الشكل الرسمي والمهذّب للتهميش.

وترتكز أطروحة محمد زادي بالنسبة للتحرير المغربي على 30.000 ملف لطلبات بطاقة المقاوم، وعلى التقارير الجهوية المتمركزة في الرّباط والمعدّة من قِبل "المحافظة السامية لقدامى المقاومين وقدامى أفراد جيش التحرير".

ويعود لقب مقاوم إلى ظهير 15 جانفي 1973، الذي قرّره الحسن الثاني ساعة تعزيز النّظام الملكي عند نهاية المؤامرات. و لم يؤخذ بعين الإعتبار سوى النشاطات المسلّحة التي تمت ابتداء من 15 أوت 1953، أي أياما قبل عزل السلطان محمد في 20 أوت وإلى غاية إعلان الإستقلال في أفريل 1956. إنه تعريف "ثورة الملك والشعب" وهو استحواذ رائع على الثورة، وأؤكد على كلمة ثورة، فقبل أوت 1953 لم تكونوا مقاومين ولا حتى بعد اتفاقيات الإستقلال حتى أنّكم مشتبه بكم. ويجدر التذكير بأنّ ولي العهد قائد القوات الملكية المسلّحة قبل أن يصبح الحسن الثاني، هو من قاد عام 1958 قمع جيش التحرير مواصلا الكفاح في الريف وفي الجنوب الصحراوي. وكان الإعتراف انتقائيا ويتجاوز التهميش مع أنّ مشروع ومحاولات جيش التحرير كانت قبل ذلك، وحرب التحرير الجزائرية التي امتدت حتى 1962.

لكن لم يبق في العمل سوى جيش التحرير الجزائري في جباله داخل وخارج هذه القواعد التنظيمية العسكرية وأجهزة القيادة والتسليح على الحدود، وجيش التحرير المغاربي كان قد تبخّر.

مشروع وتنسيق جيش التحرير المغاربي

انعقد في القاهرة تحت إشراف الجامعة العربية مؤتمر المغرب العربي من 15 إلى 22 فبراير عام 1947، ورسمت فكرة جيش التحرير المغاربي، وأوكل أمر التنسيق إلى مكتب الربط والإعلام للمغرب العربي وفلسطين. والحقيقة أنّ الجامعة العربية كانت تضم الدول المعترف بها وكان ممثلو الدول هم الذين يتدخلون، لذا كان المكتب يتكفّل بالمناطق التي ليست فيها دول مستقلة، وكانت الحركات الوطنية هي الممثلة ومشروع الجيش هو مشروع جيش تحرير.

وقد تركّز الإهتمام الأوّل على القضية الفلسطينية أكثر من شمال إفريقيا، غير أنّ الربط استمر من خلال حرب التحرير الوطني، وكان مزمعا افتتاح مكتبين في دمشق والقاهرة، والواقع أنّ كل ذلك كان يتمّ في القاهرة تحت عين الاستخبارات المصرية وتحت الرّقابة، إن لم يكن بمبادرة السلطات المصرية خاصة بعد عام 1952.

وقد أرسل ثمانية شبان مناضلين مغاربة عام 1948 لإجراء تربّص مسلّح في الأكاديمية الملكية في بغداد، وكانت تلك النواة الرئيسية لجيش التحرير المغاربي. وبوصفهم أعضاء في مكتب المغرب، كان في القاهرة مبعوثو الأحزاب القومية لشمال إفريقيا، كما كانوا يستطيعون الإقامة في ليبيا وأن تكون لهم اتصالات، وموفدون لينتقلوا بعد ذلك إلى تونس وأسبانيا ويدخلوا إلى المغرب في المنطقة الجنوبية الواقعة تحت الحماية الأسبانية. وأثناء منافسته فرنسا المتروبولية والإستعمارية، كان فرانكو والسلطات العسكرية والمدنية الأسبانية في عين المكان يتسامحون مع التجاوزات بل مع معسكرات

التدريب، لكنّهم كانوا يطلبون أن يتم إخطارهم أو بالأحرى يضعون قيودا على النشاط.

أما عن سياسة أسبانيا، فقد كان الوجود المسلّح المغاربي والإحتياطيات السرية وسائل ضغط، كما أنّ الإنتقال إلى الفعل قد علّق عموما. وقد أدّت هذه الصلات مع الاستخبارات الأسبانية إلى رقابة تسمح بتبادلات بما في ذلك التبادلات مع الاستخبارات الفرنسية، وأوجدت تبعية لا تدرك دائما.

كان المركز العضوي والسياسي في القاهرة وأكثر من طرابلس، كانت مدريد هي منطلق اللّقاءات والتنسيق وهو ما بقي للقضية الفلسطينية. أما بالنّسبة لجيش التحرير المغاربي فستكون نقاط الإنتشار قرب تطوان والنّاضور ونقطة العبور إلى الجزائر والصلات مع مقاومي الجبال الأطلسية تمرّ عبر وجدة.

وستصبح هذه القواعد قواعد جيش التّحرير الجزائري، غير أنّ هذا التأسيس يتمّ ببطء شديد، وستصبح عملية عام 1953 قبل أن تصير فعّالة عام 1955-1956. وفي القاهرة وتحت رقابة سياسية مصرية، كان مكتب المغرب العربي شكليا أكثر منه عمليا. وكانت مطالب الأحزاب السياسية أو آفاقها تلغي بعضها بعضا بسهولة وانقسمت البعثة المغربية إلى أربعة أجزاء، اثنان منها في منطقة الشمال واثنان في منطقة الجنوب، مما يعني في الواقع الأحزاب المتنافسة التي تحملها العائلات البرجوازية في تطوان وطنجة في المرتبة الثانية وفاس أساسا و سلا - الرباط. وقد تفوّق همّ الوضع الإجتماعي في الدولة السيّدة على التطرّف إن لم يناقضه، وكانت الحركتان الوطنيتان التونسية والجزائرية تقدمان نفسيهما على أنّهما حزبين وحيدين. وإن كان التمثيل الدستوري يمكن أن يمحو الدستور القديم، فقد جرفته المسيرة إلى نجم زعامة الحبيب بورقيبة الذي لم يكن يملك السيطرة على التنظيم الحزبي الذي كان يتولى أمانته العامة صالح بن يوسف. وكانت الخيارات أيضا عبارة عن

الجديد "الإتحاد العام للعمال التونسيين" (UGTT).

أما التمثيل الجزائري فكان يقتصر على "حزب" واحد وهو حزب الشعب - حركة الانتصار P.P.A-M.T.L.D، غير أنّ الحركة المصالية هي التي انقسمت بين التيارات وجميع المندوبين الشباب الذين كان يطلق عليهم المداومون، ولا يستطيعون أن يكونوا كذلك لأنّ البعثة تتغير من أجل وجود مستمر نوعا ما في القاهرة (كان كل من محمد خيدر، وآيت أحمد في القاهرة عام 1951 حيث استقدما أختين من أجل نوع من المصاهرة، وكان احمد بن بلة موجودا هناك عام 1953 حيث بدأ يتعرّب بشكل ما).

وكان الانقطاع أيضا بسبب التموقعات الشخصية وإن كان فيما عدى تصريحات الإجماع العربي، المكتب لم يكن يستطيع أن يكون مركز المبادرة والعمل متواز وسيختلط مع التحضير السري.

وفي الواقع، الاندفاع والتشاور كان يقوم بهما الأمير الخطابي، وتجدر الإشارة أن لا أحد من الأحزاب الوطنية التي كانت تشكّل مكتب المغرب العربي طالب بتحرير الأمير الخطابي، وقد فرّ هذا الأخير وأقام في القاهرة بعيدا عنهم. وهو من بعث مشروع جيش التحرير المغاربي وقاد الشبان المتطرفين الذين كانوا هم المبعوثين في مهمة والمكلّفين بتأسيس أنوية التدريب المسلّحة والشبكات الدقيقة جدا المكوّنة من رجال المقاومة في الجبال والخلايا السرّية في أحياء مدن الهجرة . وابتداء من صيف 1953 انتقل أحمد بن بلة إلى ليبيا وغطى كيفما اتفق الشرق المغار بي التونسي - الجزائري، وفضلا عن ذلك عجّل محمد بوضياف بالتحضيرات انطلاقا من مدريد وقام بجولات في المنطقة الشمالية للمغرب حيث توجد مستودعات الأسلحة(الناضور) ومراكز التدريب(قرب تطوان)، متّصلة بمعابر وجدة ومخابئها والقواعد العسكرية لخميسات والقنيطرة التي يكثر فيها الفّارون من الجيش الفرنسي. ولا يعلم هؤلاء السّريون الخارجون عن القانون بالضرورة أنّهم يشكّلون جيش التحرير المغاربي، لكن تحت هذا الإسم اتخذت

القرارات والأوامر وحرّرت البيانات، وربما قيل أنّ هناك التباسا بين المنظّمة السرّية الجزائرية والمغربية وجيش التحرير، ونحن هنا بصدد التحضير لثورة مسلّحة، وأكثر من ذلك بعد مجزرة 10 ديسمبر1952 في بورصة عمل الدار البيضاء تمّ خلع السلطان في أوت 1953 وتعزيز الجماعات السرّية المغربية (اليد السوداء ثم الهلال الأسود)، وكذا نشاط المقاومة عن طريق العمليات والهجومات المباغتة. وستظل الصلات السرّية بين هذه التنظيمات قوية جدا، ويجدر التّذكير بفرار فقيه البصري من سجن القنيطرة الذي وضعه في قلب علاقات النشاط الثوري، والتي لا تخلو من اتصالات مع الإستخبارات الأسبانية.

وأعدّ مخطط عمل جيش التحرير المغاربي في أوت 1952 وتأكد من خلال لقاء في مدريد في أعقاب جولة محمد بوضياف، وتعزّز التنسيق بين أولى الشبكات ورجال المقاومة في بداية أكتوبر 1953. ولضمان مرور الأسلحة واللاجئين إلى المنطقة الشمالية عقد عبد الكبير الفاسي اتفاقا مع الجنرال فالينو Valino المحافظ السامي الأسباني، الذي طلب بالمقابل أن يكون على علم بالتحضيرات للثورة.

وقد عاد محمد بوضياف عدة مرّات ليتكفل بهذا التحضير المسلّح(أوت 1954 ثم في نهاية 1954 وبداية 1955)، وكان هذا الجيش في جزء منه جزائريا ويشكل الإحتياط والبديل لثورة أول نوفمبر 1954، وخاصة بمعسكرات تدريب قدامى الجيش الفرنسي تحت قيادة نذير بوزار، الذي كان هو نفسه نقيبا في الجيش الفرنسي. وعندما كانت الأسلحة تصل وتقسّم انطلاقا من الناضور، كانت تقسّم على مجموعات جزائرية ومغربية وكان مقرّرا لها سواء أن تعبر الحدود إلى رجال المقاومة الجزائريين أو إلى جبال الريف والأطلس الأوسط على وجه الخصوص. و تكرّر نشاط الجماعات المغربية منذ أوت1953 (وجدة)، وامتدّ عن طريق العمليات خاصة في الدار البيضاء، وتوفي محمد زرقطوني يوم 18 جوان 1954، وقد أدى القمع الاستعماري إلى

لعزلة في المخابيء الحضرية ومواقع المقاومة الآنية، في ظل هذا التشتّت لم يكن جيش التحرير المغاربي سوى شكليا كصيغة شاملة لجيش تحرير جزائري يجهد نفسه لضمان تنسيق بين الولايات من ناحية، ومن ناحية أخرى لقواعد المقاومة المغربية في الجبال وحتى الصحراء والجماعات الحزبية السرّية في المدينة. ورغم أنّ الاستعدادات الثورية أنعشت في المغرب (الأطلس الأوسط وتادلة) وكذلك في الشرق الجزائري بعد وفاة ديدوش مراد، وفي ربيع 1955 ازدادت العزلة إلى حدود التصدّع، ولتفادي هذا التهديد بالضياع فإنّه من المتوقّع على ما يبدو خلال زيارة لمحمد بوضياف إلى المغرب، أن يكون هناك هجوم مشترك، وقد اقترح الأنصار المغربيون يوم 18 جوان 1955 ذكرى وفاة محمد زرقطوني ، لكن الوقت كان مبكرا جدا وأثناء اجتماع خماسي في مدريد (عبد الكبير الفاسي ، عبد الكريم الخطيب، وعبد الرحمن اليوسفي عن الجانب المغربي، وأحمد بن بلة، ومحمد بوضياف عن الجانب الجزائري) تمّ الاتفاق على تاريخ آخر للذكرى لإعطائها دلالة مغاربية ألا وهي ذكرى خلع السلطان يوم 20 أوت 1955.

وربما بدأ عمل زيغوت يوسف معزولا في منطقة قسنطينة، وقد طبع فعلا الانتقال من الثورة الجزائرية الحضرية بالأساس، إلى حرب داخلية وريفية أو قروية لكنها لا محالة تشهد أيضا على نهاية جيش التحرير المغاربي في المنظور الواقعي، لكن النّشاط الثوري يبقى شائعا بالنسبة لأنصار الكفاح الفوري للتحرير الوطني. وقد كانت هناك محاولتان للثورة في أكتوبر 1955 في الريف والأطلس الأوسط وستستأنف الهجمات في جانفي وفيفري 1956. لكن في هذا التاريخ تسارعت المفاوضات التي كان قد بدأها الوطنيون أو وافقوا عليها لتصل إلى معاهدة 16 مارس 1956.

وبأمر الملك أعلنت معركة التحرير معركة منتهية، صحيح أنّ الأسلحة لم توضع وأنّ الاغتيالات وتصفية الحسابات تواصلت، لكن المقاومين القدامى استدعوا إلى الإنضمام إلى صفوف القوات المسلّحة الملكية المؤلّفة أساسا من

استدعوا إلى الإنضمام إلى صفوف القوات المسلّحة الملكية المؤلّفة أساسا من الفيالق القديمة المغربية في الجيش الإستعماري التي كان الحسن الثاني ولي العهد قائدا لها. وبهذا كان جيشا تحرير المغرب: جيش الريف وجيش الجنوب اللذين تحطما عام 1958 هما وريثا جيش التحرير المغاربي.

وسيكون للنّشاط السرّي للإعداد للثورة المسلّحة استمراره أو بالأحرى تكراراته إلى غاية عام 1973 . الأماكن نفسها في الأطلس وتادلة والمعابر الصحراوية، والمناضلون أو أبناء المقاومين أنفسهم، وأيضا اختلاط الممارسات السرّية دون ذكر عادات الاتصالات التآمرية مع الاستخبارات. إذ أنّ الاستخبارات وفيما يشبه تجديد النشاط السري، هي أيضا أماكن استقبال لبعض تلك المنظّمات الخاصة المتعاقبة، وفي الآن نفسه هي بالأساس استمرار لمصالح الحماية. ربما كان هذا هو التعاقب المخزني للدولة ويسمح هذا التاريخ "الوضعي" لضياع جيش التحرير المغاربي برؤية قوة استمرارية الدولة، والحقيقة أنّ الأمر يتعلق بتهميش تعود دلالته المحافظة للتاريخ الإجتماعي والسياسي.

خاسرو التحرير الوطني: تهميش المناضلين والشعبوية الثورية

بداية، يجب العودة إلى سنوات 1947-1948، حتى لا نقع في لبس حول الإحالات إلى التعريب على طريقة حركة التحرير الوطني العربي وجيش التحرير المغاربي، والأمر المركزي هو التزام التحرير الوطني، وإجمالا إرادة الانتقال إلى معركة الاستقلال.

ويقدّم التمجيد التاريخي للمقاومة الوطنية ضدّ الفاشية والإحتلال، خاصة على المنوال الشيوعي في اليونان وإيطاليا وفرنسا وتكراره في الكفاح ضدّ الاستعمار في الهند الصينية، وآسيا، وإفريقيا نماذج التنظيم والإتجاهات السياسية التي كانت تعتمد على جبهات التحرير الوطني وكذا جيوش

وهكذا ظهر الخطاب الوطني، ألا وهو خطاب الأحزاب والدعوات إلى الكفاح والثورة، تربط بين حروب التحرير الوطني وكان الإعداد المسلّح سرّيا في تنظيم قائم على نموذج المثلث بالاحتفاظ بالسر، والمخابيء باستعمال وثائق مزورة، وأسماء المعارك بتقصي الأخبار من خلال الدخول إلى أجهزة الدولة عن طريق الأقارب والمعارف.

وقد أنشأ نشاط المقاومة شبكات ظل مكوّنة من بعض الأنوية الهشة والمتقطعة لكن المتكررة، ومنه تكرار الأماكن (المناطق والأحياء)، والعائلات وروابط الرفقة منذ الطفولة والمدرسة و الثانوية ومراحل الهجرة والعمل.

ونشاط المقاومة هذا يحضّر الثورة، وكان الخيار هو الانتقال إلى الفعل و جمع الأسلحة والمتفجرات وإخفاؤها، والتخطيط للعمليات والهجمات.

هذا ما كان يشار إليه على أنّه النهج الثوري مقابل المذهب الإصلاحي التدريجي للزعماء السياسيين والمفاوضات بين أعيان الإدارة و الأحزاب، كان ينتظر الأمر بالانتفاضة التي يطلق عليها ثورة. صحيح أنّ المذهب غير كاف لهذا الفكر الأحادي وهذه المقاومة هي بعمق شعبوية تحرير، والتحرير الوطني يعني انتفاضة شعب مقهور، لكن كلمة شعب تحمل معنى اجتماعيا يعبّر أيضا عن العنف المعيش من البؤس والإستغلال.

كما أنّ أمل الإستقلال الوطني كان كذلك الأمل في العدالة الإجتماعية، وهو أيضا ما تعبّر عنه كلمة ثورة. وفي عام 1947–1948 كانت المقاومة تندرج ضمن التقاء حروب التحرير التي تستند إلى القومية العربية التي كان منتهاها الحاسم هي الهزيمة في فلسطين، لأنّ الدولة الفلسطينية هي مركز حساسية واهتمام حركة تحرير القومية العربية.

ويعدّ هذا التذكير ضروريا لفهم ما أسمّيه المفارقة البربرية لهذه المقاومة الثورية العربية، والإختلاف الإجتماعي العميق الذي سيجعل من المقاومين خاسرين، إن لم يكونوا مهزومي الإستقلال الوطني وبناء الدولة. وتحيا

خاسرين، إن لم يكونوا مهزومي الإستقلال الوطني وبناء الدولة. وتحيل القواعد الجهوية وأنصار هذا النّشاط السري إلى الموطن البربري، وبالنسبة لمهاجري المدينة إلى تجمعات تكرّر جماعة المنطلق وتجمع بين علاقات الجوار وعلاقات القرابة. وطبعا يقدّم النزوح الريفي وفعل الهجرة المفاتيح، كما ينتج نوع من الإعادة، إذ أنّ جزء من المقاومين هم جنود سابقون في الجيش الفرنسي، وهكذا فإنّ التجنيد في الجيش أو تمديد الخدمة، ومرور الأبناء والشبّان بالمدارس العسكرية يشكّل طريقا آخر للخروج من القرية والحصول على راتب.

والمناطق الريفية نفسها (القبائل، الأوراس، الريف والأطلس، وشبه الترحال، ومتاجر واحات الجنوب الصحراوي) التي تقدم منذ زمن طويل في آن واحد جنودا ومهاجرين، وباعة جوالين، وعمال ورشات، وتجارا، وعمالا في المدينة وفي المهجر.

وسنجد بلدان المنشأ هذه والبلدان البديلة بواسطة تلك الضياع نفسها في الخلايا السرّية الحضرية، وحتى في الصعود إلى الجبل.

ولا ينبغي لهذا التفسير الواقعي أن ينسينا أنّ هذه الأسبقية في الهجرة وربما في التمدرس، والتكوين العسكري، وخاصة النقابي لا يمكن أن تفصل عن قضية الأقليات بالنّسبة للمواقف المسيطرة في مجتمع ماقبل الإستعمار الذي استغلته السياسة الإستعمارية بطريقة أو بأخرى. ويظل هذا الطابع الأقلي الطائفي في الممارسات العلائقية، والذي يوجد أيضا في التناقضات والأزمات بين التيارات الوطنية والإنخراط في التجنيد أوفي الثورة الوطنية والأمّة الموحدة لحركة الاستقلال شكلا من التجاوز لهذه التبعيات التي يقال عنها عرقية. وسواء فكّرنا في مكانة القبائل السياسية أوفي مشاركة القاعدة في المغرب لتجّار وعمال سوسة، حتى لا نتحدث فقط عن الهجرة الريفية التي عبرت الأقطار المغاربية حتى مناجم الجنوب التونسي. وتتّم هذه المفارقة

البلد البربري، والبلد الجبلي لاشك، لكن التفسير ليس جغرافيا فقط لأنّ هذا النشاط النّضالي يوجد في المدن البروليتارية سرّيا.

وظهرت القطيعة بين النشطاء الثوريين والزعماء الوطنيين بوضوح في أطروحة محمد زادي عن المقاومة المسلّحة في المغرب. وتقارن الدراسة بين الزعماء الوطنيين والمسؤولين النشطاء، وبدا زعماء الأحزاب(حزب الاستقلال، والحزب الديمقراطي للاستقلال) كأعيان من عائلات كريمة يبتعدون عن شبابهم الطلابي: الثلثين(66,6٪) مرّوا بالتعليم العالي،وأكثر من 80٪ زاولوا دراسات ثانوية. أي "رأسمالهم العائلي"، باستثناء شخص يدعى مهدي بن بركة الذي حظي بالدّعم كي يواصل دراسة الرياضيات في جامعة الجزائر. وعلى العكس من ذلك لم يتجاوز أكثر من ثلث قادة المقاومة الذين يعرف ماضيهم (35,41 ٪) المدرسة القرآنية، فإذا كان ربعهم قد وصل إلى التعليم الثانوي(25,8 ٪)، فهو في جزء منه عن طريق المدرسة.

وعلى العكس، هناك عدد قليل من الطلبة الذين انقطعوا عن دراستهم العليا(13,51 ٪)، وهذا لأنّ النشطاء كانوا شبابا في غالبيتهم، حوالي الثلثين (65٪) أقلّ من ثلاثين سنة عندما كان ثلاثة أرباع الزعماء الوطنيين، وإن لم يكونوا مسنّين جدا، عمرهم أكثر من ثلاثين سنة، مما يعني أنّهم ولدوا مابين 1901 و 1920.

لكن الفارق الإجتماعي يظهر بصورة أقوى من خلال التعارض بين الإنتماء العائلي للوجاهة الحضرية و النزوح عن طريق الو رشات للوصول إلى الدار البيضاء. والتقى الزعماء الوطنيون عددا قليلا من عائلات الأحياء القصرية والمخزنية، من تلك المدن التي كانت العائلات البرجوازية فيها تعتبر نفسها أرستقراطية. ومن بين زعماء الأحزاب التسعة وثمانين المدروسة، هناك امرأة واحدة هي مليكة الفاسي ابنة عائلة كريمة وزوجة محمد الفاسي. وكان أكثر من 90٪ من هؤلاء الزعماء ينحدرون من المدن السلطانية

الخمسة: مراكش، مكناس، الرباط، وسلا وأيضا فاس التي تعد 40٪. وتنحدر نسبة 2,27٪ من أصول ريفية ولا أحد منهم من الدار البيضاء، أما بالنّسبة للشباب المقاوم فالعكس إذ يأتي ثلاثة أرباعهم من الدار البيضاء ساعة تجنّدهم، لكن أكثر من 60 ٪ منهم ينحدرون من أوساط ريفية، ويفترض أنّ خمس المسؤولين النشطاء حسب المؤلف ينتمون إلى عائلات ميسورة وهم بذلك استثناء.

وأكثر من ثلث إطارات المقاومة (35,13 ٪) هم تجارا صغارا، وأكثر من ذلك (أكثر من37٪) من "اليدويين" تضمّ حرفيين وعمّالا(كل منهم بنسبة متساوية تساوي 18,91٪). وكان المثقفون والمتعلمون من الأحزاب الوطنية يعتبرون "نخبة"، ويمكن كصدى أن نجد بعض المسافة العامية المناهضة للمثقفين. لاشك أنّ الأمر يتعلق بإدارة الأحزاب، لأنّ المقاومين يعطون في الوقت نفسه قواعدهم الشعبية لأحزاب الاستقلال في المغرب، وتأتي المصالية في غالبيتها الكبرى من الجزائر والعمل النقابي للكنفدرالية العامة للعمال (CGT) الذي انتقل إلى جبهة التحرير الوطني، قبل تولي القتال من قبل من هم أصغر سنّا في الداخل والذين انقطعوا عن المعاهد والمدارس. ونجد هذه المرة سوسيولوجيا المناطق الجبلية (وكذا الواحات) التي يأتي منها المهاجرون وعمال الورشات والشبكات التجارية والعمالية في المدينة. وبالنسبة للمغرب، كانت الأحياء الشمالية للدار البيضاء وكذا المرور بالمناجم بالنسبة لمناطق الإنطلاق نفسها. وهذا الإحتياطي الكبير لتادلة الذي عرف أيضا النّشاط النقابي والتوهّج الشيوعي.

وقد حمل الثورة في الدار البيضاء تجّار سوس، وبانتمائها إلى الإنحطاط الذي يطغى على المجتمع، فالمقاومة الشعبوية إجتماعية لأنّها شعبوية إجتماعيا، وهي مرتبطة أيضا بالأصل الأقلي لشبكات التجارة والعمل وبشكل لا يخلو من توافق وتلاؤم، شرطان يقدمان وسائط بين الإطارات أو بالأحرى بين جماعات المقاومة وتأطير الأحزاب ، والتجار وكذا طلبة

المدارس هم بالتحديد الذين يتّبعون الترقية الإجتماعية وغالبا المدارس الداخلية. ومن المؤكد أنّ هذه التعارضات في الجزائر وتونس أقلّ وضوحا تبعا لمكانة الدراسة والإزدواج اللّغوي في تونس وفي الجزائر عن طريق امتداد الهجرة والطابع الأكثر محدودية للبرجوازية الكبيرة ورئاسة العائلة. ويظهر هذا الفرق الطبقي غالبا عن طريق الإحتقار النخبوي وكذا بتباين الغايات السياسية.

وفي المغرب الأقصى، تظهر الأمور واضحة في اللحظتين اللتين طبعتا الإعلان عن نهاية جيش التحرير المغاربي، و لم تحدث ثورات أو هجومات المقاومة التي حضّرت ليوم 20 أوت 1955 مقطوعة كما رأيناه، لأنّه في هذه اللّحظة بالذات تعقد المفاوضات المفتوحة من قبل القائم العام غراندفال Grandval والتي ستقود إلى اتفاق السلطان والأحزاب في آكس ليبان Aix les Bains. ولكن في لحظة الإعتراف بالإستقلال يعلن عن القطيعة.

وفي فيفري 1956 عندما تمّ الإتفاق على عودة السلطان وتسليم السيادة، ندّد زعماء الهلال الأسود المرتبطين بنذير بوزار الذي يقود معسكر تطوان ومسؤولين مقاومين من قاعدة النّاضور وجماعات ريفية بهذه "المؤامرات الاستعمارية" وخاصة مشروع تأسيس "مجلس حكم" لضمان المرحلة الإنتقالية. ويتحدث البيان عن "خيانة القضية الوطنية". لا يمكن أبدا أن نذهب بعيدا في الخلاف، وقد اتخذ باسم "حرب التحرير" مذكّرا بأنّها «مكوّنة من مجموع حركات المقاومة الوطنية للحركات الوطنية في شمال أفريقيا»(تعبير في أطروحة محمد زادي، ص262).

إنّها الكلمة الفصل لجيش التحرير المغاربي في الإنقسام بين الوطنيين الذين احتلوا مكانا في الدولة المستقلة والمقاومين الذين كانوا وما يزالون مهمشين، ولاشك أنّ البعض يرفضون وضع السلاح، وسنجدهم في جيش تحرير الريف والجنوب عام 1957-1958 وفي التّكرارات السرّية للتحضير

للثورة بعد ذلك، تحت الرقابة في الجزائر والمغرب الأقصى. وقد خضعت المقاومة الثورية لممارسة هيمنة الدولة المغطّاة بكلمة ثورة، ألا وهي الثورة الوطنية في الجزائر، وثورة الملك والشعب في المغرب. و ما تزال قومية الدولة شعبوية لكنّها تريد بالبلبلة تعبئة الإجماع لإدامة السلطة، وقريبا المحافظة على التفوق الإجتماعي.

ليس الإسلاميون وحدهم الذين يعيدون التاريخ من خلال ردّ المقاومة الوطنية إلى الدين ، ففي الجزائر والمغرب يسعى التاريخ الرسمي الحزبي أو التاريخ الذي يدرّس ويسود وسائل الإعلام، إلى استمرار قومية مسلمة أو عربية- إسلامية.

وهنا أيضا يجب الرجوع إلى الممارسات والدوافع، لا تلك التي تميّز الفترة إنّما التي تميّز سلطة العلماء العقائدية والمرجعيات الإيديولوجية للعروبة والإسلامية والشعبوية العامّية للمقاومة الثورية.

وطبعا تمارس الجماعات السرّية القَسَم، وتُقسم في سبيل القضية المقدّسة حتى الشهادة، وتكرّر الأدعية، ويكرّم الموتى، كما أنّ التكوين القرآني تفوّق كما ذكرنا بذلك. لكن يتّضح في ذات الوقت رجاء العدالة الإجتماعية إن لم يكن مذهب المساواة.

وكان الإصلاح الإسلامي الذي ظهر في المغرب العربي الإسلامي (مقابل العربي - البربري كما بيّنته في مكان آخر، مقال أعيد نشره في *Le Maghreb de traverse* منشورات بوشان *Bouchène*، 2000) هو فضلا عن ذلك فعل حضري وفعل برجوازية حضرية، تدخل الأحزاب القومية عن طريق زعماء وعن طريق إطارات المدرسة ، وفي عام 1956 فقط أصبح مذهب جبهة التحرير الوطني للقضاء على المصالية . وتسمح شعبوية شعب طائفي وحيد بالإنزلاقات، لكن الفرق يوجد بين الأحقاد والتطلّعات الناجمة عن الإنحطاط الإجتماعي، التي يمكن أن تؤدي إلى الأخوّة الصوفية أو إلى

الأخروية، وتأكد المعايير الدينية كأسس الهوّية ومنه المحافظة الإجتماعية.

ليس مصادفة إن كان تطرف التشدّد الديني الذي هو فعل علماء الدّين سيدمج في قومية الدولة على شكل قانون الأسرة، وطريق التّحرير موصد في وجه النساء، أي كان أو عن طريق الإحتفاء بالمرأة الوطنية المغربية أو الجزائرية. ويفيد تحقيق الهوّية الوطنية في إجتماع المعايير العائلية والمعايير الطائفية عن طريق دين أصبح دين الدولة. وفي ظل الخلط غمرت الشعبوية العامية، وهو أيضا شكل من أشكال التهميش لما كان مقاومة التحرير الوطني.

1- محمد زادي، Résistance et armée de libération au maroc (1947-1956) de l'action politique à la lutte armée : repture ou continuité

المقاومة و جيش التحرير بالمغرب (1947-1956) من العمل السياسي إلى الكفاح المسلّح: قطيعة أم استمرارية، تحت اشراف ڤي بارفيلي Guy Pervillé، جامعة نيس - أونتي بوليس Nice- Antipolis، 2001، ص 280 .

جيش التّحرير الوطني التّونسي: حقيقته ومصيره

عميرة عليّة الصغيّر*

لا زالت فترة الخمسينات من تاريخ تونس رغم المساهمات العديدة من الباحثين لم تتوضّح أحداثها بما فيه الكفاية، لأنّها حتى فترة قريبة كانت من "الطّابوات" التاريخيّة بما أنّها تتعلّق بالماضي القريب والمؤسّس للنّظام البورقيبـي، ولأنّها خاصة ولزالت مصادرها الأرشيفيّة شحيحة رغم انفتاح جزء هام من أرشيف الجيش والإدارة الإستعماريّين بتونس أمام الباحثين، والإنغلاق المستمر للأرشيف الأمني والقضائي المتعلّق بتلك الفترة. غير أنّ الحيّز الأرشيفي المتاح والكم المعتبر من الشّهادات الشفويّة التي سجّلها المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية بتونس، تسمح نسبيًا بالمجازفة والخوض في أحداث فترة الخمسينات. وقد حاولنا أن نتصدّى في هذه المداخلة إلى موضوع "جيش التّحرير الوطني التّونسي" في ما بين جانفي وصائفة 1956. رغم إيماننا سلفا بحدود هذه المساهمة.

وسنثير فيها مجموعة من النّقاط أهمّها: **تحوّل المعارضة اليوسفيّة من المعارضة**

* المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة (الجامعة التونسيّة)

السّياسيّة إلى القناعة برفع السّلاح، ومسألة الإختيار المسلّح في ذهن قادة وجنود جيش التّحرير، وحقيقة هذا الجيش تمويلا وتنظيما وعلى ميدان القتال، وفي الختام نقف عند نهاية هذه المغامرة المسلّحة وعند مصير أبطالها.

نذكّر أوّلا أنّ الدّولة النّاشئة في تونس ورغم ما أقرّته اتفاقيات 3 جوان 1955 من استقلال داخلي للبلاد وما أتى به بروتوكول 20 مارس 1956 من استقلال تام، كانت دولة ضعيفة لا تمتلك مقوّمات القوّة الضّروريّة لضمان أمنها الدّاخلي أو الخارجي فالجيش التونسي الذي تكوّن في 18 جوان 1956 كان لا يضمّ في الأوّل سوى 1400 فرد وتسليحه ضعيف، كذلك على مستوى قوات الأمن يجب أن نترقّب 18 أفريل 1956 ليقع تحويل سلط الأمن الداخلي لوزارة الدّاخليّة التونسيّة بمقتضى اتّفاق 7 أفريل.

لكن التّأطير والأعوان الفرنسيّين تمادوا لفترة طويلة لاحقة. كما أنّ الجندرمة الفرنسيّة لم تسلّم مراكزها للسّلطة التونسيّة إلاّ في أواخر 1956، ذلك مصلحة مراقبة التّراب (D.S.T.) لم تعد لإشراف الدّاخليّة التّونسيّة إلاّ في 16 أكتوبر 1956. والأهمّ في اعتقادنا في هذا الجانب السّيادي هو بقاء تمركز الجيش الفرنسي بالبلاد التونسيّة من الجنوب إلى الشمال، والذي لم يبدأ انسحابه إلاّ بعد اتّفاق 18 جوان 1958 بين الحكومتين التّونسيّة والفرنسيّة حول إخلائه للتراب التونسي ما عدى قاعدة بنزرت التي سوف لن يغادرها إلاّ في 15 أكتوبر 1963. هذه الحقيقة جعلت نظام الإستقلال تحت رحمة القوات الفرنسيّة في مجابهة "أعدائه" وهذا ما سنتبيّنه عند استعراض أحداث المقاومة التي سجّلها جيش التّحرير. كما أنّ هذا الحضور الفرنسي الأمني والعسكري وحتى الإداري (بقي المراقبون المدنيّون الفرنسيّون في مناصبهم حتى أكتوبر 1956) سوف يكون من الركائز الإحتجاجيّة للمعارضة على نظام بورقيبة. هذه المعارضة التي مرّت من المجابهة السلميّة لخصومها في النّظام النّاشئ إلى القناعة بالحسم المسلّح معه.

1- المعارضة اليوسفيّة: من المعارضة السياسيّة إلى رفع السّلاح

دون الدّخول في تفاصيل هذه المعارضة لأنّها ليس الغرض من هذه المداخلة، نوضّح أنّه لئن كانت تطلق عبارة اليوسفيّة على ذلك التيّار الواسع الذي كان وقف ضد إتّفاقيات الإستقلال الداخلي (3 جوان 1955) وضد الدّيوان السّياسي للحزب الدّستوري الجديد بزعامة بورقيبة ومن تحالف معه خاصة من المنظّمات الشعبيّة وعلى رأسها الإتحاد العام التونسي للشّغل، فإن الحساسيات والشّخصيات التي انخرطت فيها لا تعلن كلها إنتماءها أو ولاءها لشخص صالح بن يوسف الأمين العام للحزب الدّستوري الجديد والشخصيّة المحوريّة في تلك الحركة[1]. بل كانت تتّفق حول رفض تلك الإتّفاقيات واعتبارها هي دون ما ناضلت من أجله الحركة الوطنيّة بما أنّها لا تحقّق الإستقلال التّام ولا تقطع مع فرنسا وتقرّ الوجود الأمني والعسكري وتضمن المصالح الفرنسيّة في تونس لآجال أو إلى ما لانهاية وقد جمع هذا التيّار المعارض من داخل الحزب الدستوري أتباع الأمانة العامّة وكانوا في الأوّل (قبل مؤتمر 15 نوفمبر 1955 للحزب الدّستوري).

كثيرين كذلك أنصار الحزب الدّستوري القديم الرّافضين لأيّ مرحليّة والمتشبّثين دائما "بالكلّ والآن" أي الإستقلال التّام ودون تأخير، انضافت لهؤلاء عناصر أخرى من قواعد النّظام القديم من دوائر العائلة المالكة المتخوّفة -على حق- عن مستقبلها من قيادات دستوريّة لم تخف ميولاتها الجمهوريّة وحتى الثّوريّة عكس غريمها صالح بن يوسف الذي كان قبل اندلاع الإنشقاق وخاصّة في خضمّه يكرّر الإشارات الولائيّة للباي والأوساط المحافظة عامّة، التي كانت تتخوّف من الخطاب العصري وحتى اللاّئيكي لبورقيبة وأتباعه، وليس من باب الصّدفة أن يختار صالح بن يوسف الجامع الأعظم ليخطب فيه في 7 أكتوبر 1955 لحشد الأنصار وتأليب الرّأي العام ضد حكومة الإستقلال الداخي وضد أتباع بورقيبة. كما أنّ حضور عناصر من تلك الشرائح المحافظة إلى جانب صالح بن يوسف في التجمّع الكبير الذي نظّمه في 18 نوفمبر 1955

بملعب جيو أندري (الشاذلي زويتن)، والذي دعا فيه للعودة للمقاومة المسلّحة لا يدع مكانا للشكّ حول ذلك التّحالف[2]. هذا وقد انخرطت في هذا التيّار المعارض للإتفاقيّات قيادة الإتّحاد العام للفلاحة تخوّفا من الخطاب الإجتماعي الرادكالي للإتّحاد العام التونسي للشغل حليف الدّيوان السّياسي، وتحرّزا من البديل التّحرّري والعصرني الذي يحمله مشروع بورقيبة.

ودون التّفصيل في أحداث هذه المرحلة الأولى[3]، نعتقد أن التّشدّد الذي جابهت به حكومة الإستقلال الداخلي المعارضة اليوسفيّة، ومنع عقد إجتماع الأمانة العامّة المبرمج لـ 18 جانفي 1956 بالعاصمة وتحريك عناصر النشطين الموالين للدّيوان السّياسي لإفساد إجتماعات أنصار صلاح بن يوسف وحتى اغتيال بعض أتباعه وخاصة قرار 28 جانفي القاضي بإلقاء القبض على اليوسفيّين[4] رسّخ أكثر لدى العناصر الموالية لبن يوسف قناعتها بضرورة العودة للمقاومة المسلّحة، لتحقيق غاياتها في مراجعة الإتّفاقيات الممضاة وفرض إستقلال فعلي للبلاد وفي الآن ذاته الفوز بالسّلطة.

وفي هذه الأشهر الأخيرة من سنة 1955 المتميّزة بتجميع الأنصار وتعبئة الصّفوف والمشحونة بالاعتداءات المتبادلة، كوّن اليوسفيون المنتمون للأمانة العامّة منظّمة شبه عسكريّة تعرف بالجبهة المضادّة، يشرف عليها موظف بالأمن سابقا وهو عبد الرّحمان بن محمود الشملي في اتّصال مع صالح بن يوسف يزوّدها بالمال والسّلاح[5]. وتكوّنت لنفس الغرض منظّمة أخرى يبدو أنّ هدفها كان الدّفاع عن الذّات، والقيام بأعمال ترهيب ضد الخصوم[6] ويشرف عليها أحد المقاومين السّابقين رضا بن عمّار[7]. ولعلّ سرعة تحرّك الأجهزة الأمنية في المدن والتي كانت تدعمها مليشيات[8] كوّنها البورقيبيون لملاحقة الخصوم بالإيقاف والتّرهيب وحتّى القتل[9] هي التي حدّت من النّشاط اليوسفي المعارض في الوسط الحضري، لينكفئ نحو الأرياف وخاصة الجبليّة منها حيث أنشئت وحدات عسكريّة تنتمي إلى ما سمّي بجيش التّحرير الوطني.

2- حقيقة جيش التّحرير الوطنيّ التّونسي.

لنتساءل أوّلا، هل العودة لرفع السّلاح بعد تسليمه في ديسمبر 1954[10] كان قناعة مبدئية بالمقاومة المسلّحة للتحرّر الوطني عند هذه العناصر التي ثارت من جديد؟ أو هل أنّ تطوّر الأحداث جعل البعض يعدّل من رؤيته وتصوّره لتغيير الواقع؟

في الحقيقة تختلف الإجابة حسب موقع الأشخاص في هذه "المغامرة" المسلّحة إن كانوا قياديين أو عناصر من المقاومين الميدانيّين. فصالح بن يوسف الذي كان "القائد الأعلى لجيش التّحرير الوطني التونسي" نرجّح أنّ موقفه تغيّر تجاه مبدأ اعتماد العنف المسلّح في خضم الصّراع مع بورقيبة وبالتّحديد بعد عودته من مصر إلى تونس في سبتمبر 1955 وليس قبل ذلك، ولنا من الشواهد الداعمة لهذا الزّعم.

في جانفي 1949 قابله وفد بتونس عن حزب الشّعب الجزائري وحركة انتصار الحرّيات فيه بوقادوم وبن بلة وجمال دردور واقترح عليه بصفته الأمين العام للحزب الدستوري تكوين تنظيمات عسكريّة مشتركة للتّحرير، وقد ردّ عليهم صالح بن يوسف وباستعلاء أن ذلك "من باب لعب الأطفال" [11] ونفس الموقف تقريبا واجه به المناضل عز الدّين عزّوز المبعوث من لجنة تحرير المغرب العربي و عبد الكريم الخطّابي بالقاهرة اذ فاتح في تونس القياديّين الدّستوريّين ومن ضمنهم بن يوسف في أوّل جانفي 1950 في إنجاز ما التزموا به في لجنة تحرير المغرب العربي، وضرورة الدّخول الفعلي في بعث أسس المقاومة المسلّحة والخطط اللاّزمة لإشعال الثورة وكان ردّ بن يوسف "أن حزب الدّستور حزب سياسي وسلمي ولا ينوي تنظيم إنتفاضة مسلّحة ضد الإستعمار" [12]. كما يجب التّنويه هنا بأنّ صالح بن يوسف لم يعارض شرط الجانب الفرنسي إبّان المفاوضات في باريس حول الإستقلال الداخلي أن يسلّم المقاومون أسلحتهم ويتوقّف العنف وهو ما تمّ فعليّا في 10

ديسمبر 1954 بل أنّ بن يوسف تحوّل من جنيف إلى القاهرة ليبرّر قرار الحزب الحر الدّستوري قبول تجريد المقاومين من الأسلحة لدى لجنة تحرير المغرب العربي ونظام جمال عبد النّاصر اللّذان كانا أبديا إستياءهما من ذلك القرار[13]. إن تطوّر الأحداث بعد امضاء اتّفاقيات 3 جوان 1955 واستبعاد صالح بن يوسف من طرف فرنسا التي راهنت على بورقيبة وربّما انقطاع أيّ أمل عنده أن يتواجد من جديد في الصّورة التي نحتتها فرنسا للنّظام القادم في تونس[14] رجّح -في اعتقادنا- عند بن يوسف ميله إلى اختيار استراتجيّة التّحرير المغربي الشّامل والمقاومة المسلّحة والذي تولّد لديه تحت تأثير النّاصريّة وبعد اندلاع الثّورة المسلّحة في الجزائر (نوفمبر 1954).

هذه "الإنتهازيّة" السّياسيّة تغيب عند القائد الميداني الفعلي لجيش التّحرير أي الطّاهر لسود[15] إذ كان يؤمن راسخا في نجاعة المقاومة المسلّحة كحلّ وحيد للتّحرير وبضرورة توحيد الكفاح في بلدان المغرب الثّلاث ويقرّ بأن تحالفه مع بن يوسف كان تحت ضغط جمال عبد النّاصر. فهذا الرّجل الذي جمع بين النّضال السّياسي والعمل الميداني كان له رؤية طهوريّة لمسألة التّحرير فيها ازدراء للسّياسيّين، إذ يعتقد أنّ همّهم فقط كحال بورقيبة وبن يوسف هو الوصول إلى السّلطة[16]. وهذا الموقف نجده عند شخصيّة أخرى في الحركة اليوسفيّة لعبت دورا سياسيّا هامّا في التّعبئة لفائدتها وهو حسين التريكي[17] إذ يقول إنّ "قيادتنا الحزبيّة لم تكن في مستوى المقاومة المسلّحة (...). إن كلّ من صالح بن يوسف والحبيب بورقيبة كانا ينظران بريب للكفاح المسلّح خوفا من أن تفلت الأمور من القادة السّياسيّين لفائدة قادة العمل المسلّح"[18].

أمّا بالنسبة لغالبيّة المقاومين الذين كوّنوا قاعدة ما عرف بجيش التّحرير، وإن عبّر بعض المستجوبين منهم عن قناعتهم بضرورة مواصلة المقاومة حتي الإستقلال التّام، ومساندة الثّورة الجزائريّة عند مشاركتهم في وحدات

جيش التحرير"[19]، فإننا نميل إنطلاقا مما حصل لدينا من قراءة تقارير الجيش الفرنسي حول تلك الفترة وسماع شهادات بعض المستجوبين -إلى إجمال دوافع انخراطهم في ما يسمّونه "بالثورة الثانية" في الحقائق التالية:

- قلّة مُسيّسَة من المقاومين كانت واعية بأن الإتّفاقيات الممضاة (3 جوان 1955) هي دون طموحاتها في تحرير البلاد و لم تكن في مستوى التّضحيات المقدّمة.

- غالبيّة كانت تتصوّر أنّ العودة للمقاومة المسلّحة تدخل في باب المناورة السّياسيّة بين بورقيبة و بن يوسف واقتسام الأدوار لكسب أكثر ما يمكن من التّنازلات لصالح القضيّة الوطنيّة.

- بعض قدماء الفلاّقة الذين انخرطوا من جديد في العمل المسلّح كان لهم شعور بالخيبة، إذ لم تقدّر تضحياتهم حقّ قدرها و لم تمنح لهم التّرضيات التي يستحقّونها[20].

- أوضاع الفقر والفاقة السّائدة آنذاك وخاصة في الوسط الرّيفي دفعت العديد للإنخراط في صفوف "جيش التّحرير" لضمان دخل أو امتيازات مستقبليّة[21].

- الإنتماء العروشي والجهوي يبرز خاصّة في التمرّد الشبه الكامل للجنوب وخاصة الجنوب الشرقي (ورغمّة) وذلك إضافة لانتماء الطّاهر لسود (من الحامة) وصالح بن يوسف (من جربة) إلى الجنوب وغيرهما، فإنّ هذه المنطقة من البلاد وحسب اتّفاقيات الإستقلال الداخلي لم يتغيّر وضعها، إذ بقيت دائما تحت جزمة الحكم العسكري.

- السهوب الحدودية مع الجزائر كانت تحت عدوى المقاومة الجزائريّة التي كانت لها بؤر نشطة هناك.

- قرب الجنوب التونسي من طرابلس مركز القيادة والتدريب ومصدر السّلاح.

- الإنتماء العروبي والإسلامي كان أشدّ حدّة بمناطق الأرياف التّونسيّة عامة وبالجنوب بصورة خاصة، وذلك لعدم نجاح السّيطرة الثقافية الإستعماريّة فيه (لطبيعة التواجد الإستعماري)، وتأثير الدعاية الناصريّة (راديو صوت العرب) ولأنّ أطر التّأطير من الوطنيّين كانت جلّها من ذوي التكوين التقليدي الزيتوني وقلة العناصر ذات التكوين العصري من بينها.

كل هذه العوامل كوّنت تيّارا معارضا سوف ينخرط في المقاومة المسلّحة منذ أواخر 1955 بقيادة الطاهر لسود وقد تهيّأ ذلك بعد اجتماعات تحضيريّة وتنسيقيّة منها اجتماع صالح بن يوسف قبل مغادرته تونس (28 جانفي 1956) في بيته بالعاصمة مع قيادات في المقاومة المسلّحة بالمغرب منها علي الزّليطني، والطّاهر لسود، والطيّب الزّلاّق من تونس، وعبد الحي، وعبّاس لغرور عن المقاومة الجزائريّة بالأوراس، ومحمد البصري عن جيش التّحرير المغربي[22] وكذلك اجتماع القاهرة في أواخر فيفري 1956 بين قيادات جيوش التّحرير الثّلاث حضره عن المغرب عبد الكريم الخطيب وعن الجزائر أحمد بن بلّة و عن تونس الطّاهر لسود بحضور الضّابط المصري فتحي الذّيب. وقد تقرّر حسب هذا الضّابط بعث قيادة موحّدة لجيوش التّحرير والإلتزام بمواصلة الكفاح المسلّح حتى تحرير كامل المغرب[23] في خضم هذه الأحداث سوف يتقلّد الطّاهر لسود القيادة العامة لعصابات المقاومة تحت غطاء "القيادة الثوريّة لتحرير شمال افريقيا"[24]. ثم القيادة العامّة لجيش التّحرير. متى أصبحت هذه العصابات المسلّحة والعاملة في الجنوب وفي غرب البلاد تنتسب إلى جيش التحرير الوطني التّونسي؟ يبدو أنّ هذه التّسمية اعتمدت بداية من شهر فيفري 1956 وقد صدر أوّل بيان للقيادة العامّة لجيش التّحرير في 12 فيفري، ممضى من الطّاهر لسود نقرأ فيه: بهذا بيان القيادة العامّة لجيش التحرير الوطني التّونسي نوجّهه إلى الشّعب التّونسي : "نعلن على رؤوس الملأ للشعب التّونسي والشعب الفرنسي والعالم بأسره، أنّنا أحدثنا على بركة الله جيشا تحريريّا وطنيّا تونسيّا، مهمّة هذا الجيش هو تحرير وطننا

العزيز من قاذورات الإستعمار وأذنابه، وقد قرّرنا ضم جيشنا المبارك إلى جيوش إخوننا الجزائريّين والمغاربة.

وبهذه المناسبة التاريخيّة نقدّم إلى جلالة ملكنا المعظّم سيدنا ومولانا محمد الأمين الأوّل مراسم ولائنا وإخلاصنا [...] ونحن ندعو الدّولة الفرنسيّة إلى إدراك خطورة الحالة وأنّ لا تربط مصلحة وإرادة شعب كامل بمصلحة شخص مهما كان وإن تجنح إلى السّلم حتّى نجنح إلى السّلم بدورنا، ولا يمكن تحقيق ذلك إلاّ إذا اعترفت الدولة الفرنسيّة بحقوقنا الكاملة وتشرع في فتح مفاوضات حالاً على قاعدة الإعتراف بالإستقلال التّام وتكوّن هذه المفاوضات مع الناطقين الحقيقيّين بإسم حزبنا الدّستوري العتيد من الذين بقوا مخلصين للمأموريّة التي عهد بها الشّعب إلينا. وفي الختام نحذّر كل مشوّش وكل انتهازي من العواقب الوخيمة التي تترقّب كلّ من لم يؤدّ واجبه على الوجه الأكمل ونحذّر كل من يحاول تعطيل عمل جيش التّحرير الوطني في هذه المعركة الحاسمة في تاريخ كفاحنا ومصير أجيالنا المقبلة.

"إن تنصروا اللّه ينصركم ويثبّت أقدامكم" و"إن ينصركم اللّه فلا غالب لكم"[25] وهكذا ارتقت معارضة الإتّفاقيات إلى درجة أعلى وتوضّحت إستراتجيّة المقاومة المسلّحة في مرحلتها الثّانية.

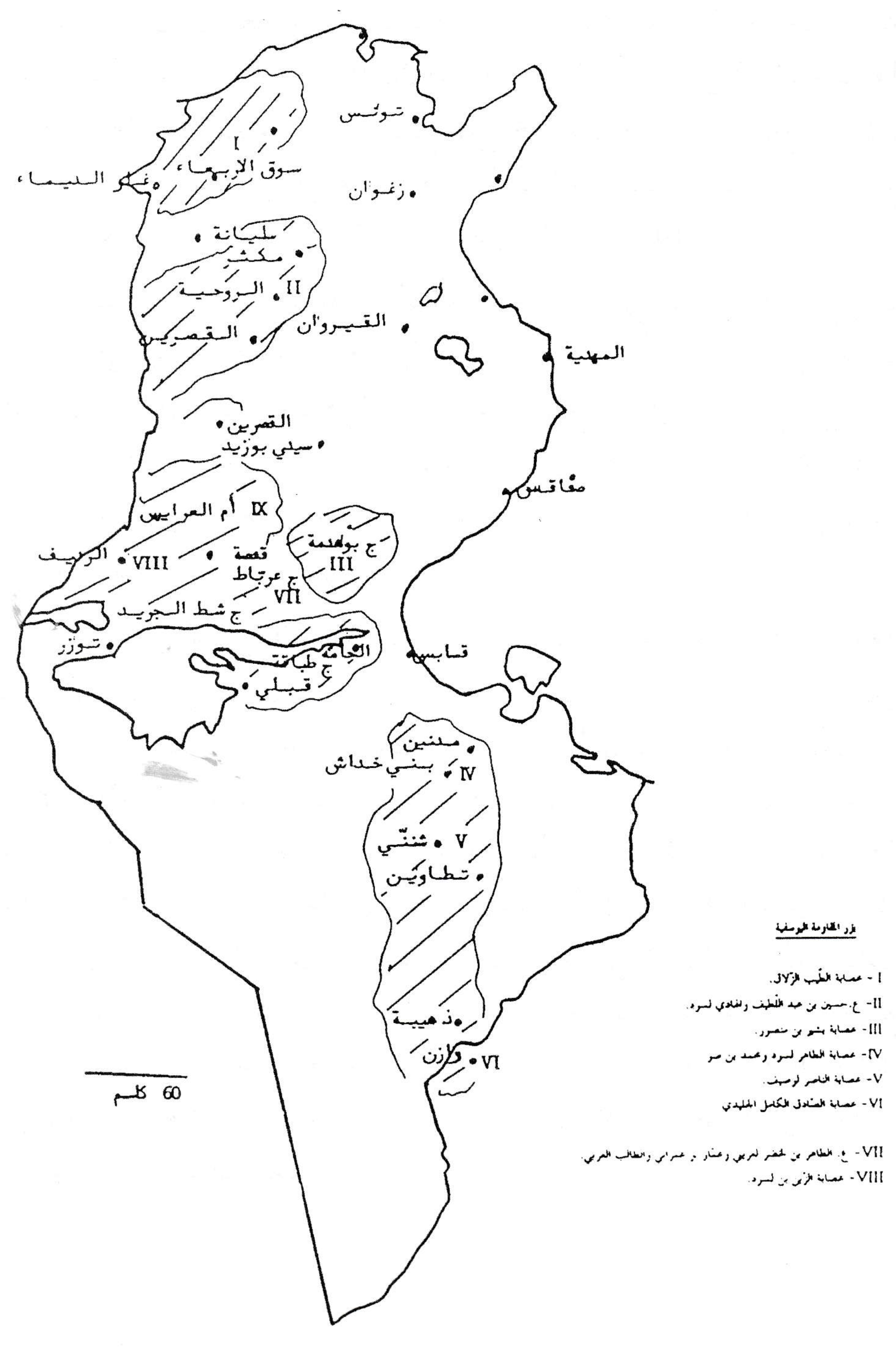
ممّن كانت تتكوّن هذه القوات المقاتلة؟ لئن اختار أغلب قيادي "الثّورة الأولى" (جانفي 1952– ديسمبر 1954) صف بورقيبة وأصبحوا في خدمته في لجان الرّعاية أو الحرس الإضافي مثل محجوب بن علي، والسّاسي لسود، ولزهر الشرايطي، و الشيخ حسن العيّادي، وحسن بن عبد العزيز، فإنّ آخرين انضمّوا إلى الطّاهر لسود وصالح بن يوسف ليكوّنوا عصابات مسلّحة كثيرا ما كانت مسشتركة مع المقاومين الجزائريّين تتحرّك على كامل المنطقة الحدوديّة مع الجزائر من جبال خمير شمالا إلى جبال قفصة جنوبا وبجبال مطماطة والظاهر (مدنين وتطاوين) في الجنوب الشرقي[26].

من أبرز قياديها الطيّب الزّلاق[27] والهادي قدورة[28] والطّاهر بن لخضر الغريبي[29] ومصباح النيفر[30] والناصر بن مسعود الوصيف[31] وعبد اللّه البوعمراني[32] و عبد اللّطيف زهير[33] وعمّار بنّي[34] . أمّا الأصول الإجتماعية للمقاومين فهي شأنهم شأن مقاومي المرحلة الأولى (1952–1954) هم من الأوساط الرّيفية المعدمة والفقيرة وذوي المستوى التعليمي المنخفض (كتّاب) أو الأمّيّين، وسياسيا كما ألمحنا لذلك سابقا منظوين على الأقل نظريّا تحت راية "الأمانة العامّة" ولا تشير المصادر التي إطّلعنا عليها[35] إلى مشاركة مثلا من الحزب الدّستوري القديم أو من الأعيان المحافظين رغم اصطفافهم المعلن إلى جانب صالح بن يوسف. كما نشير إلى عدم مشاركة المثقّفين في المقامة المسلّحة في هذه المرحلة وكذا المرحلة التي سبقتها إلاّ ما ندر[36].

ماهي القوّة الفعليّة لجيش التّحرير؟

يقدّر الكمندان قيبون (Guillebon) قائد القوّات الفرنسيّة بالجنوب، أنّ عدد المقاومين المسلّحين فعلا بالجنوب الشرقي وحده في شهر مارس 1956 بما بين 500 و 700 مقاتل، لكن يضيف أنّ المتمرّدين في هذه الجهة يربو عددهم على الخمسة آلاف[37]. وفي شهادته المذكورة آنفا يذكر القائد الميداني للمقاومة الطّاهر لسود رقما قريبا إذ يقدّر عدد المسلّحين ما بين 600 و 700 مقاوم[38]. لكن يبدو أنّ هذا الرّقم ارتفع في الأشهر اللاّحقة وهو ما يرجّحه حجم المقتولين في صفّ الثوّار بجهة مدنين وتطاوين وبني خداش ومطماطة[39].

بؤر المقاومة اليوسفيّة (ديسمبر 1955- صائفة 1956)



وبالفعل لو أضفنا المقاتلين الذين كانوا يتحرّكون في جهة قفصة وتالة وسليانة وسوق الأربعاء والقصرين، فإنّنا نقدّر عدد الذين قاتلوا تحت راية الأمانة العامّة ما بين 1700 و 2000 مقاوم خاصة وأن الذين قد استشهدوا طيلة فترة "الثّورة الثانية" يربو عددهم على 955 شخصا[40]. ونرجّح أن عدد المقاومين الذين انخرطوا في هذه "المغامرة" المسلّحة الثانية كان يساوي أن لم يتجاوز عدد الذين رفعوا السّلاح في ما بين 1952 و 1954[41].

كما تميّزت وحدات المقاومة المسلّحة وخاصة التي نشطت في الجنوب الشرقي في ما بين مارس وجويلية 1956 بمهنيّة عسكريّة أكبر من حيث التّدريب (في طرابلس والقاهرة) وخاصة التّسليح[42] الذي كان يأتي من مصر عبر ليبيا وهو ما يقرّه الجيش الفرنسي. يقول الكمندان قيبون عن هذه الوحدات "نحن ازاء عصابات هامّة مكوّنة من رجال أكثر دربة أو على الأقل أحسن تسلّحا وتدرّبا وتأطيرا"[43].

أمّا مصادر التّمويل إضافة لما كان يأتي من سلاح ومال من قيادة المقاومة اليوسفيّة بليبيا أو القاهرة وبدعم من جمال عبد النّاصر[44] فإن المقاومين خاصة المتمركزين في جبال قفصة وسليانة والقصرين وخمير، فكانت تصلهم الإمدادات من المنضوين إلى تنظيم الأمانة العامة أو من السّكان طواعيّة أو كرها لأنّ عمليات الإبتزاز والسّطو كانت شبه مشرّعة لمقاومة العدو في نظر "المجاهدين" كذلك كانت الجالية الجزائريّة خاصة بجهة سوق الأربعاء والكاف[45] والرّديف تساهم في المجهود الحربي خاصة وأنّ العصابات العاملة بهذه المناطق كانت تقريبا كلّها مشتركة وكان يشرف على جمع الإمدادات (سلاح، مال، غذاء، أدوية...) عناصر من المقاومين أو جمعيات مثل جمعيّة "السّيف الأسود" "L'épée noire" والتي كانت تابعة لجيش التّحرير الجزائري تنشط بجهة قفصة بالخصوص[46].

ماهي الآن أعمال المقاومة التي خاضتها فعلا وحدات "جيش التحرير"؟ لكن قبل ذلك من هو العدو الذي كانت تستهدفه هذه الحركة المسلّحة؟

إن كان الأمر بالنسبة للوجود الفرنسي واضحا في استراتجيّة التّحرير المتبنّاة من قيادة المقاومة (التّحرير الشّامل والنّاجز والمسلّح) فإنّ الأمر يختلف بالنّسبة لكيفيّة التّعامل مع النّظام الجديد النّاشئ آنذاك في تونس؟ فبالنسبة للطّاهر لسود والمجموعات الأولى التي انخرطت تحت قيادته (ديسمبر– مارس 1956) فالعدو كان فرنسا وربّما "الأذناب" المتورّطين مباشرة في عرقلة المقاومة المسلّحة ليس أكثر[47] وهذا ما يفسّر تخلّي هذا القائد وأغلب أتباعه عن "التمرّد" منذ إعلان استقلال البلاد (20 مارس 1956). ويختلف الأمر بالنسبة للقائد السّياسي الفعلي صالح بن يوسف فهو كان معاد لفرنسا ومعاد للنّظام البورقيبي النّاشئ وبقي على موقفه ذاك حتى بعد تحقيق الإستقلال التّام والجلاء العسكري. يقول في رسالة لقائد قوّاته المقاتلة بتونس مصطفى كامل المرزوقي (بعد إزاحة الطاهر لسود في مارس 1956) بتاريخ 10 جويلية 1956: "إنّنا نكافح أوّلا وبالذّات من أجل إنجاز إستقلال حقيقي لبلادنا، لا من أجل صورة مزيفة من هذا الإستقلال كما نشاهده اليوم وكما رضي به الحبيب بورقيبة. لا نتصور أن يكون لنا إستقلال حقيقي ما دامت الجيوش الفرنسيّة تغدو وتروح في بلادنا. إن المجاهدين بجيش التّحرير الوطني التّونسي لم نأمرهم بمواصلة الكفاح من أجل مساعدة الجزائر فقط، بل مساعدة الجزائر تأتي كهدف ثاني بعد كفاحنا في الدّاخل ضد العدوين فرنسا وأذنابها يعني حكومة بورقيبة وأعوانها من اضافيّين وحرس متجوّل الخ (...)" [48].

على الميدان القتالي ما استنتجناه من تتبّع الأحداث العسكريّة التي جدّت في الفترة المدروسة "ديسمبر 1955– صائفة 1956" [49] هو أن المقاومين بادروا مرّات عديدة بالهجوم على القوّات الفرنسيّة أو رموز الوجود الإستعماري

من ضيعات معمّرين ومراكز حراسة أو تخريب طرق الإيصال، لكن زمام المبادرة كان في أغلب الفترات في صفّ القوّات الفرنسيّة ومعينيها من التّونسيّين (الحرس المتجوّل، الإضافيّين، لجان الرّعاية وحدات الجيش الذي لم يبعث إلا في جوان 1956) وخاصة في الفترة التي تلت مارس 1956 والتي يبدو فيها أن القيادة العسكريّة الفرنسيّة قد وعت بخطورة "التمرّد" المسلّح ليس على النّظام البورقيبي فحسب بل خاصة على مصالحها في تونس وفي الجزائر إذ كانت استراتجيّة "جيش التّحرير" أنذاك هي عقد الإرتباط بجيش التّحرير الجزائري بجهة الأوراس والنمامشة ووادي سوف عبر جبال مطماطة والحامّة وجبال العسكر (قفصة) وتوفير سبل الإمداد العسكري من طرابلس[50]. خاصّة وأنّ السّلط التّونسيّة أمام رفض المقاومين حطّ السلاح وطردهم وحتّى قتلهم للمبعوثين من السّلطة لثنيهم على مواصلة المقاومة[51] طلبت تدخّل الجيش الفرنسي[52]. وفعلا كان تدخّل هذا الجيش بالطّائرات والدّبّابات حاسما لمحق قوات المقاومين خاصة في أشهر مارس- أفريل وماي 1956 وقد اقترف مجازر جماعيّة[53] بجبال مطماطة وبني خداش والحوايا ومدنين تركت فيها جثث المئات من المقاومين في العراء دون دفن[54].

إلى جانب الأعمال العسكريّة هذه جدّت على يدي مقاومي اليوسفيّة أعمال أخرى يمكن أن نضعها في خانة الإرهاب السّياسي للخصوم أو "الأعداء" كعمليات الإختطاف وتخريب مكاتب الشّعب التابعة للدّيوان السّياسي وخاصة عمليات الإغتيالات، والجديد في هذه الفترة من المقاومة المسلّحة هو عمليات الذّبح للمعارضين أو لمن يعتبرون خونة، إذ أحصينا من ديسمبر 1955 إلى جوان 1956، 24 عمليّة قتل فردي منها 10 تمّت بذبح الضحيّة. مع الملاحظ أنّ هذه العمليات جدّت بالإشتراك مع عناصر جزائريّة وكان موقعها أساسا على الشّريط الغربي من البلاد في تماس مع وحدات جيش التحرير الجزائري[55].

وهكذا كانت صائفة 1956 نهاية "الجيش التّحرير الوطني التّونسي" بعد التدخّل الحاسم للجيش الفرنسي بتحطيم أغلب عناصره واستسلام البعض[56]. والتجأ القلّة للإندماج في صف وحدات جيش التّحرير الجزائري مثل مجموعات القادة سعيد شيبة من الحرارزة[57] و القائد الطّاهر بن لخضر الغريبي الذي انضمّ إلى العصابة المشتركة التي كان يقودها الجزائري طالب العربي وعبد اللّه البوعمراني، ومحمد الغلوفي، و النفزاوي، وعبد السّلام ثامر. كذلك كان تخلّي جيش التّحرير الجزائري عن رفاق السّلاح من المقاومين التّونسيّين خاصة بعد 20 مارس 1956 [58] سهّل حسب اعتقادنا مأموريّة في القضاء على "جيش" انتهى غرض وجوده أصلا منذ إمضاء بروتوكول الإستقلال. وسوف تأتي التّتبعات والإعتقالات[59] والمحاكمات السّياسية التي نصبها النّظام من 1956 إلى 1959 على بقيّة عناصره الرّافضة للإستسلام وتقدّم على أنّها قيادات لعصابات "مفسدين" و"مجرمين" و"مخرّبين" وتنزع عنها أي صبغة سياسيّة أو وطنيّة مشرّفة[60].

خاتمة:

إنّ المقاومة المسلّحة التي نشطت من ديسمبر 1955 إلى صائفة 1956 ساهمت لا محالة في إخضاع فرنسا لمطالب الوطنيّين في إتمام الإعتراف بسيادتهم على وطنهم وتحقيق الإستقلال، وجرّت القيادة البورقيبيّة عن قناعة أو تحسّبا لسحب البساط من تحت أقدام خصومها من اليوسفيّين إلى دعم المقاومة الجزائريّة ورفع شعارات التّضامن المغربي لكن هذه الهبّة المسلّحة أتت متأخّرة نسبيّا، لأنّها تعارضت مع مصالح فئات جديدة كانت متعجّلة ومصرّة على تركيز سلطتها وإزاحة منافسيها حتى ولو تحالفت مع عدو الأمس وفي الآن ذاته كانت كذلك تهدّد وبصورة حيويّة استراتجيّة الجيش الفرنسي في إطفاء نار الثّورة التي تشتعل في الجزائر. ولعلّ الحقائق

التي سوف تضيفها الدّراسات الموضوعيّة حول هذه الفترة من تاريخ النّضال الوطني في تونس والمغرب عامة تعيد الإعتبار لمئات من الوطنيّين ضحّوا من أجل انعتاق بلدانهم ولا زالوا مستبعدين من التّاريخ الرّسمي وحتى الأكاديمي.

الهوامش:

1 - من الشّخصيات الرئيسيّة في المعارضة اليوسفيّة مثلا حسين التريكي العضد الأيمن لصالح بن يوسف أو الطّاهر لسود القائد العسكري الميداني لجيش التّحرير اللّذان يقرّان عاليا باستقلاليتهما على بن يوسف وندّيتهما له في موقع التأسيس للمعارضة للإتّفاقيات ومحاربة الخصوم. راجع في هذا الشأن شهادتي الشخصيتين بوحدة التاريخ الشفوي بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية (تونس). كذلك دراسة زميلنا عدنان المنصر "اليوسفيّة من خلال المصادر الشفويّة. دراسة في الخطاب"، مجلة ***روافد***، عدد2، 1996، ص ص. 99—144.

2 - كان إلى جانب صالح بن يوسف في منصّة تجمّع جيو أندري إضافة لبعض رموز الفلاقة وقيادي الحزب الدستوري القديم وجوها مثل رئيس محكمة الوزارة محمود الباجي ومدير الجامعة الزيتونيّة الشاذلي بالقاضي والشيخين مختار بن محمود و الهادي بالقاضي والمنصف العقبي نائب رئيس بلديّة الحاضرة. (راجع جريدة *Le Petit Matin* ليوم 19 نوفمبر 1955).

3 - لزيادة الإحاطة بتفاصيل تطوّر المعارضة اليوسفية راجع **الملحق عدد 3** لهذه المداخلة.

4 - تمكّن صالح بن يوسف من الإفلات من الإيقاف وهرّبه أنصاره نحو طرابلس. وكان قرار إيقاف اليوسفيّين آت من وزير الداخلية أنذاك المنجي سليم وبإتّفاق مع مدير الأمن الفرنسي جون فرانساس.

5 - اكتشف أمر هذه العصابة في 17 ديسمبر 1955 أما عبد الرّحمان الشملي فقد تمّ إيقافه مع ثلاثة من رفاقه في 21 ما 1956 ليقدّم للمحاكمة مع متّهمين يوسفيّين آخرين لمحكمة القضاء العليا في ديسمبر 1956 لتصدر عليهم أحكاما قاسية وصلت إلى حدّ الإعدام.

6 - ليس لنا مع معطيات محايدة أو أرشيفيّة للجزم في طبيعة هذه التّنظيمات اليوسفيّة وكلّما في الأمر أننا نقدّم هذه المعلومات وبحذر ممّا استقيناه من نصّ الإدانة القضائيّة لليوسفيّين والذي نشرته كتابة الدولة للشؤون الخارجيّة التونسيّة في ديسمبر 1958 في مؤلّف بعنوان "**كتاب أبيض في الخلاف بين الجمهوريّة التّونسيّة والجمهوريّة العربيّة المتّحدة**".

7 - ولد رضا بن عمّار بتونس في 23 مارس 1926 كان فلاّحا قبل انخراطه النّشط في العمل السّياسي وتدرّب في فترة الحرب العالميّة الثانية في معسكر أشرف عليه مدير الحزب الدّستوري آنذاك الحبيب ثامر. ساهم في المقاومة المسلّحة في مدينة تونس في ما بين 1952 و 1953 حيث ألقي عليه القبض وتمكّن من الفرار من السّجن واللّجوء لطرابلس ومنها وجّه ليتلقى مع ستين من الوطنيّين تدريبا عسكريّا في القاهرة. عارض اتّفاقيات 3 جوان وأشرف على عصابة مقاومة حدّدت مجال نشاطها المدن. أوقف من البوليس في 21 ماي 1956 وحكم عليه سنة 1957 ضمن اليوسفيّين بـ 20 عاما أشغالا شاقّة.

8 - لأنّ هيكل الأمن لم يتونّس إلاّ في أفريل 1956 فقد كوّن البورقيبيّون مليشيات تعرف بلجان الرّعاية تابعة لوزارة الدّاخليّة ومكوّنة من قدماء المقاومين يشرف عليها رؤساء عصابات فلاّقة موالين للنّظام الجديد مثل محجوب بن علي (جهة بنزرت وسوق الأربعاء) والسّاسي لسود (جهة قابس) ولزهر الشرايطي (جهة قفصة) وعبد العزيز الورداني (السّاحل)...

S.H.A.T., S.2H, C.2H312, D.2, f.24 et f.365.

9 - إغتيال مصوّر الأمانة العامّة محمد بن عمّار (29-11-1955) وعلي اسماعيل سائق سيارة بن يوسف (1-12-1955) وغيرهم دون تتبّع أو محاكمة لمقترفي تلك الجرائم.

10 - باتّفاق بين الطرفين المتفاوضين الفرنسي والتّونسي سلّم المقاومون مرّة أولى أسلحتهم في 10 ديسمبر 1954 ومنح لهم الأمان مقابل ذلك.

11- HARBI (M) **Le F.L.N., Mirage et Réalité, Des origines à la prise du pouvoir(1945-1962)** Paris, Les Editions du J.A., 2ème Edition, 1985, pp. 54-55.

12- AZZOUZ (Azzedine),**L'Histoire ne pardonne pas, Tunisie: 1938-1969**,Paris, L'Harmattan Dar Ashraf Editions, 1988, p. 138.

13- Inspection des Fonces Terrestres, Maritimes et aériennes de l'Afrique du Nord: **Les partis nationalistes en Afrique du Nord**" Diffusion restreinte, mars 1955, à I.R.M.C. Tunis ,p.112

14 -راجع حول موقف بن يوسف في جانفي 1956 تجاه فرنسا وموضوع الاتّفاقيات في المحادثة التي كان أجراها معه شارل سوماني بـ: *"Entretien Charles Saumagne Ben Youssef"* *in Les Temps Modernes, mars*, 1976.

15 - الطّاهر لسود من بني زيد. ولد بريف حامّة قابس سنة 1911. كان فلاّحا فقيرا يستعين في رزقه من مهنة الخياطة شارك في الحزب الدّستوري منذ شبابه. كان من الأوائل الذين رفعوا السّلاح سنة 1952 وأصبح من أبرز قيادي المقاومة. رفض تسليم سلاحه في ديسمبر 1954 والتحق بالثّورة في الشرق الجزائري. عند اندلاع الخلاف اليوسفي البورقيبي اصطف إلى جانب بن يوسف وكان من أهم العناصر التي كوّنت العصابات المقاومة من جديد وأصبح القائد الفعلي لها حتى امضاء بروتوكول الاستقلال في 20 مارس 1956 حيث أعلن اختلافه مع بن يوسف ليعود ويسلّم نفسه للسّلط التّونسيّة في 3 جويلية 1956. توفي بالحامة سنة 1994.

16 –راجع شهادته المحفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة.

17 – حسين التريكي من مواليد 1915 بالمنستير. ناضل في صلب الحزب الدّستوري. حكم عليه غيابيّا بالإعدام أثناء الحرب العالميّة الثانية وفرّ من تونس ونشط في القاهرة ضمن الوطنيّين المغاربة وكان من اتباع الحبيب ثامر. اصطفّ إلى جانب بن يوسف عند الخلاف في الحزب الدستوري في الخمسينات وحكم عليه غيابيا سنة 1957 بالإعدام. ساهم مع الجزائريّين والجامعة العربيّة في التعريف بالقضيّة الجزائريّة والفلسطينيّة. لازال على قيد الحياة (2001).

18 –بشهادته المحفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

19 – راجع شهادات سلامة بن صالح بن علي بن سلامة ومبروك بن محمد المحسن وعمر البارودي مثلا بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة.

20 – انظر مثلا تقرير المخابرات العسكريّة الفرنسيّة بتاريخ 12 نوفمبر 1955. في:

S.H.A.T., S.2H., C.2H310., D1. f.78.

21 – يقول المقاوم اليوسفي عمر البارودي في شهادته عن الذين تطوّعوا للقتال في

صفوف اليوسفيّة : "كثير من النّاس دخلوا المعارضة كذلك طمعا في الإعانات وكثير على حسن نيّة" م.م.

22 – عبد الله (الطّاهر)، **الحركة الوطنيّة التونسيّة، رؤية شعبيّة قوميّة جديدة**، سوسة-تونس، دار المعارف للطّباعة والنّشر، الطّبعة الثانية، د.ت، ص 131.

23 -ALDIB (F) **Abdel Nasser et la Révolution algérienne**, Paris, L'Harmattan (traduit de l'arabe),1985,p178

24 - شهادة الطاهر لسود بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

25 –جريدة الصّباح. 1956/2/12.

26 – راجع الخريطة المصاحبة: "**المقاومة اليوسفيّة ديسمبر 1955– صائفة 1956**" المنجزة اعتمادا على تقارير الجيش الفرنسي. ولمزيد التفاصيل حول هذه العصابات وتركيبتها ومجال نشاطها يمكن العودة لدراستنا حول "التّونسيون والثورة الجزائريّة" الصادرة ضمن أعمال مؤتمر "**منهجيّة كتابة تاريخ الحركات الوطنيّة في المغرب العربي**" عن مؤسّسة التميّمي 1998.

Amira ALEYA-SGHAIER *"Les Tunisiens et la Révolution algérienne (1954-1958)"*,
in Actes du Colloque
'Méthodologie de l'Histoire des Mouvements Nationaux au Maghreb'
Pub. de la F.T.E.R.S.I., Zaghouan, 1998, pp. 109-141

27 – كان الطيّب الزّلاق عاملا بالسّكة الحديديّة. عمل بالجيش الفرنسي. شارك في المرحلة الأولى من المقاومة المسلّحة وأصبح من أبرز القياديّين فيها في جهة عين دراهم وجندوبة. عاود المقاومة في صف اليوسفيّين. سلّم نفسه في 8 مارس 1956 وحكم عليه في جويلية 1956 بالاعدام ونفّذ فيه رغم وساطات عديدة.

28 – من مواليد دوز سنة 1922 شارك في الثّورة الأولى مع مصباح الجربوع ومصطفى المرزوقي ومحمد قرفة. وانخرط من جديد في المقاومة في صف الأمانة العام. حكم عليه سنة 1957 بالإعدام ونفّذ فيه.

29 – من نفطة كان مناضلا دستوريا. رفض تسليم سلاحه في ديسمبر 1954 والتحم بالثورة الجزائريّة في مجموعة طالب العربي. تمكّن من الفرار إلى ليبيا وحكم عليه غيابيا بالإعدام.

30 – شارك في المقاومة المسلّحة قبل ديسمبر 1954 وفي الثورة الثانية. سلّم نفسه مع عصابته في جانفي 1956.

31 – الناصر بن مسعود الوصيف. برز في المقاومة اليوسفيّة كقائد لجيش التّحرير الوطني

بتطاوين. قتل في معركة مع الجيش الفرنسي في 1 جوان 1956.

32 – أحد قيادي المقاومة المسلّحة بالجنوب الغربي حكم عليه بالإعدام ونفذّ فيه في 29 سبتمبر 1956.

33 – أحد قيادي المقاومة في صف الأمانة العامة بجهة زرمدين حكم عليه في أوت 1956 بالأشغال الشاقة مدى الحياة.

34 – من لقطار (جهة قفصة) شارك في المقاومة المسلّحة في الجنوب الغربي في المرة الأولى والثانية. وحوكم سنة 1957.

35 – في الواقع هذا العمل اعتمد خاصة على الشهادات و تقارير مصالح القيادة العامة للجيش الفرنسي بالمصادر التالية:

(S.H.A.T., 2H, C. 2H310, D1., -C.2H311, D1 et D2, -C. 2H312. D1 et D2).

(synthéses de renseignements établies par le commandement militaire français en Tunisie).

36 – حالة المعلمين حسن بن سالم الحمادي من مكنين (حكم عليه سنة 1957) والطّيب بن محمد بن غرسه من سليانة (حكم عليه سنة 1957).

37 – **S.H.A.T., 2H., C.2H312, D.2, Synt. de R. du 10 au 25 mars 1956, ff. 387-390.**

38 – شهادة الطّاهر لسود م.م.

39 – انظر **الملحق عدد 1**: العمليّات العسكريّة التي شاركت فيها عصابات اليوسفيّين.

40 – احصاء قمنا به اعتمادا على مصادر صحافية وعسكريّة ولمعرفة توزيع الشهداء جغرافيا وزمنيّا يمكن مراجعة "**كرونولوجيا العمليات العسكريّة التي شاركت فيها عصابات اليوسفيّين**" (الملحق 1).

41 – كان عدد الذين سلّموا السّلاح في ديسمبر 1954: 2713 مقاوم. لكن يبدو أنّ الكثيرين الذين قدّموا أنفسهم على أنّهم "صعدوا للجبل" كانوا "مغشوشين" وكانوا يبحثون عن امتياز أو شهادة براءة من ماض مخجل. هذا على الأقل ما صرّح به عديد المقاومين (انظر مثلا شهادة عبد العزيز شريّط (أخ لزهر) والسّاسي بويحي بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة).

42 – هذا ما يؤكّده فتحي الذّيب في كتابه المذكور صفحة 120 إذ يفيد أنّه وقع بين 20 مارس و 6 أفريل 1956 إيصال أربع بعثات من السّلاح إلى الجبهة التّونسيّة فيها 330 بندقيّة و

59 رشاشة و 648 قنبلة و 50 مسدّس وكميّة كبيرة من الذّخيرة.

43 - S.H.A.T., 2H., C. 2H312, D.2.Rapport du 10-25 avril 1956, 454-458

44 - راجع في هذا الشأن شهادة الطّاهر لسود. كذلك كتاب فتحي الذّيب، م م. ص ص. 85-97.

45 - كان يعيش بجهة الكاف وحدها سنة 1946 حوالي 1500 معمّر جزائري.

46 – S.H.A.T., 2H, C. 2H312, D.2., Synt. de R. du 25/3-10/4/1956, par Guillebon, ff. 401-402.

47 – راجع شهادته كذلك رسالته التي وجّهها إلى المقاومين الجزائريّين بتاريخ 23 ديسمبر 1955 والتي نشرناها ضمن أعمال ندوة امنهجيّة كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي م.م. ص ص 140—141.

48 – رسالة واردة بـ"كتاب أبيض..." م.م.، ص. 81

49 – راجع كرونولوجيا هذه الأحداث بالملحق عدد 1 لهذا المقال.

50 – راجع مثلا تقرير قيبون بتاريخ 25 ماي 1956. S.H.A.T., 2H., C. 2H312, D2; ff 454-458

51 - منذ مارس 1920 بعثت السّلطة بوسطاء لاقناع الرّافعين السّلاح بالجنوب على وضع سلاحهم لكن لم تنجح إلاّ في اقناع القليل.

52 – تقرير الجنرال بايّيف (Baillif) القائد العام للقوات الفرنسية بتونس لشهر ماي 1956.

S.H.A.T., 2H., C. 2H 312, D.2., ff. 469-473.

53 - راجع الملحق عدد 1.

54 – شهادة أحد الذين شاركوا في هذه المعارك وهو مبروك بن محمد المحسن بتاريخ 8 جويلية 1994 محفوظة بالمعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية.

55 – مع الملاحظ أن الجانب الآخر أي جانب بورقيبة وإن كان بأقل حدّة إلتجأ إلى نفس أسلوب الإغتيالات وقد أحصينا 7 قتلى في صفّ اليوسفيّين بالرّصاص تنسب لعناصر الدّيوان السّياسي وتحكى أنّه جدّت تصفيات عديدة واغتيالات لليوسفيّين في صبّاط الظّلام (تونس العاصمة) وبالدّخلة (الوطن القبلي) دون أن نتأكّد من صحّتها لإنعدام المصادر المكتوبة. (راجع في هذا الشّأن مثلا شهادة حسين التريكي .م.م.). وقد أكّد لنا ذلك المناضل علي المعاوية في مقابلة معه في تونس في 18-4-2001.

56- راجع الملحق عدد 2 : «**استسلام العصابات اليوسفيّة**».

57 – حول التحاق التّونسيّين بصف الوحدات الجزائريّة انظر مقالنا «**التونسيون والثورة الجزائريّة**» م.م.

58 – رغم الفوضى السّائدة سنة 1956 في صفوف المقاومة الجزائريّة كان الاتّجاه العام لقياديها هو استغلال الاستعداد الذي أبدته السّلط التونسيّة وما مارسته فعلا كتنظيمات وحزب وحرس وطني من تقديم المعونة للمقاومة الجزائرية وتسهيل تسريب السّلاح لها لتنظيم صفوفها وتركّزها بتونس. راجع في هذا الشأن مقالنا «**التّونسيون والثورة الجزائريّة**» م.م.

59 – حسب الطّاهر عبد الله كان سجن من اليوسفيّين 1200 شخص، م.م.، ص. 155.

60 – راجع نصوص بعض المحاكمات **بالكتاب الأبيض** السّابق الذّكر. وفي الواقع أن صالح بن يوسف سوف يستغلّ لاحقا واجهة "جيش التّحرير الوطني" في محاولاته الإنقلابيّة ضدّ بورقيبة بدعم من النّظام المصري و بعض القياديّين في جبهة التّحرير الوطني الجزائري وذلك حتى نهايته مغتالا في 12 أوت 1961 بألمانيا.

ملحق 1

العمليات العسكريّة التي شاركت فيها عصابات اليوسفيّين.

- **19 أكتوبر 1955:** 200 مسلّح يهاجمون في الآن ذاته المركز المنجمي بالرّديّف والمركز الحدودي بتمغزة الذي كان بيد الاضافيّين من التونسيين. وقتل 3 فنّيين فرنسيّين من موظفي المنجم.
- **24 أكتوبر 1955** : اغتيال جندرمي بمسّكو (برج العامري).
- **25 نوفمبر 1955:** تخريب الخطوط الهاتفية بين بنزرت ومجاز الباب.
- **29 نوفمبر 1955:** اشتباك مسلّح بين الثوّار وقوات الجيش بالرّديّف.
- **2 جانفي 1956:** عمليات عسكريّة ضد اليوسفيين في جهة قفصة والقصرين.
- **5 جانفي 1956:** اعتداء مسلّح على مقر الحزب الدستوري (الديوان السّياسي) بسيدي عيش.
- **9 جانفي 1956:** اعتداء مسلّح على مقر شعبة سيدي علي بن عون (سيدي بوزيد) وتخريبها من 10 مسلّحين.
- **14 جانفي 1956:** اشتباك في جهة قفصة بين قوّة من القوم ومجموعة من الثوّار قتل من الأخرين واحد.
- **11 جانفي 1956:** اعتداء على حافلتي نقل وحرقهما بعد الاستحواذ على عائداتها المالية بالطريق فرنانة–القصرين.
- **21 جانفي 1956:** في جبل البليجي (جهة قفصة) اشتباك عنيف بين عصابة مشتركة جزائريّة- يوسفيّة مع الجيش الفرنسي خسر فيها الثوّار 29 قتيلا و 9 أسرى وفي الجانب الفرنسي: 2 قتلى و5 جرحى.
- **26 جانفي 1956:** تخريب السّكة الحديديّة بين تونس وغار ديماو واتلاف خطوط الهاتف بين تونس وسوسة وتونس- سوق الأربعاء.
- **31 جانفي 1956:** ايقاف 13 فردا منظوين إلى عصابة عبد اللّطيف زهير بجهة زرمدين.
- **5 فيفري 1956:** عصابة من 50 فردا تهاجم حضيرة أشغال عامة قرب سبيطلة وتخرّب كلّ الآلات فيها.

– **9 فيفري 1956**: 40 متمرّدا يقومون بسلب أموال السّكان بفرنانة (عين دارهم.)

– **12 فيفري 1956**: عمليّة عسكريّة في الرّديف أسفرت عن مقتل 4 أشخاص منهم عسكريان فرنسيان وجرح 10.

– **12 فيفري 1956**: مهاجمة ضيعتين لمعمّرين بمكثر.

– **13 فيفري 1956**: اطلاق الرّصاص من متمرّدين على سيارة عسكرية (جرح اثنان).

– **15 فيفري 1956**: بجهة سليانة قتل 20 متمرّدا في اشتباك مع قوّة من الاضافيّين التّونسيّين.

– **15 فيفري 1956**: 50 متمرّد يهاجمون مركز الجمارك ببوشبكة ويشتبكون مع قوات الجيش.

– **17 فيفري 1956**: انفجار مدبر في منجم بالكاف أسفر عن قتيلين وجريحين.

– **21 فيفري 1956**: مهاجمة ضيعة بجهة منزل تميم .

– **22 فيفري 1956**: متمرّدان يقتلان في جهة غار ديماو في اشتباك مع الجيش.

– **24 فيفري 1956**: في وشتاتة ذبح المتمرّدون 3 أشخاص وجرحوا آخر.

– **27 فيفري 1956**: مهاجمة مركز المراقبة بأم علي (جهة قفصة) من عصابة حمدي باشا المزوني.

– **29 فيفري 1956**: في جهة القصرين في كمين نصبه الثوار قتل عسكريان وجرح ثلاثة كما ذبح اثنان من الاضافيّين التونسيّين.

– **29 فيفري 1956**: اشتباك في جهة الكاف بين قوة من المخزن وعصابة الطيب الزّلاق أسفرت عن مقتل واحد من المتمرّدين وجرح ثلاثة.

– **7 مارس 1956**: المتمرّدون يقتلون في منطقة العروسة الأخوين طومسّان .Thomassin

–**8 مارس 1956**: مهاجمة مطعم *"La Tonelle"* بقفصة بقنبلتين. جرح سبعة وقتل واحد.

– **9 مارس 1956**: انفجار بمقهى *"Arthur"* بقفصة . قتل واحد وجرح آخر.

– **9 مارس 1956**: في الجنوب الشرقي بين 500 و 700 مقاوم من اليوسفيّين يعلنون تمرّدهم ويحتمون بالجبال خاصّة في بني خداش.

– **10–22 مارس 1956**: أسفرت العمليات العسكريّة التي يشنها الجيش الفرنسي ضد ثوار جبال مطماطة على قتل 103 منهم وقتل 10 في الجانب الفرنسي.

– **26 مارس 1956**: بمطماطة قتل 14 متمرّدا من طرف القوّات الفرنسيّة.

– **27 مارس 1956**: بجهة غار الدّيماو بجبل سينا أثناء اصطدام مع الجيش وقع قتل 10 متمرّدين وأسر 10 آخرين.

– **28 مارس 1956**: اسفرت العمليّات العسكريّة في مطماطة ضد المقاومين إلى مقتل بين 250

و 300 شخص. ووقع أسر 20.

– **31 مارس 1956**: في جهة مدنين طائرات "F.47" و "Mistral" التابعة للفرقة الثالثة الفرنسية تهاجم الثوّار وتلاحقهم عديد المرّات مما أدّى إلى مقتل حوالي 100 من الثوّار.

: التحام بجهة غار ديماو قتل فيه أحد الثوّار.

– **2 أفريل 1956**: في جهة قفصة وماطر في التحام مع قوات الجيش: قتل 16 من الثوّار وأسّر 21.

– **4 أفريل 1956**: في جهة قفصة عصابة يقودها حسين بن عبد اللّطيف الحاج تهاجم ثلاث سيّارات وتقتل سائقيها ذبحا (فرنسي وإيطاليان).

–في تالة في اشتباك مع قوات الوجق ولجنة الرّعاية قتل 4 ثوار وأسّر 16. بإعانة الجيش.

– في الحامّة اشتباك مع لجنة الرّعاية بقيادة السّاسي لسود قتل فيه أحد الثوّار.

– في غارديماو في اشتباك مع قوات الأمن جرح اثنان من هذه القوات وأسّر ثلاثة من الثوّار.

– **6 أفريل 1956**: اشتباك في جهة قفصة قتل فيه 9 من الثوّار وأسّر 60 منهم. وقتل واحد من العسكر.

– في اشتباك في الجنوب التونسي مع مجموعة تسريب أسلحة قتل أحد الثّوار وأسّر 2 منهم.

– في جهة قابس: قافلة تحمل السلاح تتصدّى لها لجنة الرّعاية والجيش وتحجز حمولتها من الأسلحة. ويقتل في العمليّة ثائران.

– في بني خداش: في اشتباك مع الجيش وقع قتل 3 ثوّار وغنم أسلحة. جرح 2 من قوات الأمن .

– بجبال العسكر وطانيش: أسفرت العمليات العسكرية ليومي 6 و 7 أفريل على مقتل 15 من الفلاّقة ومقتل 2 وجرح 3 من قوات الأمن.

– **10 أفريل**: سبيطلة الثوّار يحرقون 12 ألف طن من الحلفاء.

– **11 أفريل**: اشتباك في غارديمو وفي قفصة أدّى إلى أسر 22 من الثوّار وغنم أسلحة.

– **16 أفريل**: ببني خداش: اشتباك مع قوات الأمن أدّى إلى مقتل 4 في صف الثوّار.

– **26 أفريل**: في الرّديّف: مقتل 1 من الثوّار وأسر اثنان.

– **28 أفريل**: اشتباك بعين زارات (قابس) أسفر عن قتيل 1 وأسر آخر من بين المتمرّدين وجرح 6 من قوات الأمن.

– **28 أفريل**: اشتباك بتالة: قتل 1 من الثوّار وأسر 3 منهم.

– **3 ماي**: اشتباك بجبل سيدي عيش (قفصة) قتل فيه 3 من الثّوّار.

– المتلوي: خطف عاملين بالمنجم ثم ذبحهما.

– **4 ماي**: على الحدود التونسية– الجزائرية: اشتباك عنيف مع قوات من المخزن و الاضافيّين والجيش أسفر عن مقتل 66 من الثوّار وأسر 8 وغنم أسلحة كثيرة.

– **8 ماي**: في ذهيبة: الثوّار يضعون كمين لدوريّة من القومية قتل فيه اثنان من القومية.

– **9 ماي**: انفجار قنبلة أسفرت عن جرح 5 من العساكر.

– **10 ماي 1956**: في جبل عرباطة (قفصة) القضاء على عصابة عبد الله البوعمراني بما فيها قائدها. (17 فردا): – في جهة قفصة: الطّائرات تسحق قافلة مهرّبي أسلحة.

– **11 ماي 1956**: عملية من الثوّار بجبال خمير قتل فيها 3 عساكر وجرح 8 (كمين).

– **16 ماي 1956**: غارديماو: اشتباك قتل فيه اثنان من الثوّار.

– **19 ماي 1956**: في جهة قفصة اشتباك قتل فيه 50 من الثوّار.

– **25 ماي 1956**: أسفرت المشادات بجبل السّمارة على قتل 21 من الثوّار.

– **29 ماي 1956**: اشتباكات عنيفة بمدنين وتطاوين مع الجيش الفرنسي أسفرت على مقتل 73 من الثوّار وجرح 17 وأسر 17 منهم قائدهم العجمي المدوّر. كما قتل من قوات الأمن 3 منهم ضابطين فرنسيّين. وقد جدّت العمليات بدعم الطائرات وقوات المخزن المتجوّل.

– اشتباك بجهة مكثر بين قوات الأمن والمتمرّدين أدّى إلى قتل 3 من الثوّار وأسر 9 منهم.

– **30 ماي 1956**: في إشتباك بمدنين أحمد لزرق أحد القوّاد اليوسفيّين يقتل.

– **ماي 1956**: حصيلة القتلى في صفّ الثوّار في الجنوب بهذا الشهر: 242 وفي صف القوات الفرنسية 23.

– **1 جوان**: إستئناف العمليّات ضدّ الثوّار بجهة مدنين. وكانت حصيلة هذا اليوم فقط 40 قتيلا من بين الثوّار منهم القائد النّاصر بن مسعود الوصيف الذي يحمل رتبة قائد اجيش تحرير تطاوينب.

– **8 جوان**: مواصلة العمليات في جهة تطاوين وقد أسفرت على مقتل(؟) وأسر 61 من الثوّار وغنم 47 قطعة سلاح و 4000 خرطوشة.

– **15 جوان**: قافلة قادمة من طرابلس تحمل أسلحة وقع اعتراضها بجهة بن قردان حيث تم الاستحواذ على جلّ حمولتها وقتل 2 من مصطحبي القافلة.

– **30 جوان**: بن قردان حيث تتواصل العمليات منذ 24 جوان وقع ايقاف 15 من الثوّار وجرح 4 وغنم أسلحة عديدة.

ملحق 2

استسلام العصابات اليوسفيّة.

– **31 جانفي 1956**: ايقاف 13 فردا منضون إلى عصابة عبد اللّطيف زهير بجهة زرمدين.

– **1 فيفري**: استسلام عمّار بني وعصابته بجهة قفصة.

–**4 فيفري**: 5 أفراد من عصابة الطيب الزّلاق يسلمون أنفسهم لقائد سوق الإربعاء.

– **6 فيفري**: 7 عناصر من عصابة الطيّب الزّلاق يقع القبض عليهم.

– **27 فيفري**: إيقاف عصابة رضا بن عمّار واكتشاف كميّة من القنابل بالمرسى.

– **3 مارس**: ابراهيم لريل سلّم نفسه للقايد.

– **7 مارس**: إيقاف 12 من أفراد عصابة بن عمّار.

– **8 مارس**: لجنة الرّعاية تلقي القبض على عصابة من 7 أفراد مع قائدهم.

– **1 ماي**: رؤساء العشائر بقبيلة غبطن المتمرّدة على الحدود الجنوبيّة منذ أسابيع يعلنون عن استسلامهم وولائهم للرئيس بورقيبة.

– **1 ماي**: استسلام عصابة كانت تنشط بجهة مجاز الباب وتبرسق (9 ثوّار).

– **8 ماي**: الطيّب الزّلاق (وعصابته) يسلّم نفسه إلى محجوب بن علي (10 أفراد من عصابته).

– **4 ماي**: بسبيطلة: 3 من الثوّار يستسلمون ويقدّمون أسلحتهم.

– **10 ماي**: القضاء في جبل عرباطة على عصابة عبد اللّه البوعمراني 17 فردا.

– **21 ماي**: أربعة من ثوّار جهة سبيطلة يستسلمون بأسلحتهم للسّلط المحلية.

– 16 فردا من عصابات مختلفة يسلّمون أنفسهم بأسلحتهم لقائد قفصة.

– في سيدي بوزيد: 6 من الثوّار يسلّمون أنفسهم مع أسلحتهم لقائد الجهة.

– **23 ماي**: 8 ثوّار أصيلي أولاد يحي (المضيلة) يقدّمون أنفسهم لقائد قفصة.

– **24 ماي**: 19 من الثوّار يقدّمون أنفسهم إلى قائد قفصة.

– 12 من الثوّار يقدّمون أنفسهم للسّلط بأم العرايس.

– عديد من القياديّين اليوسفيّين ورؤساء العروش يعلنون عن ولائهم لقائد قابس.

- **25 ماي**: بتوزر ثلاثة من ثوّار الجهة يستسلمون.
- **28 ماي**: في قفصة 26 متمرّدا يقدّمون أنفسهم للسّلط بالجهة.
- **29 ماي**: بتطاوين (أو مدنين) تحطيم عصابة العجمي المدوّر.
- **30 ماي** : بسبيطلة إلقاء القبض على رئيس عصابة، قاتل حسين بوزيان وهو عبد الله بن الشّيخ عمران.
  - في اشتباك بمدنين أحمد لزرق أحد القوّاد اليوسفيّين يقتل.
- **1 جوان**: بجهة مدنين تحطيم عصابة ناصر بن مسعود الوصيف وقتل هذا الأخير.
- **2 جوان**: عديد القادة اليوسفيّين من جهة مطماطة يعلنون ولاءهم لبورقيبة.
  - 24 من الثوّار يستسلمون بأبّة قصور بأسلحتهم وذخيرتهم.
  - 13 من الثوّار يستسلمون بقفصة بأسلحتهم وذخيرتهم.
- **5 جوان**: 45 من الثوّار يستسلمون بقفصة.
  - 45 من الثّوار يستسلمون بتطاوين ويقدّمون سلاحهم الحربي.
  - 2 من الثّوار يستسلمون بسيدي بوزيد.
- **8 جوان 1956**: 10 من ثوّار أولاد عزيز يستسلمون مع قائدهم لقائد سيدي بوزيد مع أسلحتهم.
- **11 جوان 1956**: 20 من المقاومين يستسلمون لقائد نفزاوة.
- **16 جوان 1956**: استسلام عصابة علي بن أحمد المهداوي المتكوّنة من 31 متمرّدا وقد قدّموا 23 بندقيّة و 920 خرطوشة وقنبلة.

: بأبة قصور استسلام 8 من الثوّار بأسلحتهم.

- **20 جوان**: 10 من الثوّار يسلّمون أنفسهم للسّلط بالقصور ويقدّمون أسلحتهم (9 بنادق مع 300 خرطوشة).
- **3 جويلية 1956**: استسلام الطّاهر لسود.
- **18 جويلية 1956**: 96 من الثوّار يسلّمون أسلحتهم لوالي قابس.
- **23 جويلية**: 165 من الثوّار اليوسفيّين يقدّمون أنفسهم لوالي قابس.

ملحق 3

الأحداث الكبرى في المعارضة اليوسفية .

– **13 سبتمبر 1955**: عودة صالح بن يوسف إلى تونس حيث يحظى باستقبال كبير.

– **3 أكتوبر 1955**: اجتماع صالح بن يوسف وخطابه في مقر جامعة الحزب الدّستوري بتونس يلقى مساندة كبيرة لموقفه الرّافض للاتّفاقيات.

–**7 أكتوبر 1955**: خطاب بن يوسف في الجامع الكبير وحكمه على اتّفاقات 3 جوان 1955 بالخيانة و اعتبارها خطوة إلى الوراء.

– **8 أكتوبر 1955**: الديوان السّياسي يجرّد بن يوسف من صفته كأمين عام للحزب و يفصله منه.

– **13 أكتوبر 1955**: خطاب منفلوري في تونس حيث نادى فيه بن يوسف إلى مقاومة وإفشال الاتفاقيات.

– **31 أكتوبر 1955** : تدشين مقر االأمانة العامةبـ (حزب بن يوسف) بنهج الجزيرة بالعاصمة.

– **7 نوفمبر 1955**: صالح بن يوسف يبدأ جولة تعبويّة في الجنوب الشرقي (حومة السّوق، تطاوين بنقردان).

– **11 نوفمبر 1955**: الطاهر لسود يعلن عن انضمامه لصالح بن يوسف.

– **12نوفمبر 1955**: عودة حسين التريكي إلى تونس وانضمامه لصالح بن يوسف (الشخصيّة الثانية).

– **20 نوفمبر 1955** : جولة دعائية لصالح بن يوسف مصحوبا بالطاهر لسود والتريكي بقابس ولعراض وبني زيد ومدنين.

– **25 نوفمبر 1955**: تظاهر الفلاقة في تونس واقتحامهم دار الباي "يطالبون بمنح والتشغيل"

– **27 نوفمبر 1955**: الاتّحاد العام للفلاحة بتونس يعلن معارضته لاتفاقيات 3 جوان 1955 وينحاز إلى بن يوسف.

– **17 ديسمبر 1955**: إعلان المندوب السّامي الفرنسي بتونس والحكومة التونسية على اكتشاف عصابة خطيرة (عصابة عبد الرحمان الشّملي).

– **4 جانفي 1956**: ايقاف عليّة بن محمد بن عليّة رئيس عصابة مقاومة وقريب الطاهر لسود.

– **9 جانفي 1956**: صالح بن يوسف يقدّم لشيخ المدينة اعلاما بعقد مؤتمر وطني للأمانة العامة يوم 18 جانفي بالعاصمة.

– **11 جانفي 1956**: الحكومة تعلن منع انعقاد مؤتمر الأمانة العامّة.

– **21 جانفي 1956**: انفجار قنبلة في مقر الأمانة العامة بباب الجزيرة.

– 28 **جانفي 1956**: عمليات تفتيش في مقر الأمانة العامّة والخلايا اليوسفيّة حيث وجدت أسلحة.

– إلقاء القبض على حوالي 50 من أنصار بن يوسف (علي الزليطني...) وتمكن بن يوسف من الفرار.

– 1 **فيفري 1956**: مدّة الثماني والأربعين ساعة السّابقة البوليس يلقي القبض على 115 يوسفيا منهم 32 بجهة تونس.

– 6 **فيفري 1956**: خليّتا الأمانة العامّة في جبناينة وتبرسق تنضمّان إلى الدّيوان السّياسي.

– 26 **أفريل 1956**: رئيس الجامعة اليوسفيّة بالوطن القبلي يعلن ولاءها لبورقيبة.

– 19 **ماي 1956**: قائد المنظّمة اليوسفيّة في سيدي بورويس يعلن انضمامه لبورقيبة وولاءه في برقيّة بعثها له.

– 21 **ماي 1956**: رضا بن عمّار زعيم المنظّمة "الإرهابية" اليوسفيّة بتونس العاصمة يقبض عليه مع ثلاثة من أفراد عصابته. كما وضع الأمن يده على كمية هامة من الأسلحة والذّخيرة.

– 3 **جويلية 1956**: استسلام أشهر القياديين الميدانيّين "اليوسفيّين" الطّاهر لسود وقد قدّم نفسه لوالي مدنين.

– 16 **جويلية 1956**: محكمة القضاء العليا التي أحدثت في أفريل 1956 تبدأ سلسلة من المحاكمات تواصلت حتى سنة 1959 في حق اليوسفيّين وتصدر أحكاما قاسية في شأنهم منها عشرات الإعدامات.

1- اعتمدنا لانجاز هذه الكرونولوجيا (الملاحق الثلاثة) على المصادر التالية:

- DAR EL AMAL,Le Nouvel Etat, dans la série H.M.N.T., pub. de DarEl Amal, Tunis,1983,Tome3,pp. 201-283

-Le journal" *Le Petit Matin*" 1955-1956.

-S.H.A.T., 2H., C 2H310, D.1.; -C 2H311,D1 et D2; - C. 2H312, D1 et D2. (synthéses de renseignements établies par la commandement militaire français en Tunisie).

ليلة أوّل نوفمبر 1954، الجدل الدّاخلي في الحركة الوطنية وأثر الثّورة الجزائرية على الصعيد العالمي [1]

امحمد يزيد *

تتمحور شهادتي حول ليلة اندلاع الثورة وما حدث خلال 1954 و1955، وقدسبق وأن اتفقت مع الأخ عبد الحميد مهري على أن يحدثكم عن ما جري من أحداث تاريخية في الجزائر قبل 1954.

عند دخولي القاعة الأخ منور مروش و هو من الزّملاء الذين كانوا معي خلال الخمسينات في القاهرة و في تونس، كرّر لي نفس النّصيحة «تكلّم بالعربية»، حيث أنّنا هنا بالجزائر لدينا معارك و مشاكل كبيرة مع لغة الخطاب و لغة الإتصال و لغة تبليغ الرسالة، و تذكرت عندما وصلت إلى القاهرة لأوّل مرة في صيف 1954، التقيت مع عالم من العلماء - رحمه اللّه - أحد أعلام الأدب العربي، صاحب اللّغة و التعبير، قلت له ما هو مستوى اللّغة هناك بالقاهرة؟ قال «يا الزبير وجّهَت لي دعوة لإلقاء محاضرة، و لم تتعدّ ربع ساعة، و خلال ذلك الوقت استعملت على الأقل أربعين كلمة لم يفهم أحد معناها»، أما أنا فسأتكلّم إنشاء اللّه باللّغة التي يفهمها الجميع.

نادي طلبة المغرب العربي

حول ما يتعلّق بالمغرب العربي، هي فكرة الجيل الذي سبقنا و جيلنا، وكانت الدّولة الفرنسية تضع العراقيل و هذا لكي يصعب الإتصال، والمخبر الذي يلتقي به أبناء المغرب و تونس و الجزائر كان حتى نهاية الحرب العالمية الثانية الجامعة الفرنسية الوحيدة بالجزائر؛ لهذا الكثير منهم جاء ليدرس في الجزائر، وكان لدينا تنظيم لطلبة المغرب العربي، وكنّا نقول "طلبة شمال إفريقيا"، و ضمن المسؤولين طلبة جزائريين، تونسيين و مغاربة، و يجب التّذكير بأنّ بن بركة كان من المسؤولين، و الطاهر ڨيڨا، و مستيرى، و بعد الحرب العالمية الثانية أصبحنا نلتقي في باريس، و هناك يوجد تلاحم ليس فقط في فترة نجم شمال إفريقيا، وإنّما في تنظيم الطلبة و العمال، و التنسيق في النقابة.

في نادي طلبة المغرب العربي، توجد أسماء عبد الرحمن اليوسفي، وبوعبيد، وعبد الله إبراهيم وأصحاب النّقابة، و بعد مشكلة تمثيل الوطنيين التونسيين بعد الحرب العالمية الثانية، كانت قيادة تونس خاصة بعض القادة الذين كانوا يتواجدون في فرنسا متورّطين مع ألمانيا، و الملك محمد الخامس كان موقفه واضحا حيث كان يرفض التعامل مع الألمان، و هنا في الجزائر توجد شخصيتان أو ثلاثة تورّطت، لأنّ حزب ميصالي الحاج لديه أصالة في الكفاح الديمقراطي، و كان ضدّ النازية و الفاشية، وبورقيبة كان متورط، هرّبه قنصل أمريكا وكانت لديهم مصالح مشتركة وكذلك ثامر، لكن بعد الحرب العالمية الثانية يوجد من ذهب إلى القاهرة، و من الجزائريين الموجودين في القاهرة جماعة انتموا فيما بعد للإتحاد الديمقراطي للبيان، يعني البيّوض، و حماني و كانوا متورطين.

التمثيل الخارجي للقضية الجزائرية

فيما يخص تمثيل الحركة الوطنية بعد الحرب العالمية الثانية، بُعث الشاذلي المكي، أما في فرنسا كانت هناك إتصالات عميقة بين المشرق و المغرب، وأنا أتذكر لجنة التضامن مع الشعب الفلسطيني عام 1947، وإضراب الحمّالين، وإضراب عمال الميناء المغاربة في ميناء مرسيليا، حيث منعوا نقل السلاح إلى الصهاينة، و في هذه الفترة كانت توجد علاقات مع الفلسطنيين و ساعدناهم ماليا و بالمتطوعين كذلك، و الكثير منهم ذهب برا و الآخرين ذهبوا عن طريق فرنسا.

و الآن نتكلم عن المرحوم محمد بوضياف وعلاقاته، عاش في الجزائر، و قبل اندلاع الثورة كانت تربطه علاقة بالمسؤولين المغاربة و الزعماء الموجودين هناك، سواء كممثلين للحركة المغربية أو التونسية أو المبعَدين، و يجب التأكيد على أنّ الحركة الوطنية التونسية أو المغربية كانت ممثلَة هناك، و كان معنا في الفيدرالية الأخ ممجي زين العابدين المدعو "حسين"، و احمد كابة. و بعدما حدثت الإعتقالات، و كانت الجماعة المتكوّنة من بوضياف و ديدوش وجماعة أخرى في السّرية، و كنا نحن في فيدرالية فرنسا وقد طلبنا بأن يبعثوهم عندنا، ونحن من نظّم عملية هروب بن بلة و محساس إلى فرنسا عن طريق عمال الميناء يعني الكنفدرالية العامة للعمل la CGT، إلى جانب آيت احمد ومن هناك بعثناهم إلى القاهرة، وفي هذه الفترة بدأ تمثيلنا بها، و في تلك الفترة أين كان محمد بوضياف؟.

محمد بوضياف كان مسؤولا عن التنظيم في فرنسا ومساعده ديدوش مراد، وكان يعيش في جو من الإتصالات مع المغاربة، و هنا تعرّف على عبد الكريم الخطيب وكان إلى جانب الطلبة، وكان يزورهم عصمان، و عند انعقاد تجمع الأمم المتحدة في باريس أوائل الخمسينات، وخلال سنة 1952 القضية المغربية كانت مسجّلة في الأمم المتحدة للمناقشة، ورغم إبعاد محمد الخامس بقي ممثلوهُ من حزب الإستقلال في السرّية، و كان هناك أيضا تونسيون من جماعة بورقيبة أمثال رشيد ادريس، والطيّب سليم.

إذن القضية أصبحت دولية في جويلية 1952، و عند الحديث عن وجود مصالي في باريس و الإتصال مع عزّام باشا، يجب أن نذكر أنّه قبل مجيء هذا الأخير إلى باريس كان مصالي قد التقى به في القاهرة، لأنّ مصالي كان قد ذهب إلى الحج و أثناء رجوعه عبر سويسرا إلى فرنسا، بل أكثر من هذا، الذي أعطى دفعا لتمثيلنا في القاهرة دفعة جديدة بعد هزيمة فلسطين، هو وصول عبد الكريم الخطابي، حيث كان له ثقل كبير هناك، حتى قبل ثورة جويلية 1952، و الأمير عبد الكريم الخطابي له صدى عالمي، و أشهد أنّني عندما ذهبت لأوّل مرة إلى أمريكا، أن الشخصية الوحيدة المعروفة من المغرب العربي خارج بلدانها هو عبد الكريم الخطابي، و نفس الشيء عندما ذهبنا إلى مؤتمر باندونغ.

و لكن بدأت المشاكل الخاصة بالتمثيل ، و عند وصول الدّم الجديد الذي بعثناه، و المتمثل في بن بلة و آيت احمد، و خيضر الذي هرّبناه، و هي شهادة أمام التاريخ، و هذا كان موقف تمرّد و قطيعة تبنّته فيدرالية فرنسا، و كنّا طلبنا منه أن لا يسلم نفسه إلى فرنسا، كما كان قد طالبه بذلك بعض المسؤولين داخل الحزب.

و محمد بوضياف عاش داخل هذه الأجواء المغاربية، أنا أتكلم عن هذه الأحداث ليس فقط لأذكّر بالدور الذي لعبناه، حيث كانت لنا مشاكل كبيرة سواء مع مصالي أو مع اللّجنة المركزية. أنا مثلا لعبت دورا و لا أريد إبرازه، و مقتنع بأنّهم زملاء حتى الآن أدافع عنهم رغم أن الأغلبية كانت في اللّجنة المركزية تقول «لا تثقوا في الزبير فهو معهم».

و عندما انتقلنا إلى القاهرة، حدث ما حدث في لقاء جنيف، حيث التقينا في لقاء المبادرة الأخيرة في جنيف يوم نهائي كأس العالم في بارن Berne. و اتفقنا مع الجماعة التي جاءت من القاهرة، و كان من بينهم الأخ حسين و أنا بقيت في فرنسا، و حدث الإنفصال دون أن يمس هذا بالتقدير ولا بالكرامة، وحضّرنا بإتفاق، ولا نتكلم عن الأموال التي دفعناها ولا عن

التوزيع في فرنسا، كان موجى هو الذي يطبعه، فمن يعطيه الآلات والأموال؟ ومن كان يشارك في الصياغة؟

فيما يخص التدويل، طلب بوضياف و ديدوش من جماعة قليلة إعداد ملف تدويل القضية. كنّا نقول في الخطابات و المناقشات بأنّ الهدف الأوّل لجبهة التحرير الجزائرية هو رفع القضية الجزائرية إلى مستوى القضية المغربية و القضية التونسية، و كان أوّل من بدأ بهذا العمل هم ما أصطلح عليهم "الفلاقة" أي الخارجون عن القانون، وحدثت انتفاضة بالمغرب بعد إبعاد الملك محمد الخامس، كما سُجّلت محاولتين لاغتيال ابن عرفة إلى جانب مظاهرات، و قد سال الدم، و ارتكبت مجازر، و كان شمال المغرب تحت سيطرة أسبانيا، و انتهجت سياسة التعاون مع الوطنيين المغاربة، مثل عبد الخالق الطرّيس و جماعته وكانت لهم علاقات، و بنّونة الذي كان مع وكالة المغرب العربي و كانوا متمركزين هناك.

و عند اندلاع الثورة كانت مهمة بوضياف الإتصال بالدّاخل هو مع بن بلة، أما نحن فمهمتنا هو تدويل القضية، و عند وصولنا إلى القاهرة بدأنا نتحرك في مكتب المغرب العربي، لم يكن أحد يسمع بجبهة التحرير الوطني، و بن بلة بدأ الإتصالات بالحكومة فقط، و لا وجود لأي تمثيل سياسي و لا أي صدى، و هذا بعد فترة قصيرة من وصول خيضر، و عن التمثيل الجزائري كان هناك تكتّل بين الشاذلي المكي و الشيخ البشير الابراهيمي. و أوّل شيء كسبناه بدعم من إخواننا من حزب الإستقلال

و إخواننا من حزب الدستور، حيث كانت جماعة بورقيبة في اتصالات مع فرنسا، هذه الجماعات أيّدتنا و اعترفت بأنّنا نمثّل الجزائر، و أخرجوا الآخرين و ساعدونا، و أذكر من بينهم الرئيس ادريس، و بولعراس، وعبد الكريم غلاب، و عبد المجيد بن جلول، وابن امليح، وإبراهيم طوبال، هم الذين قاموا بترجمة بيان أوّل نوفمبر إلى اللّغة العربية، و كل وثائقنا نقوم بتحضيرها معا.

كان محمد خيضر لديه تكوين عربي، أما حسين آيت أحمد حاول التحسّن، و قد وقّعوا معنا في الجامعة العربية، و أكّدوا على أنّنا نحن من يمثّل الجزائر و قالوا ذلك للرئيس عبد الناصر، و لا يجب أن ننسى بأنّ جمال عبد الناصر كانت سياسيته الخارجية خاصة العربية منها لا تسيرها لا الرئاسة ولا وزارة الخارجية بل المخابرات، و فتحي الدّيب عندما نشر مذكراته قيل لي ماهو تعليقك ؟ فكان جوابي هل ذكر بأنّه مدير المخابرات ؟ هل أعترف هو مع عزت سليمان ؟ فهم أخذوا موقف و أيّدونا، و الأمير عبد الكريم الخطابي كذلك أيّدنا، و نفس الشيء بالنسبة للشباب أمثال الهاشمي و الجماعة التي تكوّنت في العراق، والجزائري نذير بوزار الذي كان يعيش في المغرب و أصدر كتابا و هو مترجم، ومن المساعدات السياسية على سبيل المثال لكي نذهب إلى مؤتمر باندونغ، وقدّم مذكرات للجامعة العربية كل من الشيخ البشير الإبراهيمي و أحمد مز غنة، وكذلك الشاذلي المكي و قيل أنّنا لا نمثّل الجزائر وبدأو يلصقوا التّهم هذا بربري، وهذا شيوعي، وكانو يريدون الذهاب إلى باندونغ حتى أوقفناهم و التحقوا متأخرين، و بعد الثورة إلتقينا و تفاهمنا جميعا.

و عندما كنّا نحضّر لمؤتمر باندونغ الذي انعقد في آسيا، الإتصال في الوطن العربي كان سهلا، حيث أنّه في الهند الطيّب سليم بعث إليه صالح بن يوسف المكلّف بالعلاقات الدولية و الذي أيّدنا، وكان في جاكرتا طاهر عميرة وقدّموا لنا كل إمكانياتهم، و عند وصولنا إلى مؤتمر بوقور في ديسمبر، و هو مؤتمر للدول التي حَضَرَت مؤتمر باندونغ، سوكارنو و نهرو، وأعطونا نفس النصيحة أن نأتي إلى باندونغ، والقضية المغربية و القضية التونسية كانت معروفة و هي في جدول الأعمال.

اتهموا السّلطة بأنّ هناك إيفيان الأولى و إيفيان الثانية، لم نتمكن من إقناعهم بأن هذه صور "الحَرْكَة" ليس صور جيش التحرير كانوا لا يثقون بنا. شيئا فشيئا يأتي جيل ويفتح العينين. والمذكرة التي قدّمناها هي مذكرة عن

الوضع في المغرب العربي بفروعه، عن الوضع في الجزائر، وفي تونس و المغرب، و لكن حدثت لنا أزمة كبيرة و بورقيبة أحدث لنا أزمة في باندونغ، حيث أن بورقيبة كان عشية توقيع الإتّفاق مع فرنسا إتصل بصالح بن يوسف و أمره بأن لا يوقّع، و نحن مع المرحوم صالح بن يوسف الذي دخل في المعارضة، و من أسباب ذلك نجد التلاحم المغربي و الضغط، و كنا نحن و علال الفاسي و الدول العربية في باندونغ، و كلها أظهرت له خطر فصل الصفوف.

العلاقة الجزائرية التونسية 1954-1958

الآن أرجع للتّحضير وفكرة الجيش المغاربي، بعد باندونغ في ماي، جوان، جويلية، أوت حتى سبتمبر. جاءت فكرة جيش تحرير المغرب العربي و كان من بين من لعب دورا نجد بن بلة و بوضياف إلى جانب بن مهيدي الذي كان مسؤولا عن الغرب الجزائري، و كان قد جاء مرتين إلى القاهرة و ليبيا كونه كان منسّقا للحدود، وساعدونا بالسّلاح خاصة المصريين، وكذلك بالأموال التي كان السعوديين قد دفعوها لنا و الباخرة المؤجّرة.

و فيما يخص مذكرات فتحي الدّيب، فهو من الجماعة الذين تدخلوا في قضايانا الداخلية. و كنا قد قرّرنا أنّ إندلاع الثورة سوف يكون أول أكتوبر، لأنّه يتزامن ومناقشة القضية الجزائرية، أما القضية التونسية فكان بورقيبة قد أوقف تدويلها، و كنّا من بين من أيّد صالح بن يوسف إلى جانب باهي لدغم وبعدها قلب موقفه، وبدرة الذي كان وزيرا في القاهرة والذي ذكر أنّه يذهب من فرنسا إلى سويسرا و يصدر تصريحا ضد الحكم الذاتي، و لما وصل إلى هناك أخرج تصريحا مؤيدا لبورقيبة، أما عن الذين وقفوا بجانبنا نجد الطيّب سليم، و صالح بن يوسف، و إبراهيم طوبال، و حتى رشيد ادريس و بولعراس لفترة، و توزّعت الوثيقة في 3 أكتوبر في الأمم المتحدة، و كنت مع آيت احمد ومعنا مهدي بن عبّود و الباي الذي كان يمثّل

الإستقلال في واشنطن و الأمم المتحدة و أيّد علال الفاسي، و بعد اندلاع الثورة بدأ الوضع يتغيّر، سياسة فرنسا، و رجوع محمد الخامس، و كانت المفاوضات قد بدأت في فرنسا، و من كان يفاوضهم لديه تلاحم معنا.

و هذا مفهوم لأنّ إستراتيجية الوطن المغربي مبنية كذلك على الإلتحام مع المغرب العربي و مع العرش، و بقيت شيئا فشيئا من حيث الموقف متمسكة بمبادىء الأمير عبد الكريم الخطابي و علال الفاسي الذي التحق بعد سنة.

لذلك من أهداف التحرير و الكفاح المسلّح حتى رجوع محمد الخامس إلى العرش، نضال الشخصيات و المنظمات التي توافق على السياسة المرحلية، وبعدها شيئا فشيئا، تونس أخذت الحكم الذاتي و بسرعة الإستقلال، وأصبحت تمثّل بالنّسبة إلينا قاعدة و خلفية، و بقي بعض التونسيين منهم صالح بن يوسف و شوشان الذي كانت له علاقة بالتجارة. و إبراهيم طوبال الذي أقسم بأنّ لا يطأ برجليه تونس كونه دخل في المعارضة، و ضَمِنّا له الإقامة و الزواج بجزائرية، هذا لكي تعوا بأنّه في السياسة الظروف تتغير، و يوم إعلان الحكومة المؤقتة في القاهرة طلبنا من حكومة بورقيبة أن تعترف بنا، أنا امحمد يزيد عشت مع حسين آيت أحمد الذي قال له «إلعن الشيطان» و قال له «لا». جاء صالح بن يوسف لحضورالإحتفال الرسمي، نزلت الدموع من عيني، و قلت له «لا تختلق لنا مشاكل» ثم حدث ذلك و قتل، هذا لأضعكم في الصورة كما يقال في المشرق.

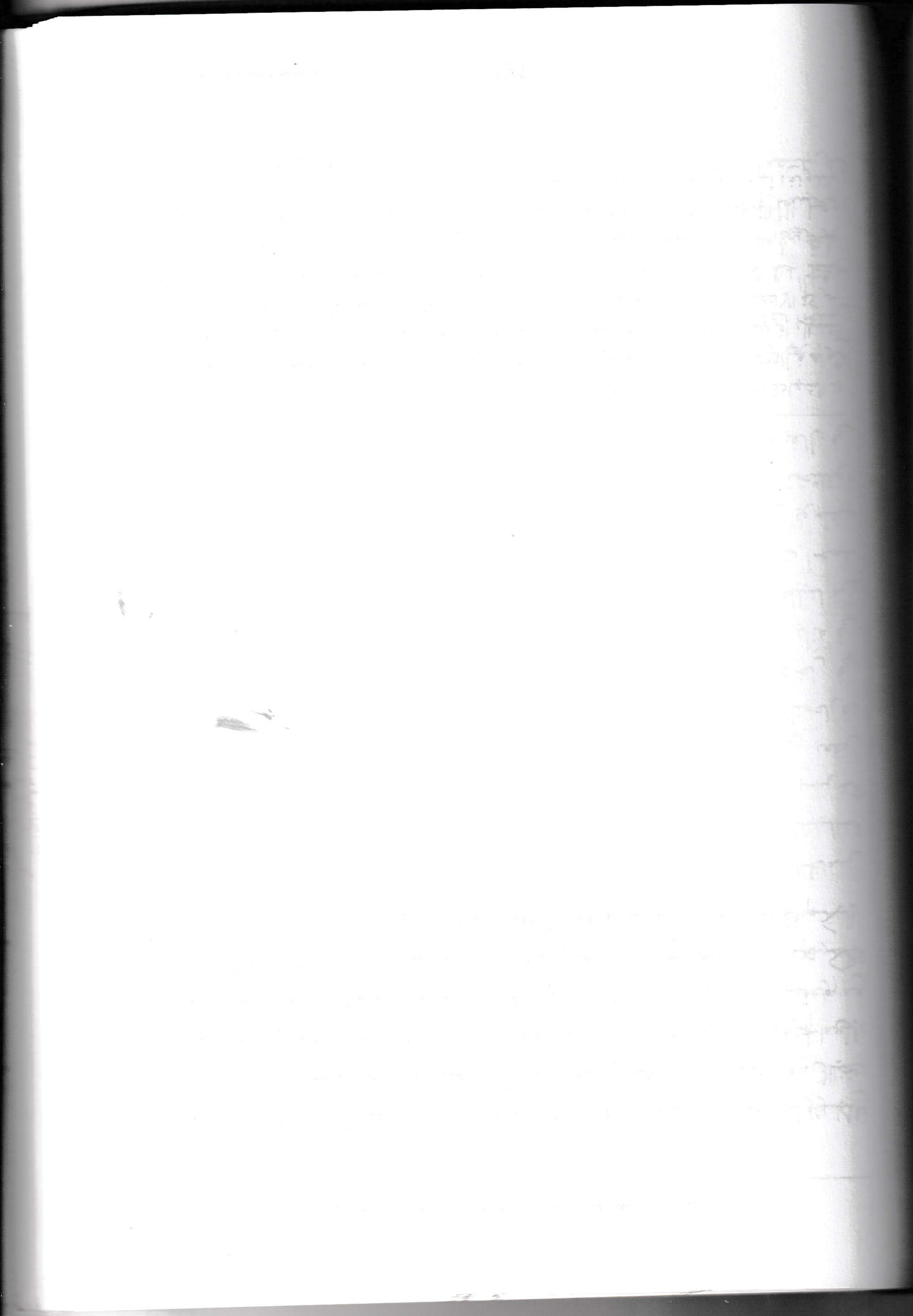
نحن من جيل، حلمه الإستقلال و وحدة المغرب العربي، لكن اليوم مع الأسف، الأسف، الأسف، أنّني عندما جئت إلى هنا رأيت المجلس الإستشاري لإتحاد المغرب العربي، يعني أنّنا نعيش في الخيال، و الدول العظمى التي تحكم في العالم، و مجلس إدارة العالم رسالتهم واضحة لن تحلوا مشاكلكم إلا بالوحدة، و هذه "الشراكة" لن يكون لديها أي نفع و أصبحوا هم من يعطوننا الدّروس، والمشكل هو القطيعة إذا لم يكن مصدرها

المسؤولين فسوف يكون مصدرها الشعب، هذا عبارة عن حلم و ليس خيال، و وضعنا الحالي هو وضع أليم، أليم، أليم، فالإخوان يقولون لكي آتي إلى الجزائر أنا أحتاج إلى تأشيرة، لقد تكلّمت مع عبد الرحمن اليوسفي، و قلت له يوما ما سوف أجيء عندك ضيفا و سوف أعمل مثل عبد الكريم، سوف أخرج بدون تأشيرة، و إذا أردتم أن تتركوني أدخل سوف آتي إليكم فقبّلني. وأنا أعطيتكم هذه المعطيات ولا أريد الإطالة.

1- الشهادة منقولة عن شريط سمعي.

*ولد في 1923 بالبليدة ، انخرط في حزب الشعب في 1942. عيّن أمينا عاما لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا 1946—1947. ومسؤول عن المجموعة الجامعية لحزب الشعب. عضو اللّجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديموقراطية، ممثل لادارة حركة الانتصار للحريات الديموقراطية بفرنسا. نشّط لجنة تحرير أسبوعية الجزائر الحرة *Algerier Libre*، وهومن بين النّشطاء الأساسيين لنزعة المركزيين. أرسل من طرف اللّجنة المركزية للتشاور مع بعثة القاهرة(آيت احمد،بن بلة، خيضر) وصل إلى القاهرة في 27 أكتوبر1954، والتحق بسرعة بجبهة التحرير الوطني وحضر في 1955 مؤتمر باندونغ، ثم أصبح نائب لجبهة التحرير الوطني بنيويورك.

Benjamin Stora,op.cit.



محمد بوضياف ودوره البارز في تنسيق الكفاح المسلّح المغاربي

عبد اللّطيف جبرو *

استشهد محمد بوضياف وهو في الثالثة والسبعين، وكان ما زال يملك قواه البدنية والعقلية، وتصريحاته الأخيرة تدل على مدى تبصّره ووعيه بطبيعة الرّسالة التي عاد إلى بلاده ليؤيدها بكل إخلاص وتجرّد. في يوم السبت 22 فبراير 1992، أي قبل أربعة أشهر من اغتياله صرّح محمد بوضياف لجريدة الإتّحاد الإشتراكي حيث استقبل في إقامته بالجزائر العاصمة المرحوم باهي محمد وقال له:

«أنا من المؤمنين الصادقين بوحدة الشمال الإفريقي، لقد تربّيت على هذه الوحدة في صباي داخل حزب الشّعب الجزائري وحاولت أن أحقّقها أثناء سنوات حرب التّحرير، من خلال التّنسيق السياسي والعسكري مع حركة المقاومة المغربية. ثم إن الظروف التّاريخية و الشّخصية جعلتني أعيش هذه الوحدة في حياتي الخاصة. إن لي علاقات صداقة في المغرب وتونس، أعتزّ بها مقدار ما اعتبر أنّ تحقيق السلام والوئام والتعاون بين دول شمال إفريقيا، أهدافا تقع على عاتق جيلنا. وسوف أبذل ما أستطيع من جهد لتوفير الشروط الموضوعية لإنجازها.»

هذا كلام واضح قاله محمد بوضياف رحمه اللّه وهو خلاصة لمسار سياسي لرجل أراد له اللّه عزّ وجل أن يكون من الشهداء.

كانت الجزائر مازالت في حاجة ملحّة إلى هذا المناضل، وكنّا في المغرب نأمل في نجاح المهمة التي أسندتها الجزائر الشقيقة إلى واحد ممن نعتبرهم من الزعماء الخمسة، ولكن شاءت الأقدار أن يعود بوضياف إلى الجزائر ويلقى مصرعه في بلاده.

ترى لو أنّ محمد بوضياف وافاه الأجل بمدينة القنيطرة، التي اختارها مقرا لإقامته ومدينة لاستقرار عائلته الصغيرة.!

عودة محمد بوضياف من مدينة القنيطرة إلى الجزائر

بعدما يدخل الإنسان في مرحلة من العمر يبدأ خلالها يقترب من الثمانين، يصبح عليه أن يفكّر أساسا في لقائه مع اللّه في دار البقاء، ويحرص في نفس الوقت على تجنّب كل ما يثير الأعصاب، ولكن محمد بوضياف شعر في بداية 1992 بأنّ الجزائر كانت محتاجة إليه كواحد من أبنائها الذين خططوا للثورة التي أنهت 132 سنة من الإستعمار الفرنسي، وفي الجزائر كما في المغرب نعاني جميعا من ظاهرة فقدان الذاكرة وأوضّح ما أقصده في هذا الشأن.

لقد رحل العديد من القادة الذين صنعوا تاريخ المغرب وتاريخ الجزائر دون أن يتركوا لنا مذكرات نرجع إليها لنفهم ما جرى في بلادنا، ونبقى والحالة هذه تحت رحمة أجانب حرّروا ذكرياتهم وملاحظاتهم إنطلاقا من مواقع للرؤيا والتحليل ليست هي بالضرورة ما يمكن أن يفيدنا لندرس بعمق التجارب التي خاضها الرّواد الوطنيون.

هذا التّقصير يعود إما إلى تواضع زعمائها، أو لكون الموت باغتهم أو عجزوا قبل أن يلفظوا أنفاسهم الأخيرة عن استحضار تلك المراحل من حياتهم التي كانوا خلالها في مواجهة مستمرة مع الإستعمار.

وقليل من يعرف تفاصيل عودة الشهيد محمد بوضياف من مدينة القنيطرة المغربية إلى الجزائر العاصمة.

لقد كان الزعيم التاريخي معنا في مدينة الرباط كواحد من الناس العاديين الذين ساروا يوم 9 يناير 1992 في جنازة كبيرة لتوديع المرحوم عبد الرحيم بوعبيد. وقد عثرت شخصيا على صورته في شريط فيديو سجّل يوم الجنازة. ولنتركه رحمه الله يتحدث عن مشاغله في تلك اللّحظة التي كان فيها يسير خلف نعش عبد الرحيم بوعبيد وباله مشغول بموضوع العودة إلى الجزائر... قال رحمه الله للمرحوم محمد باهي عن هذه المرحلة:

((في الواقع أن كثيرا من الذين زاروا المغرب في السنوات الأخيرة، كانوا يمرّون على طريق منزلي بالقنيطرة ويحاولون إقناعي بالعودة إلى البلاد لاستئناف نشاطي السياسي، وكان عدد كبير منهم من يقدم أفكارا ومقترحات ويعلن عن استعداده للعمل بجانبي. وقد رفضت كل هذه العروض، لأنّني لم أكن مقتنعا بإمكانية إصلاح النّظام، ولا كنت واثقا من ديموقراطية النّظام. ولم يقتصر الأمر على اتصال الشخصيات، وإنّما قامت حملة شعبية تلقّيت على إثرها مئات الرسائل من مختلف أنحاء القطر الجزائري تدعوني إلى العودة)).

يقول محمد بوضياف عن السيد علي هارون الذي أقنعه بالعودة إلى الجزائر لأنّ هذا الأخير صديق شخصي قديم تعود معرفته به إلى حقبة الخمسينات:

((كان معنا في تطوان عندما أصدرنا مجلة *"المقاومة الجزائرية"* من عاصمة الشمال المغربي...وكان السيد علي هارون بعد استقلال المغرب، يعمل سكرتيرا لباشا مدينة مكناس وذلك في نطاق سياسة مساعدة المغرب للثورة الجزائرية، وهي سياسة كان من جملة مظاهرها إسناد مناصب إدارية عليا في الدولة المغربية للإطارات الجزائرية ليتمكنوا من التفرغ للعمل في خدمة

الثورة، وبعد اختطاف الطائرة المغربية التي كانت تقلنا نحن الخمسة إلى تونس، لعقد اجتماع مغاربي، نشارك فيه كقادة للثورة الجزائرية مع الملك محمد الخامس رحمه الله والرئيس الحبيب بورقيبة، بعد هذا الإختطاف ترك السيد علي هارون وظيفته في باشاوية مكناس وسافر إلى أوروبا بجواز سفر مغربي. ظلّ ينتقل به ما بين ألمانيا وفرنسا وسويسرا وبلجيكا كأحد مسؤولي جبهة التحرير الوطني».

ويتابع محمد بوضياف رحمه الله حديثه مع المرحوم محمد الباهي فيقول:

«لا بد أن أشير في هذه المناسبة إلى أن الأخ عبد الرحمان اليوسفي، لعب يومها دورا مهما في اللّقاء الذي تم بيننا وبين الملك محمد الخامس؛ لأنّه كان فيما أذكر رئيس المجلس الوطني للمقاومة وجيش التحرير، إضافة إلى أنه كان صديقا شخصيا شارك معنا في وضع لبنات تنسيق أعمال حركة المقاومة وجيش التحرير في المغرب وفي الجزائر».

وبما أنّ الذكريات تجر الذكريات، يقول المرحوم باهي محمد، فقد انطلق محمد بوضياف، من هذا التقديم السريع لشخصية الوزير علي هارون، عضو مجلس الدولة، إلى التذكير بجوانب أخرى من علاقاته القوية والمتنوعة مع أقطاب الحركة الوطنية بالمغرب...ليذكر بآخر لقاء مع الشهيد المهدي بن بركة.

« أعتقد أننا التقينا بجنيف في ربيع سنة 1965 وبعد ذلك في باريس... الشيء المؤكّد أنّ اللّقاء الأوّل حصل قبل انقلاب التاسع عشر من جوان 1965، ولعلي التقيت المهدي مع السي عبد الرحمن ولعلّهما حاولا إقناعي بضرورة إعادة الجسور مع بن بلة، وأظنّ أنّني نبّهتهما في جنيف إلى أنّ بومدين بدأ يعدّ العدة للإطاحة باحمد بن بلة وأنهما استغربا في لقائنا الثاني دقة المعلومات التي قدّمتها لهما.

حصل الإنقلاب بالفعل بعد فترة قصيرة وكان المهدي وعبد الرحمن

حريصين على وحدة الحركة الوطنية المغاربية، وكانا يبذلان جهودا مضنية لرأب الصدع الحاصل بيني وبين بن بلة وبالرغم من أنّني لم أكن أشاطرهما رأيهما، فإن علاقتي بالمهدي لم تنقطع أبدا، إلى أن تمّ اختطافه، كما أن روابطي بالسي عبد الرحمان بقيت مستمرة وطوال إقامتي بالقنيطرة كنت ألتقي باستمرار مع الأخ محمد اليازغي.

وقد حضرت، كما تعرفون جنازة المرحوم الراحل عبد الرحيم بوعبيد وكان بودي أن أحضر تأبينه، إلا أن مسؤولياتي الجديدة لا تسمح لي بالتغيّب عن البلاد، لذلك كلفت سفيرنا بالإنابة عني شخصيا وبعثت رسالة إلى الإخوة أعضاء المكتب السياسي)).

يقول محمد بوضياف ((أنا في الواقع أشعر أن المغرب وطني الثاني ولا أخجل من أن أقولها، لقد أمضيت ثلث عمري في المغرب وأنا أعرف المغرب جيدا، وأدرك أهمية السلام والوئام بين المغرب والجزائر بالنسبة لشمال أفريقيا)).

هذه جولة خاطفة ومحاولة لتخيّل ما كان يفكر فيه الراحل محمد بوضياف في تلك اللحظة التي كان يحضر فيها جنازة الفقيد العزيز عبد الرحيم بوعبيد وسط جماهير الشعب، ولم يكن بوضياف يتخيل في تلك اللحظة أنّه بعد شهور معدودة ستكون له هو كذلك جنازة أخرى في الجزائر العاصمة.

رؤية محمد بوضياف لأوضاع جزائر ما بعد الإستقلال

هكذا يرحل العظماء في مختلف بقاع العالم... كان من الممكن أن يموت هذا الرجل في فراشه بمدينة القنيطرة، ويتحدث عنه الناس كواحد من الزعماء الذين يرحلون كبشر إلى دار البقاء، ولكن الله عزّ وجل أراد أن يموت وهو على رأس دولة في لحظة كان يتحمّل فيها مسؤوليات كبيرة، قال عنها وهو في لقاء حميم مع المرحوم باهي محمد: ((تسألوني عن المستقبل؟

حريصين على وحدة الحركة الوطنية المغاربية، وكانا يبذلان جهودا مضنية لرأب الصدع الحاصل بيني وبين بن بلة وبالرغم من أنّني لم أكن أشاطرهما رأيهما، فإن علاقتي بالمهدي لم تنقطع أبدا، إلى أن تمّ اختطافه، كما أن روابطي بالسي عبد الرحمان بقيت مستمرة وطوال إقامتي بالقنيطرة كنت ألتقي باستمرار مع الأخ محمد اليازغي.

وقد حضرت، كما تعرفون جنازة المرحوم الراحل عبد الرحيم بوعبيد وكان بودي أن أحضر تأبينه، إلا أن مسؤولياتي الجديدة لا تسمح لي بالتغيّب عن البلاد، لذلك كلفت سفيرنا بالإنابة عني شخصيا وبعثت رسالة إلى الإخوة أعضاء المكتب السياسي».

يقول محمد بوضياف «أنا في الواقع أشعر أن المغرب وطني الثاني ولا أخجل من أن أقولها، لقد أمضيت ثلث عمري في المغرب وأنا أعرف المغرب جيدا، وأدرك أهمية السلام والوئام بين المغرب والجزائر بالنسبة لشمال أفريقيا».

هذه جولة خاطفة ومحاولة لتخيّل ما كان يفكر فيه الراحل محمد بوضياف في تلك اللحظة التي كان يحضر فيها جنازة الفقيد العزيز عبد الرحيم بوعبيد وسط جماهير الشعب، ولم يكن بوضياف يتخيل في تلك اللحظة أنّه بعد شهور معدودة ستكون له هو كذلك جنازة أخرى في الجزائر العاصمة.

رؤية محمد بوضياف لأوضاع جزائر ما بعد الإستقلال

هكذا يرحل العظماء في مختلف بقاع العالم... كان من الممكن أن يموت هذا الرجل في فراشه بمدينة القنيطرة، ويتحدث عنه الناس كواحد من الزعماء الذين يرحلون كبشر إلى دار البقاء، ولكن الله عزّ وجل أراد أن يموت وهو على رأس دولة في لحظة كان يتحمّل فيها مسؤوليات كبيرة، قال عنها وهو في لقاء حميم مع المرحوم باهي محمد: «تسألوني عن المستقبل؟

يا أخي لا أملك عصا موسى ولا أومن بالحلول السحرية، لكنّي سوف أسهر، وهذا ما أتعهد به...سوف أسهر على أن أعيد للدولة هيبتها، لأنه بدون دولة قوية لا يمكن أن نبني تجربة ديموقراطية قابلة للحياة، ثم أنّني سوف أعمل على إشاعة أجواء التّقارب والإخاء والتّعاون مع دول منطقة المغرب العربي...».

وشرح رحمه الله للمرحوم محمد الباهي طبيعة الحالة التي كانت عليها الجزائر الشقيقة قبل رحيله بشهور...يقول محمد بوضياف: «كل ما حدث في هذه البلاد من تحولات كان من صنع أقلية عرفت كيف تنظّم نفسها في أوساط الشّعب».

ويشرح الشهيد بوضياف وجهة نظره هكذا «لقد كانت الحركة الوطنية في البداية أقلية داخل الشعب، وكانت الطليعة المؤمنة بالكفاح المسلّح أقلية في صفوف الحركة الوطنية نفسها، كان الهدف بسيطا ألا وهو الإستقلال الوطني. وقد حققنا هذا الهدف، رغم أنّنا حينما انطلقنا في الفاتح نوفمبر 1954 قيل عنا بأنّنا نقوم بالمغامرة والإرتجال والتهور.لا...لا...لا أقول أننا أمام وضع مشابه، لقد انقسمنا وتفرقنا بعد الإستقلال وجبهة التحرير انتهت، كما قلت مرارا سنة 1962، ولم يبق منها سوى الإسم الذي اتخذه الحكام المتعاقبون على الكراسي لافتة يستمدون منها مشروعية كانوا في حاجة إليها».

الرجل الذي كان يتكلم هكذا قبل شهور من اغتياله عاش قبل ذلك بعيدا لا فقط عن الجزائر، بل بعيدا عن الأضواء، يتابع من منفاه بمدينة القنيطرة مجريات الحياة السياسية وهو من أبطال استقلال المغرب والجزائر الذين فرضت عليهم ظروف الإستقلال أن يصبحوا مهمّشين. لهذا هناك كثيرون في الجزائر وفي المغرب ليسوا على إطّلاع بالدّور الذي قام به هؤلاء الأبطال وبالتالي لا علم للرأي العام بتفاصيل المراحل النضالية وبداية الكفاح الذي

جعل المغرب وتونس والجزائر يجعلون حدا للعهود الإستعمارية.

وقد كنت محظوظا ذات يوم في أكتوبر 1984 عندما اقترب موعد إحياء الذكري الثلاثين للثورة الجزائرية في فاتح نوفمبر 1954. وكان الأخ محمد اليازغي قد اقترح علي أن أقوم باستجواب بالمناسبة مع الزعيم الجزائري محمد بوضياف وأخذ لي معه موعدا في إحدى مقاهي شارع محمد الخامس بمدينة القنيطرة. وقد نشرت هذا الاستجواب جريدة الاتحاد الاشتراكي يوم فاتح نوفمبر 1984.

كتبت في مقدمة الإستجواب هذه الملاحظة.

كان حواري مع الزعيم الجزائري ساخنا، لأنّني كنت أسمح لنفسي بأن أوقفه وهو يروي قصة الثورة وتفاصيلها، وكأنّ الأحداث التي مرّ عليها كل هذا الزمن كانت تتجدّد أمامه مسجلة في مشاهد تتلاحق من خلال شاشة بيضاء. كنت أشعر وكأنّني في حديث مستمر مع زعيم آخر من الزّعماء الخمسة، هو الحسين آيت احمد الذي التقيت به في أجواء عائلية بعد إطلاق سراحه سنة 1962 ووصوله إلى الرباط أو مع الزعيم الآخر وهو الشهيد محمد خيضر، الذي كلّفني الشهيد المهدي بن بركة بمرافقته أثناء زيارة خاطفة للرباط في نهاية صيف 1962.

أوضاع حزب الشعب - حركة الانتصار 1944-1951

ساعتان مع بوضياف حول فنجان قهوة كانت كافية لاستعراض الأشواط التي قطعتها الإستعدادات خلال عشر سنوات قبل اندلاعها في الفاتح نوفمبر 1954.

محمد بوضياف من مواليد مدينة المسيلة سنة 1919. كان عمره أربع وعشرين سنة لما التحق بالجيش الفرنسي في فترة كانت فيها فرنسا الحرة مستقرة بالجزائر. بعد الخدمة العسكرية أصبح بوضياف واحدا من القادة

جعل المغرب وتونس والجزائر يجعلون حدا للعهود الإستعمارية.

وقد كنت محظوظا ذات يوم في أكتوبر 1984 عندما اقترب موعد إحياء الذكري الثلاثين للثورة الجزائرية في فاتح نوفمبر 1954. وكان الأخ محمد اليازغي قد اقترح علي أن أقوم باستجواب بالمناسبة مع الزعيم الجزائري محمد بوضياف وأخذ لي معه موعدا في إحدى مقاهي شارع محمد الخامس بمدينة القنيطرة. وقد نشرت هذا الاستجواب جريدة الاتحاد الاشتراكي يوم فاتح نوفمبر1984.

كتبت في مقدمة الإستجواب هذه الملاحظة.

كان حواري مع الزعيم الجزائري ساخنا، لأنّني كنت أسمح لنفسي بأن أوقفه وهو يروي قصة الثورة وتفاصيلها، وكأنّ الأحداث التي مرّ عليها كل هذا الزمن كانت تتجدّد أمامه مسجلة في مشاهد تتلاحق من خلال شاشة بيضاء. كنت أشعر وكأنّني في حديث مستمر مع زعيم آخر من الزّعماء الخمسة، هو الحسين آيت احمد الذي التقيت به في أجواء عائلية بعد إطلاق سراحه سنة 1962 ووصوله إلى الرباط أو مع الزعيم الآخر وهو الشهيد محمد خيضر، الذي كلّفني الشهيد المهدي بن بركة بمرافقته أثناء زيارة خاطفة للرباط في نهاية صيف 1962.

أوضاع حزب الشعب - حركة الانتصار 1944-1951

ساعتان مع بوضياف حول فنجان قهوة كانت كافية لاستعراض الأشواط التي قطعتها الإستعدادات خلال عشر سنوات قبل اندلاعها في الفاتح نوفمبر1954.

محمد بوضياف من مواليد مدينة المسيلة سنة 1919. كان عمره أربع وعشرين سنة لما التحق بالجيش الفرنسي في فترة كانت فيها فرنسا الحرة مستقرة بالجزائر. بعد الخدمة العسكرية أصبح بوضياف واحدا من القادة

الوطنيين في مدينة سطيف وكان عمره ستا وعشرين سنة. ويعلم الجميع أن في مدينة سطيف كانت للزعيم فرحات عباس صيدليته وعاشت هذه المدينة أحداثا دموية شبيهة بما حدث في المغرب سنة 1944 بمناسبة تقديم عريضة المطالبة بالإستقلال (فنحن عندنا أحداث يناير 1944 وعندكم أحداث سطيف 8 ماي1945 وفي تونس سبقونا بأحداث مماثلة).

غادرت فرنسا الحرة الجزائر لتستقر بالتراب الفرنسي حيث بدأت سلطات الجمهورية الرابعة بقيادة الجنرال دغول، تفكّر في أسس الترابط مع ما كان يعتبر فرنسا ما وراء البحار ويعني هذا بالأساس الجزائر التي عاد إليها الزعيم مصالي الحاج على غرار السماح بعودة الزعماء الوطنيين في المغرب من منفاهم مثل علال الفاسي الذي كان مبعدا بالغابون، و بلافرج في جزيرة كورسيكا وكانت عودة الزعماء كإشارة للبحث عن صيغة جديدة لعلاقات باريس مع الوطنيين في فرنسا ما وراء البحار يتكلم محمد بوضياف رحمه اللّه هكذا عن الزعيم ميصالي الحاج ويقول:

«لقد كان عاملا بفرنسا حيث تزوج من سيدة فرنسية، وانطلق في خطواته النضالية على أساس "نحن الجزائريون لسنا فرنسيين»».

أسوق هنا حكاية أول زيارة للمهدي بن بركة مع مجموعة من الشبان المغاربة، حيث استبقتهم سلطاتها بحفاوة وقال لهم أحد المسؤولين الفرنسيين: «فرنسا والمغرب بلد واحد». كان المهدي يبلغ الثامنة عشر آنذاك فكان جوابه هكذا: «وما نفعل بالبحار التي قطعناها بالباخرة على مسافة طويلة من المغرب إلى فرنسا ؟»».

مباشرة بعد تأسيس الجامعة العربية زار أمينها العام المرحوم عبد الرحمان عزام باشا العاصمة فالتقى به مصالي الحاج وظلّ الزعيم الجزائري محتفظ في ذاكرته بما قاله له عبد الرحمان عزام «عليكم أن تتحرّكوا في مطالبتكم بالإستقلال ولو في إطار المؤسسات الفرنسية القائمة. هكذا عاد زعيم حزب

الشعب ليجد أنّ حزبه الممنوع يتوفر على أجهزة سريّة منها المنظّمة الخاصة التي دخلت الإنتخابات تحت إسم مستعار هو حركة انتصار الحريات الديموقراطية، التي استطاعت إرسال خمسة نواب إلى البرلمان، ثلاثة من عمالة قسنطينة هم الدكتور لمين دباغين، وبوقادوم وجمال دردور واثنان من عمالة الجزائر هما محمد خيضر وأحمد مزغنا، كان مصالي الحاج يخاطب هكذا نواب حزب الشعب». دائما الذي يتحدث هو محمد بوضياف.

«أنتم ستذهبون إلى قصر بوربور لا لتزكية خرافة الجزائر فرنسية، بل لتأكيد الهوّية الجزائرية على هامش دورات الجمعية الوطنية الفرنسية.

حزب الشعب ممنوع وحينما يشارك في الإنتخابات فهو يحمل إسم حركة إنتصار الحريات الديموقراطية. ولما يتعلق الأمر بالتنظيم الداخلي، فهو يتوفر على جناح سري يتزايد دوره سنة بعد سنة، إنّها "المنظمة الخاصة" التي أصبحت العمود الفقري للحركة الوطنية الجزائرية من 1947 إلى 1951 وكانت مسؤوليات المنظّمة الخاصة موزعة هكذا:

الجزائر العاصمة تولى مسؤوليتها ركيمي جلالي.

الجزائر العمالة مروك محمد.

منطقة القبائل حسين آيت احمد.

عمالة قسنطينة محمد بوضياف.

في سنة 1948 أرادت السلطات الفرنسية أن تقيم فوق التراب الجزائري ما سمي بالبرلمان الجزائري: هيئتان انتخابيتان وستون نائبا يمثلون أغلبية الجزائريين وستون آخرون يمثلون الأقلية الفرنسية.

حزب الشعب بزعامة مصالي الحاج وحزب البيان بزعامة فرحات عباس قرّرا الدخول في الإنتخابات فسمحت السلطات الفرنسية لكل منهما بعشرة مقاعد. الذي أشرف على هذه الطبخة الإنتخابية، هو أحد زعماء الحزب الإشتراكي وهو نيجلن الذي عينته الحكومة الفرنسية واليا على

الجزائر. كان حضور الحركة الوطنية في البرلمان الجزائري عملية سياسية لإثبات الذات ولإسماع الصوت الجزائري، واستنفار الجماهير، وتجنيد الرأي العام.

ولكن العمل الأساسي هو الذي كانت تضطلع به في العمق المنظمة الخاصة، إلاّ أنّ هذه الإزدواجية بدأت تثير بعض الحساسيات والإنقسامات في صفوف الوطنيين، وخاصة لما علمت السلطات الإستعمارية في مارس 1950 بوجود المنظمة الخاصة، ولهذا انطلقت حملة قمع ضد عناصر الجناح العسكري السري إلى حد أن المنظمة الخاصة لم يبق لها من جذور إلا ما كان موجودا في جبال الأوراس ومدينة سطيف. أما في المناطق الأخرى فإن مسؤوليها إما وضعوا في السجون أو اضطروا إلى مغادرة الجزائر أو دخلوا في حياة سرية. وفي 1951 تفكك هذا التنظيم بعدما ظل المناضلون يبحثون طيلة سنة عن سبل الخروج من الطريق المسدود».

محاولات تنسيق الكفاح المسلّح ودور محمد بوضياف

وصلنا الآن إلى موضوع هذه الندوة أي مرحلة بداية التنسيق ما بين جيوش التحرير في المغرب العربي. وهناك روايات كثيرة ومذكرات عديدة من الصعب معرفة أي من الروايات والمذكرات التي يمكن اعتمادها كمراجع ذات مصداقية، وبما أنّ محمد بوضياف إنسان صادق فمن الأحسن أن نتعرّف على روايته عن هذه المرحلة، ونقرأ في الحديث الذي أدلى به لجريدة الإتحاد الاشتراكي سنة 1984 وكان لي شرف الجلوس معه لمدة ساعتين بمدينة القنيطرة...يقول الشهيد محمد بوضياف:

«كانت هناك شخصية بارزة من عظماء الجزائر هو مصطفي بن بولعيد من أكثر الناس رفضا لهذه الوضعية فبدأت سنة 1951 إتصالات بين القائد بن بولعيد وأربعة من المحكومين غيابيا هم الشهيدين ديدوش مراد، والعربي بن مهيدي، ورابح بيطاط و محمد بوضياف، وعضوين من المكتب السياسي

الجزائر. كان حضور الحركة الوطنية في البرلمان الجزائري عملية سياسية لإثبات الذات ولإسماع الصوت الجزائري، واستنفار الجماهير، وتجنيد الرأي العام.

ولكن العمل الأساسي هو الذي كانت تضطلع به في العمق المنظّمة الخاصة، إلاّ أنّ هذه الإزدواجية بدأت تثير بعض الحساسيات والإنقسامات في صفوف الوطنيين، وخاصة لما علمت السلطات الإستعمارية في مارس 1950 بوجود المنظمة الخاصة، ولهذا انطلقت حملة قمع ضد عناصر الجناح العسكري السري إلى حد أن المنظمة الخاصة لم يبق لها من جذور إلا ما كان موجودا في جبال الأوراس ومدينة سطيف. أما في المناطق الأخرى فإن مسؤوليها إما وضعوا في السجون أو اضطروا إلى مغادرة الجزائر أو دخلوا في حياة سرية. وفي 1951 تفكك هذا التنظيم بعدما ظل المناضلون يبحثون طيلة سنة عن سبل الخروج من الطريق المسدود)).

محاولات تنسيق الكفاح المسلّح ودور محمد بوضياف

وصلنا الآن إلى موضوع هذه الندوة أي مرحلة بداية التنسيق ما بين جيوش التحرير في المغرب العربي. وهناك روايات كثيرة ومذكرات عديدة من الصعب معرفة أي من الروايات والمذكرات التي يمكن اعتمادها كمراجع ذات مصداقية، وبما أنّ محمد بوضياف إنسان صادق فمن الأحسن أن نتعرّف على روايته عن هذه المرحلة، ونقرأ في الحديث الذي أدلى به لجريدة الإتحاد الاشتراكي سنة 1984 وكان لي شرف الجلوس معه لمدة ساعتين بمدينة القنيطرة...يقول الشهيد محمد بوضياف:

((كانت هناك شخصية بارزة من عظماء الجزائر هو مصطفى بن بولعيد، من أكثر الناس رفضا لهذه الوضعية فبدأت سنة 1951 إتصالات بين القائد بن بولعيد وأربعة من المحكومين غيابيا هم الشهيدين ديدوش مراد، والعربي بن مهيدي، ورابح بيطاط و محمد بوضياف، وعضوين من المكتب السياسي

لحزب مصالي الحاج هما خيضر، و مزغنا. وكان القادة السياسيون متضايقين من التحركات الهادفة إلى الخروج من الباب المسدود. وكنا نقترح بأن يغادر التراب الوطني، أولائك الذين صدرت في حقهم أحكام لأنّ لا فائدة في بقائهم في وضعية الجمود على أساس استغلال وجودهم بالخارج لإجراء تداريب عسكرية حتى يعودوا لتطوير العمل العسكري الذي هو الوسيلة التي أصبحت ضرورية في بداية الخمسينات، بعد استنفاذ الأوراق السياسية... المهم في تلك الفترة هو الخروج من المأزق وحماية القادة المعرّضين لشتى الأخطار بدون فائدة. فلابد من إبعادهم من تتبعات مجانية للسلطات الإستعمارية)).

((ولكن في شهر مارس 1952 عرفت محاولات تنسيق العمل على مستوى الشمال الإفريقي حدثا على جانب كبير من الأهمية. ذلك أنّ البطل عبد الكريم الخطابي المستقر بالقاهرة أرسل بعثة إلى تونس والجزائر والمغرب للبحث عن إمكانيات توحيد الخطوات في سبيل حركة جديدة لتحرير المغرب العربي.

وهكذا وصل إلى الشمال الإفريقي ضابطان من الكلية العسكرية العراقية هما الهاشمي الطود و حمادي الريفي. في تونس اتصلت بعثة عبد الكريم الخطابي بأحد قادة حزب الدستور هو الطاهر قيقا، وفي الجزائر بالسيد عبد الحميد مهري (وزير المغرب العربي في الحكومة المؤقتة). لم يكتب لمهمة بعثة عبد الكريم الخطابي تحقيق خطوات عملية على صعيد التنسيق الحربي. ولكنها خلقت شعورا وحدويا وشجعت على التفكير في تصور مستقبل مغرب عربي ذي مصير مشترك... ومن جهة أخرى اتجه التفكير إلى مجموع الشمال الإفريقي كرقعة واسعة لتفجير المفرقعات، وبعض عمليات العنف، لإلهاء سلطات القمع الفرنسي على صعيد قطر واحد أو على مستوى منطقة معينة)).

«ولهذه الغاية أعدّت بعض المتفجرات ووضعت في مستودع بمدينة باطنة عند صديق لمصطفي بن بولعيد كان يبيع قطع الحديد المستعمل (لافراي) ولكن أوضاع التردّد التي عانت منها الحركة طيلة سنة، من صيف 1952 إلى صيف 1953، جعلت مستودع باطنة موضع نسيان وإهمال، الأمر الذي انتهى بحادثة انفجار كاد أن يؤدي إلى افتضاح سر الإعداد لعمل مسلح. ولكن صمود صديق مصطفي بن بولعيد جعل البحث البوليسي يقف عند اعتبار الإنفجار مجرّد حادث عابر لا علاقة له بالسياسة، ومع ذلك استحق صاحب مستودع باطنة سنة سجنا على "إهماله"».

لنعد إلى سنة 1952 حيث فرّ "أحمد بن بلة" من سجن وهران، وغادر التراب الفرنسي متّجها إلى سويسرا.

في هذه المرحلة أين كان محمد بوضياف ؟

بكل تواضع يحكي الشهيد بعض التفاصيل المتعلّقة بدوره إذاك، فنعلم أنّه رحمه اللّه حصل على بطاقة تعريف مزوّرة، وأصبح له اسم آخر يخفي فيه هويته حتى لاتتعرف عليه السلطات الإستعمارية التي كانت تطارده... الإسم الجديد لمحمد بوضياف هو محمد الدريدي، الذيأصبح يتوفر على وثيقة كانت كافية ليسافر إلى فرنسا عبر الباخرة المتّجهة إلى مرسيليا، وهناك في الدّيار الفرنسية سيحصل محمد بوضياف على جواز سفر فرنسي باسم محمد دريدي. ألم يقل عزّام باشا لمصالي الحاج بأن عليكم أن تتحركو لدعم مطالبكم بالإستقلال ولو في إطار المؤسسات الفرنسية القائمة؟

ويقول محمد بوضياف عن فرنسا التي وصل إليها سنة 1952، بأنّ الجالية الجزائرية هناك كانت مجتمعا كبيرا يتوفر على شبكات إتصال عبر عدة أقاليم بالتراب الفرنسي، ولهذا اتفق مع المرحوم أحمد الطيي بن هيمة على القيام بعمل مشترك مغربي جزائري من أجل المغرب العربي.

كان بن هيمة قد خلَف عبد الرحيم بوعبيد في باريس الذي عاد إلى

المغرب في نهاية 1949 تاركا لخلفه مهمة الإشراف على مكتب الإتصال التابع لحزب الإستقلال في شارع كليبير غير بعيد عن قصر شايو، حيث كانت الجمعية العمومية للأمم المتّحدة تعقد دوراتها قبل الإنتقال إلى نيويورك.

مكتب الإتصال هذا، عرف نشاطا مكثّفا في مارس 1952 لفضح حملة القمع في تونس حيث تمّ اعتقال الحبيب بورقيبة وإقامة حكومة الشنيق، ومطاردة باقي زعماء حزب الدستور، وكذلك في دجنبر 1952 على إثر أحداث كريير سانترال بالدار البيضاء، بعد اغتيال الزعيم النّقابي التونسي فرحات حشاد واعتقال قيادة حزب الإستقلال والتنظيمات النقابية وغير ذلك من الأحداث التي عرفها المغرب تمهيدا لمؤامرة غشت.

وفي هذا الصدد يقول محمد بوضياف رحمه اللّه:

«وكان للإعتداء على العرش في 20 غشت 1953 صدى كبير في الجزائر، بالنظر إلى مشاعر الغضب التي فجّرتها المؤامرة لدى المغاربة الذين خرجوا إلى الشارع وبدأو ينظّمون شبكات المقاومة بقدر ما كان لثورة الفلاكة في تونس بالزعامة المعروفة آنذاك الساسي الأسود والطاهر الأسود وقع عميق في نفوس الجزائريين.

ولكن ثمّة عمل هام قام به فريق "الواك"...أي نادي الوداد البيضاوي الذي كان يزور الجزائر من حين لآخر في إطار تصفيات كأس الشمال الإفريقي لكرة القدم. كانت مقابلات "الواك" في الملاعب الجزائرية مناسبات لانفجار مشاعر التعاطف مع الفريق الوطني المغربي، حتى أنّ هذه المباريات الرياضية كانت تتحول فعلا إلى مظاهرات حقيقية كانت سلطات الإستعمار تأخذ لها كل الإحتياطات، ويمكن القول بأنّ "الواك" قد أدى من خلال رياضة كرة القدم، خدمات جليلة في اتجاه التضامن بين شعوب المغرب العربي».

الأزمة الدّاخلية لحزب الشعب - حركة الإنتصار

وبقدر ما أخذت الجماهير في الجزائر تتّجه نحو مزيد من الإستعداد إلى التعبئة والإستنفار ضد النّظام الإستعماري بقدر ما كانت القيادة السياسية تضيّع الوقت في متاهات الخلافات السياسية والنقاشات العقيمة سنة 1953. هي إذن سنة الخلاف بين مصالي الحاج ومجموعة اللّجنة المركزية.

وشيئا فشيئا أصبح زعيم حزب الشعب معزولا في مسؤولياته السياسية المحدودة، وأصبح همّه هو إقناع الناس بأنّ جماعة اللّجنة المركزية لحركة الإنتصار للحريات الديموقراطية مجرّد عناصر إصلاحية، كان الخلاف بمثابة خيبة أمل وصدمة للجميع وعاملا من عوامل الإحباط والإنهيار.

وهذا ما دعا قدماء المنظّمة الخاصة إلى التحرّك من أجل إنقاذ الحركة الوطنية وتوفير شروط التمكّن من إستمرار مهام النّضال ضد الوجود الإستعماري وبهدف منع تسرب التصدعات إلى المستوى التنظيمي الذي كان يحضّر عملا عسكريا جدّيا.

في هذه الظروف أي بداية 1954، دخلت الجزائر عهد اللّجنة الثورية للوحدة والعمل، حينما تتلاشى سلطات الوصاية في القمة تنفجر طاقات القاعدة.

كان أول عمل قامت به "كروا" أو اللّجنة الثورية للوحدة والعمل، هو توزيع منشورات في التراب الفرنسي لإخبارالجالية الجزائرية والرأي العام بتطورات الخلاف داخل الحزب، لإشعار القاعدة بضرورة المزيد من التعبئة والوحدة والتماسك، ودفع الحزب إلى عقد مؤتمر ديموقراطي واسع لحل المشاكل السياسية.

واتسعت هوة النزاع لما عقد مصالي الحاج مؤتمرا يؤكد سلطته الفردية، وذلك في شهر يوليوز 1954 ببلجيكا، فيما عقدت اللّجنة المركزية

إجتماعات موسعة بالجزائر في شهر شتنبر. وأصبح مطروحا على أعضاء لجنة "كروا" سؤال كيف السبيل إلى العمل من أجل الوحدة ؟

ولم ينتظر أعضاء "كروا" مؤتمر بلجيكا أو إجتماعات الجزائر العاصمة للحسم في الموضوع، ولما تقرر أن ينعقد إجتماع في نهاية يونيو 1954، تشارك فيه الأطر بهدف إحياء دور المنظمة الخاصة، إجتماع الإثنان والعشرون من رؤساء المنظمة في العاصمة الجزائرية واتفقوا على البداية في العمل، الذين حضروا الإجتماع كان من ضمنهم أربعة عشر من المطلوبين من السلطات الفرنسية، التي قامت بالبحث عنهم بمنافي ضفتي البحر الأبيض المتوسط ولهذا جاءوا ببطاقات مزورة.

تقرر إجراء إنتخاب مسؤول على رأس التنظيم السري الذي يعدّ للثورة، وعلى أساس أن يحصل الرئيس الجديد على أغلبية ثلثي الأصوات، وأن لا يعرف الأعضاء نتيجة الإقتراع النهائية، ويبقي تعيين الرئيس سرا لا يعرفه إلا المعني بالأمر.

وهنا أخبر مصطفي بن بولعيد محمد بوضياف بأنّه-أي بن بولعيد- قد فاز بثقة الأعضاء ناقص صوتين عن المطلوب، ولهذا تقرّر إجراء دورة ثانية أصبح بعدها محمد بوضياف مسؤولا وطنيا للسهر على تنفيذ القرارات التي تتخذها مجموعة الـ 22 وأوّل قرار هو تقسيم الجزائر إلى خمس ولايات يرأس كل واحدة :

- مصطفى بن بولعيد.
- العربي بن مهيدي.
- ديدوش مراد.
- رابح بيطاط.
- محمد بوضياف.

وبعدها التحق كريم بلقاسم بمجموعة الـ 22 ليصبح أعضاء لجنة الستة سبعة على أساس اعتبار منطقة الصحراء الجزائرية ولاية سابعة. كان الإتصال بمنطقة

إجتماعات موسعة بالجزائر في شهر شتنبر. وأصبح مطروحا على أعضاء لجنة "كروا" سؤال كيف السبيل إلى العمل من أجل الوحدة ؟

ولم ينتظر أعضاء "كروا" مؤتمر بلجيكا أو إجتماعات الجزائر العاصمة للحسم في الموضوع، ولما تقرر أن ينعقد إجتماع في نهاية يونيو 1954، تشارك فيه الأطر بهدف إحياء دور المنظمة الخاصة، إجتماع الإثنان والعشرون من رؤساء المنظمة في العاصمة الجزائرية واتفقوا على البداية في العمل، الذين حضروا الإجتماع كان من ضمنهم أربعة عشر من المطلوبين من السلطات الفرنسية، التي قامت بالبحث عنهم بمنافي ضفتي البحر الأبيض المتوسط ولهذا جاءوا ببطاقات مزورة.

تقرر إجراء إنتخاب مسؤول على رأس التنظيم السري الذي يعدّ للثورة، وعلى أساس أن يحصل الرئيس الجديد على أغلبية ثلثي الأصوات، وأن لا يعرف الأعضاء نتيجة الإقتراع النهائية، ويبقي تعيين الرئيس سرا لا يعرفه إلا المعني بالأمر.

وهنا أخبر مصطفي بن بولعيد محمد بوضياف بأنّه-أي بن بولعيد- قد فاز بثقة الأعضاء ناقص صوتين عن المطلوب، ولهذا تقرّر إجراء دورة ثانية أصبح بعدها محمد بوضياف مسؤولا وطنيا للسهر على تنفيذ القرارات التي تتخذها مجموعة الـ 22 وأوّل قرار هو تقسيم الجزائر إلى خمس ولايات يرأس كل واحدة :

- مصطفى بن بولعيد.
- العربي بن مهيدي.
- ديدوش مراد.
- رابح بيطاط.
- محمد بوضياف.

وبعدها التحق كريم بلقاسم بمجموعة الـ 22 ليصبح أعضاء لجنة الستة سبعة على أساس اعتبار منطقة الصحراء الجزائرية ولاية سابعة. كان الإتصال بمنطقة

إجتماعات موسعة بالجزائر في شهر شتنبر. وأصبح مطروحا على أعضاء لجنة "كروا" سؤال كيف السبيل إلى العمل من أجل الوحدة ؟

ولم ينتظر أعضاء "كروا" مؤتمر بلجيكا أو إجتماعات الجزائر العاصمة للحسم في الموضوع، ولما تقرر أن ينعقد إجتماع في نهاية يونيو 1954، تشارك فيه الأطر بهدف إحياء دور المنظمة الخاصة، إجتماع الإثنان والعشرون من رؤساء المنظمة في العاصمة الجزائرية واتفقوا على البداية في العمل، الذين حضروا الإجتماع كان من ضمنهم أربعة عشر من المطلوبين من السلطات الفرنسية، التي قامت بالبحث عنهم بمنافي ضفتي البحر الأبيض المتوسط ولهذا جاءوا ببطاقات مزورة.

تقرر إجراء إنتخاب مسؤول على رأس التنظيم السري الذي يعدّ للثورة، وعلى أساس أن يحصل الرئيس الجديد على أغلبية ثلثي الأصوات، وأن لا يعرف الأعضاء نتيجة الإقتراع النهائية، ويبقي تعيين الرئيس سرا لا يعرفه إلا المعني بالأمر.

وهنا أخبر مصطفي بن بولعيد محمد بوضياف بأنّه-أي بن بولعيد- قد فاز بثقة الأعضاء ناقص صوتين عن المطلوب، ولهذا تقرّر إجراء دورة ثانية أصبح بعدها محمد بوضياف مسؤولا وطنيا للسهر على تنفيذ القرارات التي تتخذها مجموعة الـ 22 وأوّل قرار هو تقسيم الجزائر إلى خمس ولايات يرأس كل واحدة :

- مصطفى بن بولعيد.
- العربي بن مهيدي.
- ديدوش مراد.
- رابح بيطاط.
- محمد بوضياف.

وبعدها التحق كريم بلقاسم بمجموعة الـ 22 ليصبح أعضاء لجنة الستة سبعة على أساس اعتبار منطقة الصحراء الجزائرية ولاية سابعة. كان الإتصال بمنطقة

القبائل يكتسي أهمية كبرى نظرا لفعالية دورها المرتقب عند اندلاع الثورة.

ولما تقدّم محمد بوضياف في أحد الإجتماعات بعرض حول الحالة، وبقي هناك تساؤل حول العمل المطلوب القيام به، وظهر أن نوعا من التردّد لا زال قائما في وسط القادة، انفجر أحد الأعضاء بكاء وهو بوجمعة سويداني الذي استشهد فيما بعد أثناء معركة بنواحي البليدة، وأصله من قالمة وكان محكوما عليه بالإعدام غيابيا ويتحرّق شوقا ويتطلّع إلى بداية العمل المسلح.

وكان لصدق بكائه أعمق الأثر في نفوس المجتمعين. فكان القرار الذي أعلنه الشهيد العربي بن مهيدي، من أجل تجاوز الأزمة التي تعاني منها الحركة الوطنية الجزائرية، ولإعادة الوحدة إلى الصفوف من خلال عمل ثوري جدي. وتقرّر أن يسافر مصطفى بن بولعيد إلى ليبيا، ويتجه العربي بن مهيدي ومحمد بوضياف في غشت 1954 إلى الناضور وتطوان للاتصال بمن كانوا هناك آنذاك مسؤولين باسم الإخوان المغاربة، ويتعلق الأمر بعبد الكبير الفاسي وأحمد زياد.

وأخبر أحمد بن بلة الذي التحق في القاهرة بمكتب المغرب العربي... بأن القادة في الداخل اتفقوا على صيغة للعمل الموّحد.

ولكن وصل إلى علم الإخوان أنّ قرار إنطلاق الثورة يوم 15 أكتوبر 1954 قد تسرّب إلى خارج الدائرة المحدّدة له؛ ولهذا تمّ تأجيل موعد إنطلاق العمليات بأسبوعين، على أساس أن تتمّ العمليات الفدائية اللّيلة المتراوحة بين 31 أكتوبر والفاتح نوفمبر، عيد الموتى بالنسبة للمسحيين. وقدّر أن يكون عيد الموتى في التراب الجزائري عيد لبدء العمل في اتجاه موت الإستعمار.

ولقد مات في بداية العمليات واحد من القادة التاريخيين هو الشهيد رمضان بن عبد المالك، الّذي صرّح قبل ذلك بوقت تأخر فيه مجيء المال والسلاح إلى المسؤولين عن الثورة... صرّح لإخوانه: «لم يبق لنا الآن إلا أن نموت على رأس هؤلاء الرجال الذين وضعوا ثقتهم فينا».

السّنوات الأولى لثورة التحرير الجزائرية 1954–1955

ويقول محمد بوضياف عن هذه المرحلة، أي انطلاق ثورة الفاتح من نوفمبر1954:

«وهكذا بدأت الثورة بالعمليات الفدائية التي عمّت القطر الجزائري. فكانت صدمة للجمهورية الفرنسية الرّابعة التي بدأت حكومتها تنهار الواحدة تلو الأخرى. وفي بداية سنة 1955 فقدت الثورة قائدها الشهيد مصطفى بن بولعيد، الذي اعتقل بتونس وهو في طريقه إلى ليبيا. واستطاع أن يفر من السجن ويعود إلى ساحة المعركة حيث سقط شهيدا شمال قسنطينة في شهر فبراير 1955.

استمرت المعارك وأصبحت حرب التحرير في الجزائر واقعا يفرض تطوراته على الأوضاع الفرنسية. ومن جهة أخرى كان لا بد من التنسيق بين المغاربة والجزائريين وفي اجتماع شهر مارس بشاطىء مارتيل بالقرب من مدينة تطوان، اكتشف ممثلو المقاومة الجزائرية والمقاومة المغربية المستقرون شمال المغرب ضعف إمكانياتهم للحصول على السلاح، وقبل ذلك كان كل طرف يتصوّر أنّ الطرف الآخر سيمدّه بالسلاح، فكان لابد من قائد عربي وهو الرئيس جمال عبد الناصر، الذي تحمّل وحده المسؤولية رغم معارضة بعض أعضاء مجلس الثورة المصرية.

وهكذا جاءت إلى شاطىء في مكان غير بعيد عن الناضور، باخرة أو بالأحرى يخت الملكة دينا، التي كانت زوجة مصرية للعاهل الأردني الملك حسين واستخدمت السفينة لنقل كمية من الأسلحة كان المغاربة والجزائريون في أمسّ الحاجة إليها. المقاومة الجزائرية والمغربية تقاسمتا حمولة يخت الملكة دينا، ولقد أظهر سكان رأس كبدانة إخلاصا كبيرا، ووفاء عظيما، في عملية حمل أكياس السلاح من قلب الباخرة، التي كانت بعيدة عن

الشاطىء إلى البر وكان على رأس هؤلاء السكان رجل ريفي معروف في المنطقة هو السي حمدون.

وكان في استقبال يخت الملكة دينا للوقوف على عملية اقتسام الأسلحة، الأخ سعيد بونعيلات عن الطرف المغربي وعن الطرف الجزائري المرحوم عبد الوهاب بومدين، الذي لا علاقة له بذلك الشاب المعروف "ابن خروبة" وهو المرحوم هواري بومدين الذي وصل إلى الناضور مع جماعة من الشبان الجزائريين في نفس الباخرة التي جاءت بأكياس السلاح. وجاء مع جماعة الجزائريين الشبان، ضابط مغربي قام بتدريبهم في مصر على حمل السلاح وإسم الضابط هو الهاشمي الطود.

كان هذا في نهاية شهر أفريل من سنة 1955، في وقت كانت فيه الثورة بالقطرين يحذوها الأمل في مصير وحدوي لشمال إفريقيا».

هذه آخر كلمة قالها الشهيد محمد بوضياف وهو يحدّثني بالقنيطرة سنة 1984، بمناسبة الذكرى الثلاثين لاندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر. فرحم اللّه هذا الرّجل الذي كان من المؤمنين الصادقين بوحدة مصيرنا نحن أبناء المغرب العربي.

* عبد اللّطيف جبرو، ولد بالرباط سنة 1939، صحفي منذ سنة 1958 بالجرائد التالية: أسبوعية الشباب؛ يومية التحرير؛ أسبوعية الأهداف؛ يومية المحرّر؛ يومية الاتحاد الاشتراكي. ألّف ثلاثة كتب حول المهدي بن بركة وكتاب حول عبد الرحيم بويدة.

نبذة عن ابراهيم

(محمد حافظ)

رؤوف حمزة *

محمد حافظ ولد في 14 ماي 1916 بأكّودة وهو إبن الشيخ راجح إبراهيم. بعد إنهاء تعليمه الإبتدائي، زاول بامتياز تعليمه بالمعهد الثانوي بسوسة، حيث أحرز سنة 1935 على شهادة الباكلوريا (آداب) ثم تحول إلى فرنسا فدرس بكلية الطب بمونبوليي ثم بكلية الطب بباريس.

بعد تحصّله على شهادة الطب سنة 1943 اشتغل لمدة قصيرة بمستشفي بايون (جنوب غرب فرنسا). واكب أثناء إقامته بفرنسا النشاط الوطني وكان باتصال وثيق بعديد المناضلين الوطنيين من بينهم الحبيب ثامر، و عبد الرحمن اليعلاوي، والهادي خفشة، وقد تمكن أثناء هذه الفترة من ربط علاقات وثيقة بالعديد من الطلبة العرب المشارقة والمغاربة الذين كانوا ينشطون ضمن حركات التحرر(أحمد علوي ،عبد الكبير الفاسي،...الخ)

* معهد تاريخ الحركة الوطنية التونسية،جامعة تونس.

تولى في مطلع سنة 1944 رئاسة جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، وقد حاول أثناء هذه الفترة التي كانت فيها فرنسا محتلّة من قبل القوات الألمانية، استغلال هذه الظروف وتوظيف تعاطف ألمانيا القومية مع المشاعر التحريرية في البلدان العربية الإسلامية لتحقيق مطامح ورغائب شعوب المغرب العربي وتخليصها من الإستعمار الفرنسي، وتحت رعاية بعض الشخصيات العربية التي كانت متواجدة آنذاك في ألمانيا وفي مقدمتها الحاج محمد الأمين الحسيني مفتي فلسطين ورائد ثورتها الأولى (1936) وبالتنسيق مع العديد من الوطنيين المغاربة ،(عبد الرحمن ياسين، الحبيب ثامر، يوسف الرويسي، عمار خضر...الخ)

عمل على تكثيف الدعاية الوطنية في صفوف المهاجرين المغاربة وحثّهم على توحيد كلمتهم والمساهمة في النّضال ضد الإستعمار الفرنسي.

وبعد نزول جيوش الحلفاء بفرنسا لجأ إلى أسبانيا خشية الوقوع في قبضة الفرنسيين، الذين لم يتورعوا عن ملاحقة الوطنيين المغاربة بتهمة التعامل مع المحور.

استقرّ الدّكتور حافظ إبراهيم بمدريد، حيث واصل في أسبانيا نشاطه الوطني فأسّس سنة 1947 "لجنة الدفاع عن قضايا المغرب العربي" وقام بالعديد من المبادرات لكسب تعاطف الرأي العام الأسباني مع الكفاح التحرري لشعوب المغرب والمشرق العربيين، وتمكّن بالرغم من بعده عن الساحة المغاربية من ربط صلات وطيدة مع العديد من القادة الوطنيين المغاربة كالمهدي بن بركة، وأحمد بن بلة، وصالح بن يوسف، ومحمد خيضر، ومحمد البصري، وعبد الرحمن اليوسفي، وعبد الكريم الخطيب، و عبد الكبير الفاسي. وقد شجّع حافظ إبراهيم على توحيد صفوف المقاومة المسلّحة بشمال إفريقيا وساند المبادرة التي تمّ إتخاذها بالقاهرة في فيفري 1956 ببعث قيادة موحّدة لجيوش تحرير المغرب العربي، مكوّنة من أحمد بن

بلّة كممثل عن جبهة التحرير الجزائرية، وعبد الكريم الخطيب كممثل عن جيش التحرير المغربي، والطاهر لسود كمثل عن حركة المقاومة اليوسفية، كما اضطلع حافظ إبراهيم بدور هام في توفير الدعم المادي واللوجيستي للثورة الجزائرية، ومساعدة وتوجيه محمد اليوسفي المسؤول عن تموين جيش التحرير الجزائري بالسلاح، (أول مدير عام للأمن الجزائري بعد الإستقلال) في هذه المهمة التي كان يقوم بها هذا الأخير إنطلاقا من مدريد.

يعيش حاليا بأسبانيا.

3

الداخل-الخارج، المثقفون-الجذريون
مسألة اتجاه الكفاح المسلّح

الداخل-الخارج، المثقفون-الجذريون
مسألة اتجاه الكفاح المسلّح



الأحزاب الوطنية المغربية ومكتب المغرب بالقاهرة [1]

نوال المتزكي *

تميّزت الحركات الوطنية بالمغرب العربي بنوع من طول النفس من أجل بلدها، وتظهر هذه المسألة من بين ما تظهر به، القدرة على المزاوجة بين النّضال الداخلي والنضال الخارجي، فمنذ أن وعت هذه الحركات بتلاعبات المستعمر الفرنسي وتصميمه على عدم تلبية مطالبها، قرّرت التصعيد من النّضال السلمي ضده لفضح ممارساته على المستوى الخارجي. ويمكن القول أنّه منذ البدايات الأولى للعمل الوطني المغاربي، ناضل مجموعة أفراد أو جماعات قليلة على هذا المستوى في باريس، وجنيف، والآستانة وغيرها، وبالتدريج تبلور هذا العمل في مؤسسات قائمة كان لها دور في لفت نظر العالم لقضية الإستعمار في الجزائر وتونس والمغرب، كما كان لها دور في زرع فكرة المغرب العربي ونشرها، وكذا في زرع بذور محاولة تحويلها إلى واقع، ومن بين نقط اللّقاء بالخارج التي لعبت دورا في هذا المسار نذكر مدينة القاهرة، التي شكلت في أعقاب الحرب العالمية الثانية وما بعدها مكانا عرفت فيه قضية المغرب العربي أكثر من قفزة على المستوى النظري والعملي، ونقتصر في هذه العجالة على نظرة حول بعض ما قامت به مؤسسة من مؤسسات هذا السياق وهي مكتب المغرب العربي.

* جامعة الحسن الثاني. كلية الآداب، الدار البيضاء.

رابطة الدفاع عن مراكش

منذ أواخر العشرينات وجّه بعض المغاربة أبناءهم إلى بعض بلدان الشرق العربي خاصة مصر وفلسطين، لمتابعة دراستهم وقد أصبحت هذه البعثات بمثابة مدافع عن القضية المغربية والتعريف بها في الأوساط المشرقية، فقد كوّن هؤلاء الطلبة لجان للعمل، والإتصال، والمحاضرة، والكتابة تعريفا بقضية بلادهم، فساهموا في الاحتجاج ضد الظهير البربري واستطاعوا استقطاب مجموعة من الهيئات العربية والإسلامية لمناصرة المغرب في هذه القضية، كما سهّلت هذه اللّجان مشاركة المغرب في المؤتمر الإسلامي بالقدس سنة 1931، وفي سنة 1937 تعزّز وجود الطلبة المغاربة بمصر ببعثة مكوّنة من عبد الكريم بن ثابت، و عبد المجيد بن جلون، و أحمد بلمليح، وعبد الكريم غلاب، والعربي بناي واستطاع هؤلاء الأفراد بعد إتمام دراستهم سنة 1943 تكوين مجموعة حملت على عاتقها العمل لصالح القضية المغاربية، ومن خلال نشاطهم فكّروا في جمع كل الطلبة المغاربة الموجودين بمصر من أجل تأسيس هيئة تتكفل بهذه الدعوة، وهكذا أسّسوا جمعية أطلقوا عليها اسم "رابطة الدفاع عن مراكش" بمصر، وفي سياق عمل هذه الرابطة قدّمت في أوائل يناير 1944 مذكّرة لمكتب فرنسا الحرة طالبت فيه باستقلال المغرب، وشرعت في التعريف بأوضاع المغرب تحت الحماية على كافة المستويات، وتوضيحه إلى كافة الرأي العام المشرقي، ومن أجل هذا الهدف تمّ توظيف عدد من الصحف إلى جانب نشر بعض الكتيبات، ومنها على سبيل المثال كتاب "*مأساة مراكش*" وبعض النشرات التي كانت تبعث إلى عدد من السياسيين والمثقفين والصحفيين، وبهذه الحركة تحوّل مكتب الرابطة إلى محج يقصده عدد من المهتمين بالشؤون العربية والإسلامية، ولما بدأت بعض الحكومات العربية تفكّر في إنشاء تنظيم يجمع حوله العرب ويعالج مشاكلهم، ساهمت الرابطة في هذه التحركات واتصلت ببعض الوفود العربية المعنية فعملت على شرح وضعية المغرب لتلك الوفود،

وعبّرت عن أملها في انضمام المغرب إلى الجامعة العربة المرتقبة، وعلى العموم يمكن تلخيص المطالب التى كانت تقدّمها رابطة الدفاع عن مراكش في مذكرات للجامعة العربية في أربع نقط:

أولا: إعلان استقلال المغرب.

ثانيا: الإنضمام إلى المنظمات الدولية خاصة الأمم المتحدة والجامعة العربية.

ثالثا: توحيد التراب المغربي وإلغاء الحواجز بين أجزائه.

رابعا: إلغاء الأحكام العرفية وإطلاق الحريات العامة.

وفي سنة 1945 وصل إلى مصر قادما من تونس أحد أعضاء الحركة الوطنية التونسية، وهو الحبيب بورقيبة ورحبت به الرابطة، كما وصل في نفس السنة إلى القاهرة السيد الشاذلي المكي الذي فرّ من الجزائر بعد معركة سطيف، و في سنة 1946 وصل إلى القاهرة كذلك مجموعة من الشباب التونسيين، كما وصل وفد من شمال المغرب لتمثيل المنطقة الخليفية في لجان الجامعة، وبوصول هؤلاء الأشخاص وهذه الوفود اتّسع نشاط الرابطة وبدأ التفكير في نوع من العمل المشترك بين أفراد ووفود المغرب والجزائر وتونس، وبدأ نوع من التعاون أسفر عن التفكير في عقد مؤتمر المغرب العربي.

مؤتمر المغرب العربي:

كان لانعقاد مؤتمر المغرب العربي أثره العميق في حركة بلدان شمال إفريقيا بالمشرق، وفي الحركات الوطنية داخل الأقطار الثلاثة، خاصة وأنّ المؤتمر روعي فيه أن يكون الممثلين من الحركات القائمة في شمال إفريقيا، حتى يكتسب صفته الإجماعية التي تعطي لقراراته قوة تأييد الأحزاب برمّتها، فمثّلت تونس بواسطة مكاتب حزب الدستور في القاهرة ودمشق،

وعبّرت عن أملها في انضمام المغرب إلى الجامعة العربة المرتقبة، وعلى العموم يمكن تلخيص المطالب التى كانت تقدّمها رابطة الدفاع عن مراكش في مذكرات للجامعة العربية في أربع نقط:

أولا: إعلان استقلال المغرب.

ثانيا: الإنضمام إلى المنظمات الدولية خاصة الأمم المتحدة والجامعة العربية.

ثالثا: توحيد التراب المغربي وإلغاء الحواجز بين أجزائه.

رابعا: إلغاء الأحكام العرفية وإطلاق الحريات العامة.

وفي سنة 1945 وصل إلى مصر قادما من تونس أحد أعضاء الحركة الوطنية التونسية، وهو الحبيب بورقيبة ورحبت به الرابطة، كما وصل في نفس السنة إلى القاهرة السيد الشاذلي المكي الذي فرّ من الجزائر بعد معركة سطيف، و في سنة 1946 وصل إلى القاهرة كذلك مجموعة من الشباب التونسيين، كما وصل وفد من شمال المغرب لتمثيل المنطقة الخليفية في لجان الجامعة، وبوصول هؤلاء الأشخاص وهذه الوفود اتّسع نشاط الرابطة وبدأ التفكير في نوع من العمل المشترك بين أفراد ووفود المغرب والجزائر وتونس، وبدأ نوع من التعاون أسفر عن التفكير في عقد مؤتمر المغرب العربي.

مؤتمر المغرب العربي:

كان لانعقاد مؤتمر المغرب العربي أثره العميق في حركة بلدان شمال إفريقيا بالمشرق، وفي الحركات الوطنية داخل الأقطار الثلاثة، خاصة وأنّ المؤتمر روعي فيه أن يكون الممثلين من الحركات القائمة في شمال إفريقيا، حتى يكتسب صفته الإجماعية التي تعطي لقراراته قوة تأييد الأحزاب برمّتها، فمثّلت تونس بواسطة مكاتب حزب الدستور في القاهرة ودمشق،

والجزائر بواسطة مكتب حزب الشعب في القاهرة، و المغرب مثلته رابطة الدفاع عن مراكش، وقد انعقد هذا المؤتمر من 15 إلى 22 فبراير 1947 ترأسه بصفة فخرية الأمين العام للجامعة العربية عبد الرحمان عزّام، كما حضر جلسته الإفتتاحية شخصيات عربية لها مكانتها، وقد خرج هذا المؤتمر بستة قرارات ركزت على ضرورة العمل والكفاح من أجل الإستقلال في البلدان الثلاثة، وجلاء الجيوش الأجنبية عن ترابها، كما أوصى هذا المؤتمر بضرورة إندماج الحركات الوطنية من كل بلد عن طريق تكوين جبهات، كما أوصى بتقارب الحركات الوطنية في الأقطار الثلاثة من أجل مصلحتها.

ناقشت الجلسة الثالثة لمؤتمر المغرب العربي، والتي انعقدت في 16 فبراير 1947 مشروع لجنة توحيد مكاتب الدعاية، خاصة وأن واقع بلدان المغرب العربي أصبح يفرض عملية تكتلات كما أصبح الشعور بضرورة الكفاح المشترك هاجسا مشتركا في الداخل والخارج، فتقرّر تكوين مكتب المغرب العربي، وهو مكتب مشترك بين رابطة الدفاع عن مراكش والوفد الخليفي في لجان الجامعة، وحزب الشعب الجزائري، والحزب الحر الدستوري التونسي، وبفضل هذا الإلتقاء الثلاثي أصبح مكتب المغرب العربي في القاهرة مطمح الذين يهتمون بالشؤون المغربية ومحج الوافدين من شمال إفريقيا، إلى درجة توصلت معها الحكومة المصرية لتلقي إحتجاج من السفارة الفرنسية، التى اعتبرت المكتب قنصلية توزع أوراق التعريف والجوازات خاصة في إطار تسهيله عملية التعليم للطلبة الوافدين.

مكتب المغرب العربي:

أصبح مكتب المغرب العربي سفارة لثلاث دول، تطمح إلى أن تكون بينها وحدة، ورسم أهدافه بوضوح في العمل على تحرير بلاد المغرب والقضاء على الإستعمار، والتعريف بالشعوب المغاربية، وربط الصلة بين جناحي العروبة، والتوعية بالقضية في الأوساط العربية والسياسية والثقافية.

قام مكتب المغرب العربي بعدة أعمال من بينها: فضح تصرفات الإستعمار عن طريق نشرة منتظمة تصدر ثلاث مرات في الأسبوع، وجدت مكانها في كبريات الصحف العربية في كل الوطن العربي، وأغنت بالتالي عن المصادر الأجنبية التي كانت المصدر الوحيد عن المغرب العربي، كما تمكن الرأي العام العربي بفضل هذه النشرة من تتبع حركات النضال التي تقوم بها الأقطار الثلاثة، والإطلاع على مختلف الأوضاع الداخلية التي كانت تعيشها هذه الدول كالمجاعة التي عرفتها تونس بين سنتي1947 و1948 ، ومذبحة الدار البيضاء في أفر يل 1947، ومأساة منصف باي تونس المنفي، وتفاصيل عن فكرة الإتحاد التونسي إلى غير ذلك من الأحداث التي كانت ستظل مجهولة من طرف جزء من شعوب العالم العربي، وكان المكتب كذلك يصدر نشرة خاصة بالصحف التي كانت تصدر في الأقطار الثلاثة . وعمل على نشر كتب عن كل قطر مغربي، ولتدويل قضية بلدان شمال إفريقيا الثلاث عمل كذلك على نشر كتب بالفرنسية والإنجليزية.

تميّز مكتب المغرب العربي بأنّه أصبح مركز الحركة التى قامت بالتعريف بالقضية الإستقلالية، إذ عمل على لفت النظر إلى الزعماء المعتقلين وطالب بتحريرهم، إذ بعث المكتب وفدا للاتصال بالزعيم عبد الكريم الخطابي عندما تواجدت سفينته بالسويس، كما طالب من الدوائر العليا المصرية استضافة الزعيم وبالفعل تمّ تحرير الزعيم عبد الكريم الخطابي الذي نزل بمكتب المغرب العربي واتخذه منطلقا لنشاطه السياسي. وقد لعب مكتب المغرب العربي دورا رئيسا كذلك في القرار التي اتخذته الدول الأعضاء في الجامعة العربية لتقديم شكوى إلى الأمم المتحدة ضد فرنسا لخرقها حقوق الإنسان بشمال إفريقيا، ورغم قرار الأمم بتأجيل القضية إلا أن المكسب الذي جنته القضية بفضل هذا المكتب هو عودة الطابع الدولي للقضية المغاربية، وإظهار أنّه لم يعد لفرنسا وحدها حق التحكم في تقرير مصير شعوب شمال إفريقيا. وفي سنة 1952 تعزّز مكتب المغرب العربي بقدوم

شباب جزائريين، بعضهم كان عضوا بحزب الشعب و متشبعين بأفكار ثورية تحرّرية وفي مقدمتهم محمد خيضر، واحمد بن بلة، وآيت احمد، وتزامن هذا الوجود الجزائري بعودة علال الفاسي إلى القاهرة وفي إطار ما اختطه مكتب المغرب العربي في هذه المرحلة، وكل التوجهات كانت تدعو إلى تنظيم حركة مقاومة بالداخل، وبالفعل اجتمع القادة الجزائريون مع القادة المغاربة واتفقوا على القيام بعمل ثوري في الجبال في المغرب والجزائر وتدبر مسألة السلاح بمساعدة مصر، و بخصوص هذه النقطة تطرق الأستاذ الهاشمي الطود في اليوم الأول إلى السفينة و المساعدة وكيف تم ذلك وتباحث أمر نقله. إلا أنّ المشكل الذي واجه عمل مكتب المغرب العربي، هو من أين تبدأ الثورة هل من الجزائر؟ أم من المغرب؟ وتمّ الإتفاق على أن تبدأ من الجزائر، وبالفعل اندلعت الثورة الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954، واستمر مكتب المغرب العربي في العمل على تهيئة الثورة في المغرب وتدبير السلاح واختيار قائدها.

من خلال هذه الأحداث تعتبر الحركة التي قام بها مكتب المغرب العربي انعكاسا وتكاملا للحركات الوطنية بالداخل و الخارج، خاصة وأنّ الهدف كان مشتركا ألا وهو إخراج القضية المغربية من دائرتها الضيّقة إلا المحيط الدولي بوجه عام والمحيط العربي بوجه خاص. وقد صرحت مجلة "France" فيما يخص مكتب المغرب العربي في عدد ممتاز «أنّ مكتب المغرب العربي أصبح نوعياً امتدادا من امتدادات الجامعة العربية أو قسما مكملا لها».

الخــــاتمة:

هل أدى مكتب المغرب العربي دوره الذي كان مرتقبا؟ وهل تمّ تحقيق أهم ما كان يصبوا إليه؟ للجواب على هذين السؤالين: نأخذ وجهة نظر عبد الكريم غلاب و رشيد إدريس، فبالنسبة للأستاذ عبد الكريم غلاب يري «أن مكتب المغرب العربي أدى مهمته بفضل الرجال الذين اهتدوا إلى الفكرة

وعملوا على تنفيذها، وبذلوا المجهودات الكبرى في جو من العمل الدؤوب والمتواصل، وفي إخلاص ونكران للذات والتضحية في أحضان النّضال الوطني، وتشبّعوا بفكرة الإستقلال والوحدة والحرية.»

أما الأستاذ رشيد ادريس فيرى «أنه إذا لم نوفّق في بعث حركة موّحدة فقد نجحنا على الأقل في ضمان استمرار الدعاية الوطنية في الخارج، وبتلك الدعاية وما رافقها من اتصالات ما ضمن استمرار الحركة في داخل البلدان العربية إلى جانب العوامل والتنظيمات المحلية.»

ومهما كان الأمر، فلا يمكن لأحد أن ينكر ما قامت به هذه المؤسسة والمجهودات التي بذلها هؤلاء الرّواد، خصوصا إذا عرفنا الشروط التي كانوا يتحركون فيها ومدى صعوبتها، فمساهمة هذه المؤسسة وهؤلاء الرّواد في استقلال المغرب العربي جد بديع، ودورهم في زرع فكرة المغرب العربي أبرز ايجابيات المرحلة، هذه الفكرة التي احتاجت ومازلت بحاجة إلى رعاية الأجيال التي تعاقبت من بعد وتحويلها إلى واقع ملموس، لاشك أنّ الحاجة إليها أصبحت واردة أكثر من أي وقت مضى.

1- شهادة منقولة عن شريط سمعي



المناضلون المغاربة في القاهرة والكفاح المسلّح في الجزائر

منور مروش *

في البداية لا بد من ملاحظة تمهيدية حول ازدواجية ما أعرضه عليكم كشاهد ومؤرخ للأحداث التي جرت في هذه الفترة، فقد عاصرت هذه الأحداث وشاركت فيها في مستوى معين. وأحاول أن أدرس الماضي كمؤرّخ خارج العقلية المخزنية التي تشوّه التاريخ وتستعمله لتبرير الحاضر وخارج الذهنية الأسطورية التي نرى آثارها في كثير مما ينشر عن تاريخنا.

الطلبة المغاربة في القاهرة:

منذ بداية الخمسينات تزايد عدد الطلبة القادمين من الأقطار المغاربية فيما عدا القطر التونسي حيث تناقص عدد الطلبة التونسيين في مصر بسبب العلاقاتٍ بين حكومتي البلدين. وبخلاف طلبة الأربعينات وما قبل ذلك فإنّ الطلبة المغاربة في الخمسينات كانوا يدرسون في الجامعات المصرية الحديثة أو في دار العلوم وهي تجمع بين برنامج الأزهر والبرامج الحديثة نوعا ما.

فيما يخص الطلبة الجزائريين أكثرهم من الريف والمدن الصغيرة مروا بالزيتونة في تونس أو بمعهد ابن باديس في قسنطينة أو بالقرويين في فاس قبل الإلتحاق بالقاهرة. وفيما عدا إثنين أو ثلاثة كان الجميع يدرس اللّغة العربية

* مؤرّخ

المناضلون المغاربة في القاهرة والكفاح المسلّح في الجزائر

منور مروش *

في البداية لا بد من ملاحظة تمهيدية حول ازدواجية ما أعرضه عليكم كشاهد ومؤرخ للأحداث التي جرت في هذه الفترة، فقد عاصرت هذه الأحداث وشاركت فيها في مستوى معين. وأحاول أن أدرس الماضي كمؤرّخ خارج العقلية المخزنية التي تشوّه التاريخ وتستعمله لتبرير الحاضر وخارج الذهنية الأسطورية التي نرى آثارها في كثير مما ينشر عن تاريخنا.

الطلبة المغاربة في القاهرة:

منذ بداية الخمسينات تزايد عدد الطلبة القادمين من الأقطار المغاربية فيما عدا القطر التونسي حيث تناقص عدد الطلبة التونسيين في مصر بسبب العلاقاتٍ بين حكومتي البلدين. وبخلاف طلبة الأربعينات وما قبل ذلك فإنّ الطلبة المغاربة في الخمسينات كانوا يدرسون في الجامعات المصرية الحديثة أو في دار العلوم وهي تجمع بين برنامج الأزهر والبرامج الحديثة نوعا ما.

فيما يخص الطلبة الجزائريين أكثرهم من الريف والمدن الصغيرة مروا بالزيتونة في تونس أوبمعهد ابن باديس في قسنطينة أو بالقرويين في فاس قبل الإلتحاق بالقاهرة. وفيما عدا إثنين أو ثلاثة كان الجميع يدرس اللّغة العربية

* مؤرّخ

أو التاريخ. ومن الجدير بالملاحظة أنّ أغلب الطلبة الجزائريين الذين لهم تكوين سياسي كانوا أعضاء أو مناصرين لحزب الشعب رغم أنّ كثيرا منهم قدموا في بعثات جمعية العلماء.

كذلك كان طلبة المغرب ملتفين حول حزب الإستقلال وكانت عناصرهم القيادية مرتبطة بالمقاومة المسلّحة وبالجناح الجذري لحزب الإستقلال الذي كوّن فيما بعد الإتحاد الوطني للقوى الشعبية بقيادة المهدي بن بركة ومحمد البصري وعبد الرحمن اليوسفي وكان أكثر طلبة تونس مناصرين للمقاومة المسلّحة في تونس ولفكرة تحرير وتوحيد المغرب العربي بواسطة الكفاح المسلّح الموحد. وهذا يجعلهم قريبين من التيار الذي كان يمثله في القاهرة أنصار صالح بن يوسف.

إنّ الوعي السياسي السائد بين هؤلاء الطلبة الذين كان لهم نشاط عام يمكن تلخيصه في كلمات: كانت الفكرة الرئيسية هي أنّ وحدة الأقطار المغربية يجب أن تتحقق أولا في وحدة الكفاح المسلّح ومواصلة هذا الكفاح إلى أن يتحقق التحرير التام لبلدان المغرب وكذلك ربط هذا الكفاح بما يجرى في المشرق من نضال من أجل التحرّر والوحدة. وهذا الفكر السائد ينظر إليه البعض بأن هؤلاء الطلبة كانوا بعثيين أو ناصريين. الحقيقة أنّ كثيرا من الطلبة كانوا يشتركون في أفكار عامة ومشاعر و أهداف كانت تلتقي في ذلك الوقت مع الأفكار والأهداف التي يعلنها أو يناضل من أجلها عبد الناصر والبعث وتنظيمات وتيارات أخرى تختلف في التفاصيل وتلتقي في التصور العام ولكن لم يكونوا منضمّين عموما إلى أحزاب أو أجهزة مشرقية إلا في حالات نادرة. ويمكن أن يقال عن الطلبة الذين كان لهم دور رئيسي في هذا النشاط أنّهم بدرجات مختلفة كانوا يجمعون بين تأثيرات متعددة يتغير وزنها النسبي مع مر السنين حسب الإتصالات والمطالعات ونوعية النشاط وتطور الجو السياسي والفكري العام في مصر وفي المشرق.

هذا الجو العام كانت تدفعه الأحداث الكبري المتوالية بعد قيام الثورة

أو التاريخ. ومن الجدير بالملاحظة أنّ أغلب الطلبة الجزائريين الذين لهم تكوين سياسي كانوا أعضاء أو مناصرين لحزب الشعب رغم أنّ كثيرا منهم قدموا في بعثات جمعية العلماء.

كذلك كان طلبة المغرب ملتفين حول حزب الإستقلال وكانت عناصرهم القيادية مرتبطة بالمقاومة المسلّحة وبالجناح الجذري لحزب الإستقلال الذي كوّن فيما بعد الإتحاد الوطني للقوى الشعبية بقيادة المهدي بن بركة ومحمد البصري وعبد الرحمن اليوسفي وكان أكثر طلبة تونس مناصرين للمقاومة المسلّحة في تونس ولفكرة تحرير وتوحيد المغرب العربي بواسطة الكفاح المسلّح الموحد. وهذا يجعلهم قريبين من التيار الذي كان يمثله في القاهرة أنصار صالح بن يوسف.

إنّ الوعي السياسي السائد بين هؤلاء الطلبة الذين كان لهم نشاط عام يمكن تلخيصه في كلمات: كانت الفكرة الرئيسية هي أنّ وحدة الأقطار المغربية يجب أن تتحقق أولا في وحدة الكفاح المسلّح ومواصلة هذا الكفاح إلى أن يتحقق التحرير التام لبلدان المغرب وكذلك ربط هذا الكفاح بما يجرى في المشرق من نضال من أجل التحرّر والوحدة. وهذا الفكر السائد ينظر إليه البعض بأن هؤلاء الطلبة كانوا بعثيين أو ناصريين. الحقيقة أنّ كثيرا من الطلبة كانوا يشتركون في أفكار عامة ومشاعر و أهداف كانت تلتقي في ذلك الوقت مع الأفكار والأهداف التي يعلنها أو يناضل من أجلها عبد الناصر والبعث وتنظيمات وتيارات أخرى تختلف في التفاصيل وتلتقي في التصور العام ولكن لم يكونوا منضمّين عموما إلى أحزاب أو أجهزة مشرقية إلا في حالات نادرة. ويمكن أن يقال عن الطلبة الذين كان لهم دور رئيسي في هذا النشاط أنهم بدرجات مختلفة كانوا يجمعون بين تأثيرات متعددة يتغير وزنها النسبي مع مر السنين حسب الإتصالات والمطالعات ونوعية النشاط وتطور الجو السياسي والفكري العام في مصر وفي المشرق.

هذا الجو العام كانت تدفعه الأحداث الكبري المتوالية بعد قيام الثورة

المصرية وبداية العمل المسلّح في تونس ثم في المغرب والجزائر وصعود الحركات التحررية بعد انتصار ديان بيان فو، ومؤتمر باندونغ، واتجاه مصر وسوريا في سياسة الحياد الإيجابي ورفض الهيمنة الإمبريالية. ثم جاءت معركة قناة السويس التي شارك فيها الطلبة الجزائريون بتكوين كتيبة داخل فيلق الطلبة العرب. وتصاعد الكفاح المسلّح في الجزائر بحيث أصبحت الثورة الجزائرية محور النشاط المغاربي الموحّد في مصر وفي المشرق العربي.

مكتب المغرب العربي:

في 31 ماي1947 استقر الأمير عبد الكريم الخطابي بالقاهرة وكان مكتب المغرب العربي حسب شهادات متعددة هو المنظّم لفرار الأمير عبد الكريم وأخيه وكل أسرتهما ورفاقهما، إنّ عبد الكريم كان محاطا بهالة بطل المقاومة المسلّحة ومحقق إنتصار معركة أنوال في سنة 1921 وقائد جمهورية الريف في 1921-1926 ورغم عشرين سنة من المنفى البعيد في جزيرة الرينيون ورغم تقدم السن كان عبد الكريم يعمل لأنّ يكون له دور قيادي في الحركة الوطنية.

من البداية كان عبد الكريم يتميز بفكرتين أساسيتين يحملهما بقوة وباستمرارية لم تعرف الإنقطاع أو التناقض: فكرة وحدة المغرب العربي وفكرة التحرير التام عن طريق الكفاح المسلّح الشامل الموحّد المستمر حتى يتم تحرير كامل الأقطار المغربية بلا تجزئة ولا مراحل.

هذه الأفكار كانت تصطدم بدون شك مع أفكار بعض الزعماء الوطنيين. مثلا بورقيبة كان من أنصار العمل السياسي قبل كل شيء والتفاوض لتحقيق المطالب على مراحل لهذا فإنّ مبادرة عبد الكريم بتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي في بداية 1948 هي من جهة تجسيد للفكر الوحدوي الجذري ومن جهة أخرى إطار عام في داخله كثير من المتناقضات. أبرز هذه المتناقضات أنّ رئيس اللّجنة هو الأمير عبد الكريم وأمينها العام الحبيب بورقيبة.

في ماي 1948 كان بورقيبة في جولة في الخارج وفي غيابه عيّن علال الفاسي أمينا عاما للجنة. وتوتر العلاقات بين عبد الكريم وعلال الفاسي كان له أسباب أخرى. كما يقول الأستاذ يوسف الرويسي كان عبد الكريم يشك في نوايا المسؤولين السياسيين ويري أنّهم غير ملتزمين مطلقا بنهج العمل المسلّح الموحد في كامل الأقطار المغربية حتى يتحقّق التحرير التام.

الأستاذ يوسف الرويسي كان مسؤول مكتب المغرب العربي في دمشق يقول في شهادة سجلها في الملتقي حول عبد الكريم وجمهوربة الريف أنّ علاقات عبد الكريم به شخصيا تحسنت كثيرا حين علم عبد الكريم أنّ يوسف الرويسي نجح في تسجيل طلبة من الأقطار المغربية في الكليات العسكرية في سوريا والعراق وأنّه اختار عناصر من المتطوعين من الأقطار المغربية في حرب فلسطين ليتدربوا في تشكيلات الكومندو استعدادا للعمل المسلّح. ويذكر الرويسي كذلك أنّ انطلاق الثورة الجزائرية هو الذي ملأ قلب الأمير عبد الكريم بالغبطة والأمل لأنّه كان يري فيها بداية لتحقيق أفكاره في الثورة المغاربية المسلّحة الموحدة.

من الطلبة المغاربة الذين درسوا في الكلية العسكرية في بغداد في هذه الفترة وتخرّجوا منها أذكر الهاشمي الطود وحمادي الريفي. وفي مقال نشرته مجلة *"الأصالة"* في نوفمبر 1947 يذكر الأستاذ عبد الحميد مهري أنّه في ماي 1953 اتصل به الهاشمي الطود و حمادي الريفي في مدينة الجزائر قادمين من القاهرة بتكليف من الأمير عبد الكريم وبمعرفة ممثلي حزب الشعب الجزائري في مكتب المغرب العربي بالقاهرة وذكرا له أن مهمتهما العمل لتنسيق المبادرات في كامل الأقطار المغربية من أجل تنظيم كفاح مسلّح مشترك بين الحركات الوطنية في هذه الأقطار. وهيّأ مهري لهما لقاء مع محمد بوضياف كما كان لهما لقاءات من نفس النوع في تونس و في المغرب. وكما هو معروف إلتحق حمادي الريفي بجيش التحرير في الجزائر وأسِر وهو جريح في معركة في الولاية الثالثة سنة 1955. أما الأستاذ الهاشمي

الطود فقد كان في مصر على صلة دائمة بالأمير عبد الكريم وكان مدرب أفواج المتطوعين للعمل المسلّح من كل الأقطار المغربية. وهو الذي درّب الأفواج الأولى من المتطوعين الجزائريين قبل وبعد نوفمبر1955 ومن بينهم الشهداء محمد عرعار و بوعزة و صحابي الخ.

إنّ الأستاذ الهاشمي الطود يُعدّ ذاكرة العمل المسلّح الوحدوي ذاكرة كبيرة ومكتبة حيّة كما وصفه الأستاذ دحو جربال في تقديمه البارحة، وقد كان نصيرا دائما للثورة الجزائرية التي شارك عمليا في الإعداد لها. ولهذا فإنّ شهادته في هذا الموضوع تعد شيئا ثمينا جدا. وفيما أذكر أنّ الهاشمي الطود درّب الهواري بومدين ومصطفي الأكحل معا حسبما ذكره لي الصديق الفقيد مصطفى الأكحل.

تطوّع الطلبة:

إنّ علاقتنا مع الهاشمي الطود توطدت منذ بداية الثورة في نوفمبر1954. فبعد أيام من إعلان الثورة اجتمع الطلبة الجزائريون في القاهرة وقرّرنا إصدار نداء بمساندة الثورة ودعوة الشعب إلى حمل السلاح من أجل التحرير الوطني وأذيع هذا النداء في إذاعة صوت العرب بالقاهرة وتوالت نداءات وبيانات الطلبة سواء في الإذاعة أو في الصحافة المصرية و المشرقية عموما. وكنّا بالأخص على اتصال بأعضاء مكتب المغرب العربي من المناضلين الجزائريين سواء منهم في البداية الشاذلي المكي و محمد خيضر و حسين آيت أحمد وبعد إعلان الثورة تركّز اتصالنا بأحمد بن بلة الذي ساند إرسال وفد من طلبة الجزائر بالقاهرة إلى مهرجان الشبيبة العالمي المنعقد في وارسو في صيف 1955. كذلك باتصال معه شاركنا في تحضير وتنظيم مهرجان الشباب العربي المنعقد في القاهرة والأسكندرية في جويلية 1956. وهذا العمل الإعلامي كان موازيا للعمل التدريبي ولتطوع الطلبة للإلتحاق بجيش التحرير. فقد كان هذا التطوع على أفواج بدأ بعضها قبل نوفمبر1954 وأخذ أشكالا مختلفة وكان أوّل شهيد في الثورة من طلبة القاهرة هو المناضل

بلقاسم زدور الذي كان له دور فعّال داخل التنظيم الطلابي لحزب الشعب الجزائري. وقد تم تدريب متطوعين من الطلبة الجزائريين الأوائل في إطار مبادرات كان يشرف عليها الأمير عبد الكريم. وتلتها أفواج نظمت بإشراف أحمد بن بلة. وأذكر من أوائل المتطوعين بالقاهرة الشهيدين عرعار و بوعزة. وبعدهم كان الفوج الذي أبحر في باخرة دينا في مارس 1955 وأرسى في مناطق الريف المغربي حيث أشرف على استقبالهم الفقيد الكبير الشهيد العربي بن المهيدي. وكان هذا الفوج يتكوّن من سبعة أشخاص من بينهم محمد بوخروبة (الهواري بومدين).

وفيما أذكر أنّ أكبر عدد من الطلبة الجزائريين في مصر وفي المشرق العربي الذين التحقوا بالثورة كان في سنة 1956. وأسماؤهم مسجّلة في القوائم التي أتى بها الأستاذ الهاشمي الطود وذكرها في مداخلته القيمة. ولنأخذ مثالا حيّا عن جو التطوّع الطلابي وملابساته وصعوباته. يذكر الأستاذ الاخضر بوطمين في كتابه" *لمحات عن ثورة الجزائر*" أنّه كان طالبا في بغداد وانتقل إلى القاهرة حيث تدرّب مع طلبة آخرين وسافر إلى ليبيا في جوان 1956 ثم إلى تونس ومن تونس التحق بالولاية الثانية حيث تدرّج في مراتب المسئولية حتى عيّن عضوا في قيادة الولاية.

يذكر بوطمين الصعوبات الكبيرة التي عاشها هو وزملاؤه حين وصلوا تونس والعراقيل التي وضعت أمامهم من طرف المسئولين الجزائريين الذين كانوا يمثلون الثورة في تونس، وأنّه لاحظ أنّ مواقف هؤلاء المسئولين كانت بين مؤيّد ومعارض لهذا التطوع الطلابي وقد عشت شخصيا نفس التجربة سنة1957 وسأذكرها فيما بعد. ويبدو لي أنّ الصعوبات التي اعترضت بوطمين وزملاءه كانت متصلة بالخلافات والصراعات داخل الأجهزة القيادية في جبهة التحرير والتي تبلورت في صيف وخريف 1956 حول الموقف من قرارات مؤتمر الصومام.

كان أكثر الطلبة المتطوعين يؤيدون الإتجاه المغاربي الوحدوي الجذري وكانوا متحمسين لكون المقاومة المسلّحة في المغرب وتونس أعلنت ارتباطها العضوي بالثورة الجزائرية حيث تشكلت في الناظور في 15 جويلية 1955 " لجنة التنسيق لجيش تحرير المغرب العربي" ووضع لها ميثاق أساسي صودق عليه بالإجماع وانتخبت اللّجنة كاتبا عاما هو عباس المسعيدي من المغرب وأمينا لها هو محمد بوضياف من الجزائر وكان من أعضائها العربي بن المهيدي عن الجزائر و عبد الله الصنهاجي عن المغرب. وكان الإتفاق على أنّ ثلثي الأسلحة يوجّه للجزائر والثلث الباقي لجيش التحرير المغربي وأن تتكون مراكز سرية في المغرب لمساعدة الثورة الجزائرية وتفتح مدارس للتدريب العسكري يشرف عليها العربي بن المهيدي وعباس المسيعدي. وتقرّر تاريخ 2 أكتوبر 1955 لانطلاق إنتفاضة تحريرية شاملة.

ومن جهة أخرى كانت العناصر المسلّحة في تونس مؤيدة لخطّة صالح بن يوسف بمواصلة الكفاح المسلّح الموحّد على نطاق المغرب العربي وهذه الحركة المعارضة لسياسة بورقيبة كان يمثّلها في القاهرة الأستاذ الفقيد إبراهيم طوبال الذي ظلّ طول حياته من أنصار الثورة الجزائرية وأنصار الوحدة المغاربية والعربية على أسس جذرية.

في هذه الأوضاع وصل فوج المتطوعين من طلبة المشرق وأكثرهم من طلبة القاهرة إلى تونس. وفي تونس كانت الإعتقالات والمحاكمات بتهمة التآمر على الثورة على أساس أنّهم من أنصار بن بلة وبوضياف ومن المعارضين لبعض مقررات الصومام. وهكذا أعدم شبان في العشرين من عمرهم تركوا دراستهم للمشاركة في الثورة من هؤلاء الشباب من طلبة القاهرة محمد الطاهر زعرور وعبد الكريم هالي نفذ فيهما حكم الإعدام مع عناصر من قيادة الولاية الأولى ومع بعض الطلبة الذين كانوا يدرسون في تونس وتركوا دراستهم للإلتحاق بالثورة.

حول المؤيدين والمعارضين لتطوع الطلبة يمكن القول أنّ هذه المواقف

كانت أحيانا مرتبطة بملابسات معينة. مثلا حين قدم العقيد أوعمران إلى القاهرة في الشهور الأولى لسنة 1957، دعوناه إلى نادي طلاّب المغرب العربي ليشرح للطلبة مايجري داخل الثورة. وبعد أن ألقى مداخلة طويلة وأجاب على أسئلة الطلبة طلب منا أن نهيء قائمة بالطلبة الراغبين في الإلتحاق بجيش التحرير. وسجل المتطوعون أسماءهم(كانوا حوالي ثلاثين طالبا) وقدمنا القائمة إلى أعمران الذي قرّر توزيع المتطوعين على ثلاثة أفواج، فوج كنت من بينهم قرر إرساله إلى الصحراء وفوج كان من بينهم عبد القادر بن قاسي قرّر إرسالهم إلى الحدود التونسية ثم إدخالهم إلى الجزائر وفوج ثالث إختاره بمقاييس شخصية معينة قرّر إرسالهم إلى الكليات العسكرية العربية. كنت حينذاك رئيس رابطة الطلبة الجزائريين بالقاهرة وكان عبد القادر بن قاسي أمينها العام، وكلانا من مؤسسي ومسئولي نادي طلاب المغرب العربي بالقاهرة. وكان لنا بطبيعة مسوئلياتنا إتصال منتظم بممثلي الثورة في القاهرة وحين تقرّر السفرللإلتحاق بجيش التحرير ذهبنا لتوديع المسئولين. وأذكر أنّ الدكتور الأمين دباغين عنّفنا على قرارنا ترك مسئولياتنا للالتحاق بالجيش وحاول إقناعنا بعدم الذهاب. لا لأنّه كان ضد مشاركة الطلبة في الكفاح المسلّح بل لأنّه كان يحس عن حق أو عن خطأ أنّ المقصود من هذه العملية كلها هو إبعاد العناصر "المشاغبة" من القاهرة، أي العناصر التي كان البعض ينظر إليها على أنّها من معارضي مقررات الصومام و على رأس هذه العناصر رئيس الرابطة وأمينها العام. في الحقيقة أنّ التطورات التالية أظهرت صواب حدس الدكتور الأمين دباغين.

حين رجوعنا من الصحراء جاءت أوامر بإبقاء ثلاثة أشخاص في طرابلس هم مصطفي الأكحل والدكتور بن عصمان ومنور مروش. مصطفي الأكحل وهو من أبطال الولاية الرابعة ومن أكفأ وأخلص الضبّاط لأنّه كنائب للرائد يدير قائد التجربة الصحراوية كان لا يتفق معه في شيء والدكتور بن عصمان لأنه من نفس الجهة التى ينتمي إليها بن بلة وأنا

شخصيا لمواقفي في القاهرة وفي الصحراء من حيث المنطلق الفكري والسياسي.

في طرابلس وجدنا ترحيبا أخويا حميما من المسئولين الجزائريين وهم أنذاك الأستاذ بشير قاضي وكمال الساكر وعمر حدّاد وكلهم من إطارات حزب الشعب الذين كانوا في صفوف الثورة منذ بداياتها. وفي الصحراء وكذلك في طرابلس ثم في القاهرة توطّدت علاقتي بمصطفي الأكحل الذي سجّل في الكلية العسكرية المصرية وكان يتردّد بانتظام على نادي طلاب المغرب العربي.

الرابطة والنادي:

حسب شهادات الزملاء الذين سبقونا في الدراسة بالقاهرة، قامت محاولات عديدة في السابق لتكوين رابطة لطلاب المغرب العربي في مصر وكذلك لتكوين روابط للطلبة خاصة بكل قطر مغربي. لكن أولى المحاولات التى كتب لها الدوام والنشاط المنتظم هي التي قمنا بها بعد قيام الثورة. وكما ذكرت سابقا كانت بادرتها الأولى بيان الطلبة الجزائريين مباشرة بعد أول نوفمبر1954 وتلاها تكوين وفد من الطلبة الجزائريين للمشاركة في مهرجان الشبيبة العالمي في وارسو سنة 1955. بعد ذلك تأسست"رابطة الطلبة الجزائريين في القاهرة" وفي نفس الفترة كانت روابط الطلبة في المغرب وتونس على اتصال بنا وأدّت هذه الإتصالات إلى تكوين نادي طلبة المغرب العربي في سنة 1956. وكان النادي محور النشاط التضامني مع الكفاح التحرري في أقطار المغرب ومركزا ثقافيا تقام فيها المحاضرات والندوات والإجتماعات وتنظّم فيه حملات التضامن الشعبي مع الثورة الجزائرية.

وبهذه المناسبة أودّ أن أذكر بتأثّر الزملاء الذين فقدناهم والذين كان لهم نشاط كبير في هذا المجال وهم إبراهيم باعمراني من المغرب وعبد القادر بن قاسي ويوسف فتح اللّه وبشير كسيس من الجزائر.

شخصيا لمواقفي في القاهرة وفي الصحراء من حيث المنطلق الفكري والسياسي.

في طرابلس وجدنا ترحيبا أخويا حميما من المسئولين الجزائريين وهم أنذاك الأستاذ بشير قاضي وكمال الساكر وعمر حدّاد وكلهم من إطارات حزب الشعب الذين كانوا في صفوف الثورة منذ بداياتها. وفي الصحراء وكذلك في طرابلس ثم في القاهرة توطّدت علاقتي بمصطفي الأكحل الذي سجّل في الكلية العسكرية المصرية وكان يتردّد بانتظام على نادي طلاب المغرب العربي.

الرابطة والنادي:

حسب شهادات الزملاء الذين سبقونا في الدراسة بالقاهرة، قامت محاولات عديدة في السابق لتكوين رابطة لطلاب المغرب العربي في مصر وكذلك لتكوين روابط للطلبة خاصة بكل قطر مغربي. لكن أولى المحاولات التى كتب لها الدوام والنشاط المنتظم هي التي قمنا بها بعد قيام الثورة. وكما ذكرت سابقا كانت بادرتها الأولى بيان الطلبة الجزائريين مباشرة بعد أول نوفمبر1954 وتلاها تكوين وفد من الطلبة الجزائريين للمشاركة في مهرجان الشبيبة العالمي في وارسو سنة 1955. بعد ذلك تأسست"رابطة الطلبة الجزائريين في القاهرة" وفي نفس الفترة كانت روابط الطلبة في المغرب وتونس على اتصال بنا وأدّت هذه الإتصالات إلى تكوين نادي طلبة المغرب العربي في سنة 1956. وكان النادي محور النشاط التضامني مع الكفاح التحرري في أقطار المغرب ومركزا ثقافيا تقام فيها المحاضرات والندوات والإجتماعات وتنظّم فيه حملات التضامن الشعبي مع الثورة الجزائرية.

وبهذه المناسبة أودّ أن أذكر بتأثّر الزملاء الذين فقدناهم والذين كان لهم نشاط كبير في هذا المجال وهم إبراهيم باعمراني من المغرب وعبد القادر بن قاسي ويوسف فتح الله وبشير كسيس من الجزائر.

شخصيا لمواقفي في القاهرة وفي الصحراء من حيث المنطلق الفكري والسياسي.

في طرابلس وجدنا ترحيبا أخويا حميما من المسئولين الجزائريين وهم أنذاك الأستاذ بشير قاضي وكمال الساكر وعمر حدّاد وكلهم من إطارات حزب الشعب الذين كانوا في صفوف الثورة منذ بداياتها. وفي الصحراء وكذلك في طرابلس ثم في القاهرة توطّدت علاقتي بمصطفي الأكحل الذي سجّل في الكلية العسكرية المصرية وكان يتردّد بانتظام على نادي طلاب المغرب العربي.

الرابطة والنادي:

حسب شهادات الزملاء الذين سبقونا في الدراسة بالقاهرة، قامت محاولات عديدة في السابق لتكوين رابطة لطلاب المغرب العربي في مصر وكذلك لتكوين روابط للطلبة خاصة بكل قطر مغربي. لكن أولى المحاولات التى كتب لها الدوام والنشاط المنتظم هي التي قمنا بها بعد قيام الثورة. وكما ذكرت سابقا كانت بادرتها الأولى بيان الطلبة الجزائريين مباشرة بعد أول نوفمبر1954 وتلاها تكوين وفد من الطلبة الجزائريين للمشاركة في مهرجان الشبيبة العالمي في وارسو سنة 1955. بعد ذلك تأسست"رابطة الطلبة الجزائريين في القاهرة" وفي نفس الفترة كانت روابط الطلبة في المغرب وتونس على اتصال بنا وأدّت هذه الإتصالات إلى تكوين نادي طلبة المغرب العربي في سنة 1956. وكان النادي محور النشاط التضامني مع الكفاح التحرري في أقطار المغرب ومركزا ثقافيا تقام فيها المحاضرات والندوات والإجتماعات وتنظّم فيه حملات التضامن الشعبي مع الثورة الجزائرية.

وبهذه المناسبة أودّ أن أذكر بتأثّر الزملاء الذين فقدناهم والذين كان لهم نشاط كبير في هذا المجال وهم إبراهيم باعمراني من المغرب وعبد القادر بن قاسي ويوسف فتح اللّه وبشير كسيس من الجزائر.

كان مقر الرابطة في النادي وكنّا على اتصال بروابط الطلبة الجزائريين في المشرق العربي وكذلك بالأستاذ عبد الحميد مهري الذي كان يمثل جبهة التحرير في دمشق ويتابع نشاط الطلبة والمناضلين بوصفه أحد المسؤولين عن الطلبة المناضلين سابقا في حزب الشعب ثم داخل الثورة. وكنا أيضا على اتصال بالأستاذ أحمد طالب الإبراهيمي رئيس الإتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين قبل أن يتم اعتقاله سنة 1957. وبقي هذا الإتصال حيث أنّ مؤتمر تونس للإتحاد العام للطلبة شارك فيه وفد من رابطة طلاب القاهرة أذكر منهم محمد بلعيد ويوسف فتح اللّه.

وإذا كان لنا أن نستخلص بعض الدروس المرتبطة بالحاضر والتي لها جذور في الماضي وفي وقت الحرب التحريرية فعلينا أن نذكر أنّ القائمة طويلة جدا جدا من الطلبة الذين انضموا لجيش التحرير من المدارس والكليات العربية ومن المدارس والكليات الفرنسية والذين قتلوا في ريع شبابهم بأمر من المسؤولين العسكريين داخل جيش التحرير. علينا أن نتساءل لماذا كانت الخلافات تصفي بالقتل ولماذا خلافاتنا اليوم في الجزائر تصفي بالقتل؟ بذور ما نعيشه اليوم كانت موجودة في ماضينا الوطني، في ماضي مجتمعنا ويجب أن ننظر لها بنظرة تحليلية بعيدة عن التحزّب الضيق والنرجسة الوطنية لنعرف ما هي مكونات الشعب وطرقه في التعامل السياسي. وكيف يمكن الإنتقال من تقاليد فيها عنف ونزاعات مسلّحة إلى تقاليد مواجهة الخلافات بالحوار وبقبول الآخر وقبول الإختلاف والتنوّع. شئنا أم أبينا نحن مجتمع فيه تنوع كبير. هذا التنوع إذا لم ننظر له بهذه النظرة التحاورية فسنبقي في أوضاع العنف والتصفيات الجسدية.

وعلينا كدارسين وباحثين في التاريخ أن نتسلّح ضد المؤثرات المعادية للنظرة النقدية بالقواعد المنهجية للنقد التاريخي، فكل شهادة مهما كانت قيمة صاحبها كبيرة أو صغيرة هي مادة أولية لابد من مقابلتها بغيرها وعرضها على محك النقد العلمي، وكل عمل نقدي لابد أن ينطلق من بعض

المبادىء وبعض الملاحظات التي ألخصها في كلمات:

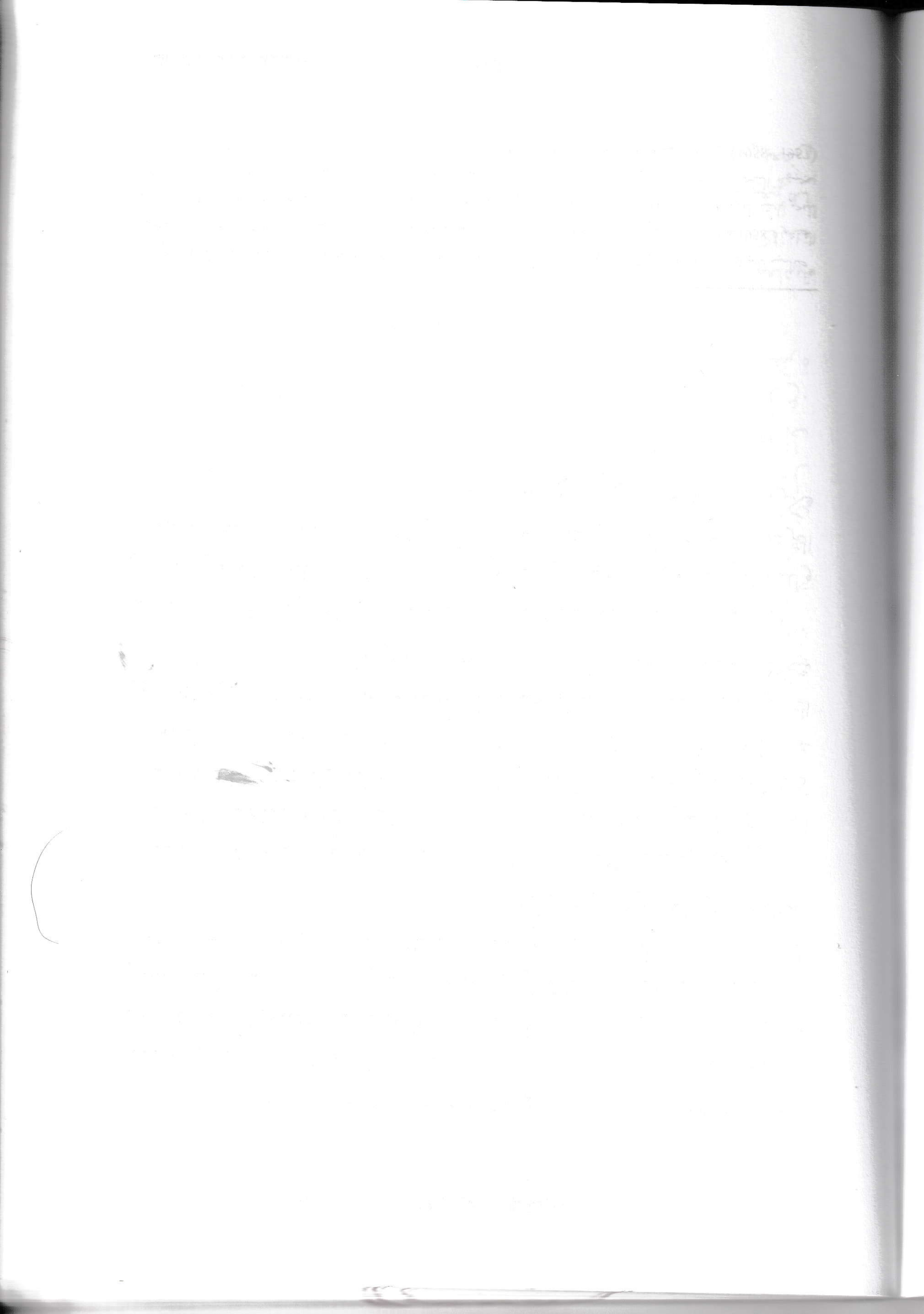
- أهم ما أساء إلى التاريخ في بلادنا هو سيادة الثقافة المخزنية التى لا تخصر في كتّاب الإرتزاق بل تشمل أشكالا من العصبيات التقليدية والحديثة. إنّ جزءا كبيرا من انتاجنا الثقافي يخضع بشكل أو بآخر لمتطلبات العمل السياسي المباشر أو ينساق مع أمواج الساعة أو ينعزل في أبراج أكادمية مقطوعة عن الواقع الحي ومؤثراته.

وفي جو يسوده الإستبداد البيروقراطي والعقلية التحريمية وضعف المستوى العلمي تتأكد ضرورة إستقلالية المثقف الملتزم بالقضايا الجوهرية لابالأجهزة والعصبيات المختلفة ولا يمكن فصل هذه الأوضاع الخانقة للفكر عن الظروف التي تكونت فيها الفئات الحاكمة داخل أجهزة الكفاح التحريري حيث سيطرت الأجهزة التسلّطية وأبعدت العناصر الريادية التي شكلت وقادت الحركة الوطنية في أصعب ظروفها.

إنّ مهمة الكتابة التاريخية المستقلة تتلخص في النظرة النقدية للحاضر وللماضي القريب والبعيد، واحترام كل قواعد الأمانة الفكرية وعلى عكس الترديد الأجوف للشعارات الدعائية، تحليل الظروف القريبة والبعيدة بجرأة فكرية مستقلة عن كل أنواع السلطات.

---

*طالب ثانوي بتونس مابين 1947 و 1951 وبالقاهرة من سنة 1952 إلى 1954 ، متحصل على ليسانس تاريخ بجامعة القاهرة 1958 ودكتوراه تاريخ بجامعة السربون سنة 1976، عضو بحزب الشعب الجزائري-حركة الانتصار للحريات الديموقراطية (1947-1954)، مؤسس ورئيس لجمعية الطلبة الجزائريين بالقاهرة (1955-1957)، عضو بجبهة التحرير الجزائرية (1954-1965)، ضابط بجيش التحرير الوطني الجزائري مكلّف بالاستعلامات (1957-1958). عضو بهيئة تحرير جريدة المجاهد (1958-1962).



المسيّرون المغاربة، الإتّفاق والإختلاف[1]

بشير القاضي*

سأحاول في هذه الشهادة أن أستعرض بعض الأحداث التي عشتها شخصيا في إطار ما يسمى بمحاولات توحيد وتنسيق الكفاح المسلّح بين الأقطار المغاربية الثلاث، وقبل كل شيء أودّ أن أقول بالنّسبة لي كمناضل في حزب الشعب الجزائري منذ الصغر، قضية توحيد الكفاح في المغرب العربي كانت عندنا نحن الذين تلقينا تربية سياسية في حزب الشعب نوعا من البداهة، لم نكن نشك في أنّ وحدة المصير حتمية للأقطار الثلاثة، رغم ما كنّا نسمعه آنذاك من بعض إخواننا التونسيين وإخواننا المغاربة الذين كانوا يقولون لنا أنّه ربما هناك فرق بين القضية المغربية وقضية البلدين الآخرين. ولكن هذا كان نوعا من النشاز.

الذين كنّا على اتصال بهم من التونسيين و من المغاربة، كانوا يعتقدون فعلا بأنّ طبيعة الإستعمار كانت طبيعة واحدة؛ لذلك فإن حتمية التعاون و حتمية توحيد النّضال كانت ضرورية. كان عندنا مبدأ أنّ التخلص من الإستعمار لا يمكن أن يحدث إلا عن طريق الصراع المسلّح العنيف، و المبدأ الثاني الذي كان راسخا في عقائدنا وقلوبنا آنذاك، هو مصير ما كنّا نسمّيه بالشمال الإفريقي، أو المغرب الكبير، أو المغرب العربي هو مصير واحد، رغم الإختلاف الشكلي للوضعيات في البلدان الثلاثة، هذه هي الملاحظة الأولى.

لجنة تحرير المغرب وحركة تنسيق الكفاح

والآن أتطرّق إلى صلب الموضوع، لأقول أنّ ما سُمي بالحركة التنسيقية بين حركات الأقطار الثلاث فيها جوانب إيجابية لا شك في ذلك وفيها جوانب سلبية، وأذكر فترتين ربما لكي لا أقول مرحلتين جربتهما أو عشتهما في هذا المجال، الفترة الأولى أريد أن تكون تكملة لما قاله رفيقنا وصديقنا الذي سرّنا أن نلتقي به بعد ما يزيد عن أربعين سنة ، هو أخونا الهاشمي الطود، وأصبح الإنسان لا يستطيع أن يتحدث عن المحاولات الأولى لتنسيق الكفاح المسلّح والكفاح التحريري في هذه المنطقة المغاربية دون أن يجده في الصورة وأمامه ، فقد كان من طلائع أبناء المغرب العربي الذين كرّسوا شبابهم لهذا الهدف طبعا تحت لواء الأمير المرحوم البطل الكبير عبد الكريم الخطابي .

أنا عشت فترة مع الأخ الهاشمي في طرابلس، ومعه رفاق مثل الأخ حمادي الريفي، الذي أصبح ضابطا في جيش التحرير الوطني الجزائري فيما بعد، وألقي عليه القبض في المنطقة الثالثة في بلاد القبائل، وأطلقت عليه الدعاية الفرنسية الضابط العراقي لأنّه تخرج من الكلية الحربية بالعراق، الأخ الهاشمي استمر طبعا حتى بعد إنطلاق المقاومات في المغرب وتونس والجزائر، استمر مكرّسا حياته لتدعيم ومساندة الكفاح المشترك، انطلق طبعا بكل ما لديه من قوة في هذه المعمعة.

الذين كنّا على اتصال بهم من التونسيين و من المغاربة، كانوا يعتقدون فعلا بأنّ طبيعة الإستعمار كانت طبيعة واحدة؛ لذلك فإن حتمية التعاون و حتمية توحيد النّضال كانت ضرورية. كان عندنا مبدأ أنّ التخلص من الإستعمار لا يمكن أن يحدث إلا عن طريق الصراع المسلّح العنيف، و المبدأ الثاني الذي كان راسخا في عقائدنا وقلوبنا آنذاك، هو مصير ما كنّا نسمّيه بالشمال الإفريقي، أو المغرب الكبير، أو المغرب العربي هو مصير واحد، رغم الإختلاف الشكلي للوضعيات في البلدان الثلاثة، هذه هي الملاحظة الأولى.

لجنة تحرير المغرب وحركة تنسيق الكفاح

والآن أتطرّق إلى صلب الموضوع، لأقول أنّ ما سُمي بالحركة التنسيقية بين حركات الأقطار الثلاث فيها جوانب إيجابية لا شك في ذلك وفيها جوانب سلبية، وأذكر فترتين ربما لكي لا أقول مرحلتين جربتهما أو عشتهما في هذا المجال، الفترة الأولى أريد أن تكون تكملة لما قاله رفيقنا وصديقنا الذي سرّنا أن نلتقي به بعد ما يزيد عن أربعين سنة ، هو أخونا الهاشمي الطود، وأصبح الإنسان لا يستطيع أن يتحدث عن المحاولات الأولى لتنسيق الكفاح المسلّح والكفاح التحريري في هذه المنطقة المغاربية دون أن يجده في الصورة وأمامه ، فقد كان من طلائع أبناء المغرب العربي الذين كرّسوا شبابهم لهذا الهدف طبعا تحت لواء الأمير المرحوم البطل الكبير عبد الكريم الخطابي .

أنا عشت فترة مع الأخ الهاشمي في طرابلس، ومعه رفاق مثل الأخ حمادي الريفي، الذي أصبح ضابطا في جيش التحرير الوطني الجزائري فيما بعد، وألقي عليه القبض في المنطقة الثالثة في بلاد القبائل، وأطلقت عليه الدعاية الفرنسية الضابط العراقي لأنّه تخرج من الكلية الحربية بالعراق، الأخ الهاشمي استمر طبعا حتى بعد إنطلاق المقاومات في المغرب وتونس والجزائر، استمر مكرّسا حياته لتدعيم ومساندة الكفاح المشترك، انطلق طبعا بكل ما لديه من قوة في هذه المعمعة.

الذين كنّا على اتصال بهم من التونسيين و من المغاربة، كانوا يعتقدون فعلا بأنّ طبيعة الإستعمار كانت طبيعة واحدة؛ لذلك فإن حتمية التعاون و حتمية توحيد النّضال كانت ضرورية. كان عندنا مبدأ أنّ التخلص من الإستعمار لا يمكن أن يحدث إلا عن طريق الصراع المسلّح العنيف، و المبدأ الثاني الذي كان راسخا في عقائدنا وقلوبنا آنذاك، هو مصير ما كنّا نسمّيه بالشمال الإفريقي، أو المغرب الكبير، أو المغرب العربي هو مصير واحد، رغم الإختلاف الشكلي للوضعيات في البلدان الثلاثة، هذه هي الملاحظة الأولى.

لجنة تحرير المغرب وحركة تنسيق الكفاح

والآن أتطرّق إلى صلب الموضوع، لأقول أنّ ما سُمي بالحركة التنسيقية بين حركات الأقطار الثلاث فيها جوانب إيجابية لا شك في ذلك وفيها جوانب سلبية، وأذكر فترتين ربما لكي لا أقول مرحلتين جربتهما أو عشتهما في هذا المجال، الفترة الأولى أريد أن تكون تكملة لما قاله رفيقنا وصديقنا الذي سرّنا أن نلتقي به بعد ما يزيد عن أربعين سنة ، هو أخونا الهاشمي الطود، وأصبح الإنسان لا يستطيع أن يتحدث عن المحاولات الأولى لتنسيق الكفاح المسلّح والكفاح التحريري في هذه المنطقة المغاربية دون أن يجده في الصورة وأمامه ، فقد كان من طلائع أبناء المغرب العربي الذين كرّسوا شبابهم لهذا الهدف طبعا تحت لواء الأمير المرحوم البطل الكبير عبد الكريم الخطابي .

أنا عشت فترة مع الأخ الهاشمي في طرابلس، ومعه رفاق مثل الأخ حمادي الريفي، الذي أصبح ضابطا في جيش التحرير الوطني الجزائري فيما بعد، وألقي عليه القبض في المنطقة الثالثة في بلاد القبائل، وأطلقت عليه الدعاية الفرنسية الضابط العراقي لأنّه تخرج من الكلية الحربية بالعراق، الأخ الهاشمي استمر طبعا حتى بعد إنطلاق المقاومات في المغرب وتونس والجزائر، استمر مكرّسا حياته لتدعيم ومساندة الكفاح المشترك، انطلق طبعا بكل ما لديه من قوة في هذه المعمعة.

وفي طرابلس قبل أن أعرف الأخ الهاشمي عرفت مجموعة من الضباط ومن الشبان التونسيين الذين كانوا معه طبعا، والذين كانوا في إطار لجنة تحرير المغرب العربي التي كوّنها الأمير عبد الكريم الخطابي، وهم شباب والذي كان أولهم وتقريبا زعيمهم هو المرحوم عز الدين عزوز، ومعه يوسف العبيدي الذي أصبح ضابطا فيما بعد في الجيش التونسي والذي عاد إلى طرابلس كملحق عسكري في سفارة تونس، والأخ الهادى عمر الذي أنبأني الأخ الهاشمي أنه حاليا قد فقد بصره شفاه اللّه على كل حال.

بدأت أنا اشتغل في إطار هذه الفكرة، التي جاء بها هؤلاء الشبان من القاهرة تحت توجيه الأمير-رحمه الله- وكانت الفكرة آنذاك هي محاولة وضع ما يسمى بالكفاح المسلح المشترك خارج الأطر الحزبية، الأمير الخطابي رحمه اللّه كان يعتقد أو يرى أن الأحزاب قد استنفذت تقريبا وجودها وكانت محاولات تجري كما يبدو لي حتى عندما دخل الأخ الهاشمي، دخل و عبر كما قال بالأمس هذه الأقطار الثلاثة في اتصالات مع الناس، كانوا أولائك الشبان يستبعدون أي فكرة حزبية و يدعون فقط إلى توحيد الكفاح المسلح ...الخ.

عشت أنا معهم في هذا الإطار، رغم أن الحزب الحر الدستوري كان له بعض الوجود المتواضع في طرابلس حتى قبل حركة المقاومة التونسية، إلا أنّ عز الدين عزوز وجماعته، يوسف والهادي رفضوا تقريبا التعاون مع هذا الوجود الصغير .

إذن قمنا ببعض الإتصالات، وأنا سعيت وكلّفت ببعض المهام، الإتصال بإخواننا في بنغازي الذين كانوا في جمعية معروفة يعرفها جيدا الأخ الهاشمي "جمعية عمر المختار" وهي جمعية وطنية ليبية، بها أعضاء مناضلون ووطنيون كنت على صلة بهم وحاولت أن أقوم ببعض محاولات جسّ النّبض، لأرى ولنرى إلى أي مدى يمكن لهذه الجمعية أن تمد يد المساعدة.

وبالفعل ساعدونا بقدر ما استطاعوا فيما بعد وحتى في ذلك الوقت...الخ. إذن أنا عشت مرحلة قصيرة معنويا في هذا الميدان لأنّها في الواقع دامت أكثر من سنة، من أواخر 1952 إلى أواخر 1953.

وعندما بدأ الأخ بن بلة يأتي إلى طرابلس انطلاقا من القاهرة، وجدنا أنّه هو أيضا كان معنيا بهذه القضية، لأنّه كان على علاقة بلجنة تحرير المغرب، إذن لم يكن شيء قد تغير بالنسبة إلى فكرة توحيد تحرير المغرب العربي، بن بلة كان أيضا على علم بهذا وكان مؤمنا به ككل مناضل وطني جزائري ومغاربي طبعا، فاستمرت هذه العلاقة وهذه الإتصالات، والأخ الهاشمي كان أيضا على علاقة حثيثة ببن بلة منذ القاهرة وفي طرابلس إلتقى به مرة أخرى، ودامت هذه الحركة بهذه الطريقة، ثم بعد ذلك باختصار لكي لا أطيل عليكم لأن الوقت يبدو أنه لن يتّسع لما يمكن أن نقوله في هذا المجال.

هذه الفترة ربما من حيث الواقع وُضِع لها حد، ولكن من حيث المحتوى والمعنى امتدت بعد ذلك؛ لأنّ حركات المقاومة بدأت بأقطار مغربية كل قطر على حدة، مثلا إخواننا التونسيون بدأوا بالمقاومة كذلك تبعهم الإخوان المغاربة نتيجة الأحداث المعروفة ومن القمع والظلم المعروف آنذاك؛ نتيجة للظروف العالمية وعوامل متعددة جاءت حركات المقاومة لتحل ظاهريا محل المسعى، والمحاولة التي كان يقوم بها هذا الفريق والتي انطلقت فيها «لجنة تحرير المغرب العربي» من القاهرة، من الناحية السياسية ومن الناحية الموضوعية يمكن أن نعتبر هذا نوعا من تحقيق أهداف لجنة تحرير المغرب، رغم ذلك لم يتحقق مثلما كان تصوّرالأعضاء والمسؤولون عن لجنة تحرير المغرب العربي، ولكن طبعا هذا نوع من تحقيق الهدف المنشود وهو بدء المقاومة ضد الإستعمار في هذه المنطقة، ولو كان ذلك بإنفراد كل بلد حاول وحده أن يثور على الإستعمار وبالأسلوب الذي يناسبه.

نحن في الواقع كنا محرجين بعض الشيء، لأنّنا كنا نعتقد أن الجزائر قد

تكون السبّاقة؛ نتيجة للتحضير المعروف عند كل الناس والمعروف عند نا. توقعاتنا نحن أنّ الجزائر ستكون أول من ينطلق في عملية الكفاح المسلّح، بشكل أعنف وأعمق وأقوى ربما من القطرين الآخرين؛ ولكن فوجئنا بأنّ إخواننا في تونس قد بدأوا قبلنا، إخواننا في المغرب بدأوا قبلنا أيضا نتيجة عوامل وظروف تاريخية ربما يصعب كثيرا تحليلها الآن، إذن كان علينا أن نرى بأي شكل يمكن أن نندمج حتى في هذه الوضعية الجديدة، كيف يمكن أن نتعاون مع إخواننا ربما حتى ونحن لم ننطلق بعد في هذا الكفاح.

تنسيق الكفاح المسلّح الجزائري–التونسي

ولكن هناك طبعا إرهاصات ما عرف في التاريخ أوالعمل الذي تمّ في إطار ما سمي «باللّجنة الثورية للإتحاد والعمل»، بالرغم مثلا ما يمكن أن نسمّيه بجهاز الحزب عندنا ربما حدث فيه خلل، حدث إنقسام إلى غير ذلك ولكن الأفكار التي غذّاها الحزب والمبادىء التي زرعها، وإيمان الحزب ومناضلي الحزب بأنّ الحل الوحيد لمشكلتنا ولأزمتنا هو حل ثوري وحلّ عنف ...الخ. هذه المبادىء وهذه الأفكار استمرت عبر الذين تكتّلوا وتجمّعوا فيما يسمى بأعضاء المنظّمة الخاصة أو ما يسمى بجماعة الإثنان والعشرين، فالفكرة تواصلت إذن وهؤلاء رأوا بأنّه لابد من مسايرة الحركة الموجودة في المغرب العربي، عندما كان بن بلة يفد إلى طرابلس كانت هذه الفكرة تتمخّض وعلى وشك أن تتشخّص، فكان لابد من مخرج ووسيلة لتجاوز الأزمة التي قام بها مناضلون، رغم ما قيل آنذاك بأن ما حدث كان خارج الحزب، وهذا لم يحدث كما يظن البعض خارج الحزب ولكن حدث خارج الجهاز، أما الفكرة نفسها والذين نقلوها وتمسّكوا بها هم مناضلو هذا الحزب فالمبدأ هو نفس المبدأ.

إذن نحن وجدنا أنفسنا في حاجة إلى الإقتراب من هذه الحركات، الأخ بن بلة وجماعة الوفد الخارجي كانوا في القاهرة على علاقة متينة مع الأخ

تكون السبّاقة؛ نتيجة للتحضير المعروف عند كل الناس والمعروف عند نا. توقعاتنا نحن أنّ الجزائر ستكون أول من ينطلق في عملية الكفاح المسلّح، بشكل أعنف وأعمق وأقوى ربما من القطرين الآخرين؛ ولكن فوجئنا بأنّ إخواننا في تونس قد بدأوا قبلنا، إخواننا في المغرب بدأوا قبلنا أيضا نتيجة عوامل وظروف تاريخية ربما يصعب كثيرا تحليلها الآن، إذن كان علينا أن نرى بأي شكل يمكن أن نندمج حتى في هذه الوضعية الجديدة، كيف يمكن أن نتعاون مع إخواننا ربما حتى ونحن لم ننطلق بعد في هذا الكفاح.

تنسيق الكفاح المسلّح الجزائري-التونسي

ولكن هناك طبعا إرهاصات ما عرف في التاريخ أوالعمل الذي تمّ في إطار ما سمي «باللّجنة الثورية للإتحاد والعمل»، بالرغم مثلا ما يمكن أن نسمّيه بجهاز الحزب عندنا ربما حدث فيه خلل، حدث إنقسام إلى غير ذلك ولكن الأفكار التي غذّاها الحزب والمبادىء التي زرعها، وإيمان الحزب ومناضلي الحزب بأنّ الحل الوحيد لمشكلتنا ولأزمتنا هو حل ثوري وحلّ عنف ...الخ. هذه المبادىء وهذه الأفكار استمرت عبر الذين تكتّلوا وتجمّعوا فيما يسمى بأعضاء المنظّمة الخاصة أو ما يسمى بجماعة الإثنان والعشرين، فالفكرة تواصلت إذن وهؤلاء رأوا بأنّه لابد من مسايرة الحركة الموجودة في المغرب العربي، عندما كان بن بلة يفد إلى طرابلس كانت هذه الفكرة تتمخّض وعلى وشك أن تتشخّص، فكان لابد من مخرج ووسيلة لتجاوز الأزمة التي قام بها مناضلون، رغم ما قيل آنذاك بأن ما حدث كان خارج الحزب، وهذا لم يحدث كما يظن البعض خارج الحزب ولكن حدث خارج الجهاز، أما الفكرة نفسها والذين نقلوها وتمسّكوا بها هم مناضلو هذا الحزب فالمبدأ هو نفس المبدأ.

إذن نحن وجدنا أنفسنا في حاجة إلى الإقتراب من هذه الحركات، الأخ بن بلة وجماعة الوفد الخارجي كانوا في القاهرة على علاقة متينة مع الأخ

الهاشمي ومع إخواننا المغاربة والتونسيين الذين كانوا متواجدين هناك، ولكن عندما بدأت المقاومة في تونس بدأ وفود أو حضور ومجيء مقاومين ومسؤولين في الحزب الحر الدستوري إلى طرابلس، هذه فترة ثانية طبعا أنا بدأت بفترة التعاون مع إخواننا الأخ الهاشمي وآخرين في إطار ما يسمى بلجنة تحرير المغرب العربي ثم الظروف التي حدثت بعد ذلك في المنطقة، حدث أنّ كل حركة نظّمت نفسها حسب الظروف المواجهة لها، فإذن حدث فتح مكتب للمقاومة التونسية في طرابلس وبدأنا نقترب من هذا المكتب .

ولكن ربما الخطوة الحاسمة، أو البدأ الأساسي للتعاون والتنسيق بيننا وبين المقاومة التونسية الأولى، يعني قبل أن تتوقف المقاومة في تونس، حدث في صيف 1954 عندما خرج الوطني الكبير الشهيد مصطفى بن بولعيد إلى طرابلس بعد اجتماع الواحد والعشرون هنا في العاصمة، جاء إلى طرابلس للقاء بن بلة، طبعا أنا كنت شخصيا في الموقع والإخوان التونسيون هم الذين نقلوه إلينا، بمعنى أن شبكات التهريب أو المرور إلى طرابلس التي أقامها إخواننا التونسيون الذين كانت طبعا حدودهم مع حدود ليبيا قبلوا أن يستعملوا شبكة من شبكاتهم لنقل الأخ مصطفى بن بولعيد، في حوالي 15 إلى 20 أغسطس 1954 وعندما عاد الأخ مصطفى عاد عبر نفس الطريق مع نفس الشبكة، ولست هنا لأتحدث بما جرى بيننا وبين الأخ مصطفى- رحمه اللّه- وقد يطول الحديث عن هذا.

و أريد أن أركّز على جانب التنسيق والتعاون بين الحركات التحريرية المغاربية، ولهذا أقول و هذه ظاهرة من ظواهر التعاون والتنسيق بيننا وبين إخواننا التونسيين، أنّ الأخ مصطفى عاد من نفس الطريق التي جاء بها من تونس أي عن طريق شبكات التمرير للإخوان التونسيين، ومن هذا التاريخ فاتحنا إخواننا المسؤولين التونسيين الذين كانوا بمكتبهم في تونس عن قرب اندلاع عمل ثوري في الجزائر، اضطررنا لمفاتحتهم، لأنّنا كنا في حاجة إلى

الهاشمي ومع إخواننا المغاربة والتونسيين الذين كانوا متواجدين هناك، ولكن عندما بدأت المقاومة في تونس بدأ وفود أو حضور ومجيء مقاومين ومسؤولين في الحزب الحر الدستوري إلى طرابلس، هذه فترة ثانية طبعا أنا بدأت بفترة التعاون مع إخواننا الأخ الهاشمي وآخرين في إطار ما يسمى بلجنة تحرير المغرب العربي ثم الظروف التي حدثت بعد ذلك في المنطقة، حدث أنّ كل حركة نظّمت نفسها حسب الظروف المواجهة لها، فإذن حدث فتح مكتب للمقاومة التونسية في طرابلس وبدأنا نقترب من هذا المكتب .

ولكن ربما الخطوة الحاسمة، أو البدأ الأساسي للتعاون والتنسيق بيننا وبين المقاومة التونسية الأولى، يعني قبل أن تتوقف المقاومة في تونس، حدث في صيف 1954 عندما خرج الوطني الكبير الشهيد مصطفى بن بولعيد إلى طرابلس بعد اجتماع الواحد والعشرون هنا في العاصمة، جاء إلى طرابلس للقاء بن بلة، طبعا أنا كنت شخصيا في الموقع والإخوان التونسيون هم الذين نقلوه إلينا، بمعنى أن شبكات التهريب أو المرور إلى طرابلس التي أقامها إخواننا التونسيون الذين كانت طبعا حدودهم مع حدود ليبيا قبلوا أن يستعملوا شبكة من شبكاتهم لنقل الأخ مصطفى بن بولعيد، في حوالي 15 إلى 20 أغسطس 1954 وعندما عاد الأخ مصطفى عاد عبر نفس الطريق مع نفس الشبكة، ولست هنا لأتحدث بما جرى بيننا وبين الأخ مصطفى- رحمه اللّه- وقد يطول الحديث عن هذا.

و أريد أن أركّز على جانب التنسيق والتعاون بين الحركات التحريرية المغاربية، ولهذا أقول و هذه ظاهرة من ظواهر التعاون والتنسيق بيننا وبين إخواننا التونسيين، أنّ الأخ مصطفى عاد من نفس الطريق التي جاء بها من تونس أي عن طريق شبكات التمرير للإخوان التونسيين، ومن هذا التاريخ فاتحنا إخواننا المسؤولين التونسيين الذين كانوا بمكتبهم في تونس عن قرب اندلاع عمل ثوري في الجزائر، اضطررنا لمفاتحتهم، لأنّنا كنا في حاجة إلى

استعمال شبكاتهم لتمرير الأسلحة والأشخاص... الخ، هم أيضا فهموا ما يهيّأ فحدث نوع من التّنسيق بيننا حول هذا الموضوع و التخطيط للتعاون معهم في المستقبل في حالة حدوث عمل ثوري عندنا.

كان في هذا المكتب إخوان منهم من انتقل إلى رحمة الله، بالأمس ذُكر أن الأخ عبد العزيز شوشان قد انتقل إلى رحمة اللّه وهذا خبر مفجع بالنسبة لي، كنت أحسب أنه مازال على قيد الحياة، عبد العزيز شوشان كان من العناصر النشطة جدا في مكتب تونس آنذاك في طرابلس وكانت علاقتهم معنا علاقة حماسية، وربما كان من أكثر العناصر الموجودة في مكتب الإخوان التونسيين بطرابلس رغبة وحماسة في التعاون معنا وكانت علاقته مع بن بلة ثم معي علاقة من أحسن ما يقال.

والأخ المرحوم علي الزليطني الذي كان هو مسؤول المكتب نظريا في الواقع؛ لأنّ الحقيقة عمليا أنّ العنصر النّشط والبارز في هذا المكتب هو عبد العزيز وكان به مجموعة كبيرة من اللاجئين وفدت إلى طرابلس وكانت لهم شبه مزرعة...الخ. ونحن اقتفينا أثرهم وتعاونا معهم طبعا في هذا المجال ووعدونا باستعمال شبكاتهم التي كانت ستمرّر السلاح إلى الداخل عندما يبدأ النضال عندنا. وفي الواقع كان الأمر كذلك عندما بدأت ثورة أول نوفمبر، وكان لدينا بعض الإخوان في طرابلس رغبنا في إدخالهم أو تمريرهم إلى الداخل، نذكر منهم مثلا الأخ المرحوم محمد بوعزة، ومحمد عرعار الذي يعرفه الأخ الهاشمي الطود معرفة جيدة، والأخ عمر البرجي، مجموعة من الذين سلّحناهم انطلاقا من أسلحة جمعناها من صحراء طرابلس، وبعضها جمعناها بفضل إخواننا التونسيون، لأنّهم سبقونا أيضا فيما يتعلق بشبكة المموّنين لتواجد أسلحة كثيرة بصحراء ليبيا.

وأنا شخصيا كنت أعرف الكثير ممن كانوا يعرضون علينا حتى قبل الثورة إمكانية تزويدنا بأسلحة، ولكن نحن استعملنا فورا بعض الممونين للإخوان

التونسيين واشترينا منهم أسلحة، "خماسي ألماني"، و"ستاتي الطلياني"، و"العشاري إنجليزي"، وأمورا من هذا النوع واشترينا بعض الرشاشات من نوع "ستارن" وأنواعا أخرى...الخ، ولم تكن كمية كبيرة على كل حال بعضها اضطررنا إلى تنظيفها ...الخ، واشترينا حتى بعض المعدات الأخرى من ألبسة ... الخ.

الأخ الهاشمي قدم لي صورة الأخ بوعرعار محمد، كان صديقا لي وفي الواقع حاولت أن أبقيه معي في طرابلس ولكنّه رفض ودخل إلى الأوراس، ومات كنقيب رحمه اللّه، وصالح تواتي يبدوا أنه انتقل إلى رحمة اللّه، وهو أخ لنا في بنغازي كان يعمل معنا أيضا، الأخ صالح تواتى أحد المناضلين الجزائريين الذين تطوّعوا في حرب فلسطين، وعاد من فلسطين واستقر في بنغازي وكان ممتلئا بالحماسة والمغامرة في سبيل تحرير الجزائر، ولا يرفض شيئا، كان كما قال الأخ الهاشمي بالأمس يملك معمل نجارة و يستقبل كل المغاربة، و يقبل المهمات لدرجة أنني أذكر أنه عندما خرج المرحوم ميصالي الحاج إلى الشرق ومرّ بالقاهرة، قرّرنا أنا وهو أن نتصل بميصالى فماذا فعلنا؟ هو كان بإمكانه الحصول على أوراق للمرور إلى مصر و لم يكن بإمكانى ذلك، فهيّأت له تقريرا حمله معه وذهب إلى مصالي، وقلنا له أن هناك في ليبيا مخازن أسلحة لابد من أن نفعل شيئا، الأخ صالح بإمكانياته ذهب وعاد، بعد ذلك الأخ المرحوم بودا أنبأنا بأن ميصالى قد أخبرهم وحثّهم على محاولة استغلال هذه الأسلحة شراؤها وتخزينها ، ولم يحدث شيء من هذا على العموم.

المفاوضات التونسية ـ الفرنسية

المهم أنّني قلت بدأنا في التعاون، ولكن لم يطل بنا الوقت في هذا المجال حيث أنّ تونس دخلت في اتصالات مع الفرنسيين، و إخواننا المقاومون في تونس في 10 سبتمبر 1954 أكثريتهم قد ألقت السلاح، و في الواقع أصبحنا

نحن في مأزق، لأنّ مكتب تونس في طرابلس لم يكن قادرا على الإستمرار في تمرير الأسلحة إلى الداخل بعد أن سلّم المقاومون في تونس أسلحتهم، غير أن ما كان يتحدث عنه الأخ اليزيد بالأمس بأنّ المرحوم صالح بن يوسف عارض هذه الإتفاقيات وما حدث بعد ذلك في تونس بشهر أو بشهرين يعني بعد ديسمبر، وإبتداء من مارس 1955 باشر بورقيبة المفاوضات التي جرت في باريس ، وكان يتفاوض مع ادقار فور.

ونحن شعرنا بهذا، وعرفنا أن الفرنسيين أتوا ببورقيبة إلى باريس والوفد التونسي الذي كان يتفاوض مع ادقار فور. يقال أن بورقيبة كان في الوراء و في شهر مارس إدقار فور قرّر أن يلتقي به، و يدفع بالمفاوضات إلى الأمام، وفي جوان أعلن ذلك رسميا. ولكن نحن شعرنا بذلك لأنّ الأخبار كانت تتسرب إلينا حتى من أتباع صالح بن يوسف ولأنّ القضية بدأت تتّضح، وهناك من اتجه في نفس إتجاه العودة إلى السلم، ولكن هناك طبعا مثل الطاهرالأسود رحمه الله، منذ البداية في فبراير أو مارس 1955 لم يسلّم سلاحه؛ لأنّه كان يعلم أنّ هناك ما أسماه خيانة ولابد أن أذكر ما كان يسمّيه الطاهر، الذي كان على صلة بنا وكان ينبّهنا بأنّ شيئا ما يُدبّر حتى ضدّ الثّورة الجزائرية، ونحن كنّا في بلبلة في طرابلس، مثلا كيف نستمر في التعاون معه؟ لكن أتضح أن شوشان - رحمه الله - ومجموعة من إخواننا في مكتب طرابلس كانوا ضدّ الإتفاقيات هم أيضا، وشوشان استمر بعد ذلك مع صالح... الخ. فحافظنا على العلاقة بيننا.

المعارضة اليوسفية

وحدثت فترة أخرى والتي يمكن أن أسميها فترة ثالثة، وفترة تكوين معارضة صالح بن يوسف باختصار. جيش التحرير الذي كان على رأسه الطاهر والذي كان صالح زعيمه الروحي على الأقل...الخ، حدث بيننا وبينه تعاون وثيق وعميق جدا جدا، لدرجة أنّ الأسلحة التي كانت توجّه

للمقاومين في الأوراس آنذاك كنّا نقسمها تقريبا مناصفة مع جيش التحرير الذي كان على رأسه المرحوم الطاهر الأسود والذي انتقل إلى رحمه الله 1994. ولكن الإخوان كانوا يتولّون تأمين وتمرير هذه الأسلحة في الجنوب بأسلحتهم، ووصل الأمر إلى نشوب معارك مع بعض الوحدات الفرنسية التي كانت ماتزال في الأراضي التونسية، و تعترض قوافلنا و إخواننا الذين كانوا يرافقون القافلة من المجاهدين. و الأمر قد يطول في هذا المجال لأنّ في هذه الناحية توجد جوانب إيجابية وجوانب سلبية.

أنا شهدت وعشت الخلاف الذي حدث بين الأخ المرحوم صالح بن يوسف وبين الطاهر الأسود في ربيع 1956 بالضّبط، اختلفا في تسيير شؤون جيش التحرير داخل تونس، ونحن تدخلنا وأقنعنا الطاهر ـ رحمه الله ـ بالمجيء إلى طرابلس وشاركنا في مفاوضات جرت بين صالح والطاهر، وتوصل الطرفان تقريبا إلى اتفاق عن كيفية تسيير ومواصلة الكفاح داخليا، ثم لا أدرى أنا شخصيا ماذا حدث، لأنّ جماعة منّا رافقت الطاهر، محمد الهادي عرعار مسؤول من مسؤولينا في قاعدة ليبيا رافق الطاهر إلى الحدود لكي يعود إلى داخل تونس، وهناك جاء رسول من صالح بن يوسف يُبلغ الطاهر أنّه تراجع عن بعض بنود الإتفاق...الخ. والطاهر وقع له نوع من الإحباط وخيبة الأمل و هدّد أنّه سيدخل ويعيد سلاحه...الخ. تدخلنا مرة أخرى وأقنعناه بالعودة إلى طرابلس مرة أخرى وحاولنا من جديد أن يكون نوع من الإتفاق وأخفقنا في ذلك، و لم يستمر الطاهر طويلا وسلّم سلاحه.

مفاوضات بورقيبة ـ بن بلة

ومع ذلك بقيت بقايا من جيش التحرير التونسي استمروا معنا إلى أن حدثت مفاوضات بيننا وبين بورقيبة، لأنّ مفاوضات أجريت بيننا لإعادة ترتيب الأوضاع. والذي أجرى هذه المفاوضات هو الأخ بن بلة والكثير من النّاس لا يعرف هذا، في مرحلة معينة بعدما رجع الطاهر الأسود...الخ،

للمقاومين في الأوراس آنذاك كنّا نقسمها تقريبا مناصفة مع جيش التحرير الذي كان على رأسه المرحوم الطاهر الأسود والذي انتقل إلى رحمه الله 1994. ولكن الإخوان كانوا يتولّون تأمين وتمرير هذه الأسلحة في الجنوب بأسلحتهم، ووصل الأمر إلى نشوب معارك مع بعض الوحدات الفرنسية التي كانت ماتزال في الأراضي التونسية، و تعترض قوافلنا و إخواننا الذين كانوا يرافقون القافلة من المجاهدين. و الأمر قد يطول في هذا المجال لأنّ في هذه الناحية توجد جوانب إيجابية وجوانب سلبية.

أنا شهدت وعشت الخلاف الذي حدث بين الأخ المرحوم صالح بن يوسف وبين الطاهر الأسود في ربيع 1956 بالضّبط، اختلفا في تسيير شؤون جيش التحرير داخل تونس، ونحن تدخلنا وأقنعنا الطاهر ـ رحمه الله ـ بالمجيء إلى طرابلس وشاركنا في مفاوضات جرت بين صالح والطاهر، وتوصل الطرفان تقريبا إلى اتفاق عن كيفية تسيير ومواصلة الكفاح داخليا، ثم لا أدرى أنا شخصيا ماذا حدث، لأنّ جماعة منّا رافقت الطاهر، محمد الهادي عرعار مسؤول من مسؤولينا في قاعدة ليبيا رافق الطاهر إلى الحدود لكي يعود إلى داخل تونس، وهناك جاء رسول من صالح بن يوسف يُبلغ الطاهر أنّه تراجع عن بعض بنود الإتفاق...الخ. والطاهر وقع له نوع من الإحباط وخيبة الأمل و هدّد أنّه سيدخل ويعيد سلاحه...الخ. تدخلنا مرة أخرى وأقنعناه بالعودة إلى طرابلس مرة أخرى وحاولنا من جديد أن يكون نوع من الإتفاق وأخفقنا في ذلك، و لم يستمر الطاهر طويلا وسلّم سلاحه.

مفاوضات بورقيبة ـ بن بلة

ومع ذلك بقيت بقايا من جيش التحرير التونسي استمروا معنا إلى أن حدثت مفاوضات بيننا وبين بورقيبة، لأنّ مفاوضات أجريت بيننا لإعادة ترتيب الأوضاع. والذي أجرى هذه المفاوضات هو الأخ بن بلة والكثير من النّاس لا يعرف هذا، في مرحلة معينة بعدما رجع الطاهر الأسود...الخ،

بن بلة جاء خفية ذات يوم من روما إلى تونس، وتفاوض مع بورقيبة لمدة أربعة وعشرين ساعة تقريبا لتنظيم الوضع لنا مستقبلا في تونس، واشترطنا للّذين كانوا معنا من أتباع صالح بن يوسف أن يعطى لهم الأمان، ومن يريد أن يبقى معنا فله ذلك، ولذلك قال أحد المتدخلين من إخواننا التونسيين بالأمس أن جيش التحرير عندنا في الحدود طلب من هؤلاء إستظهار إسترخاسات من السلطة التونسية هذه قضية لا أعرفها، وأنا أعرف جماعة استمرت معنا في الكفاح حتى بعد أن توقفت المقاومة التونسية.

1- الشهادة منقولة عن شريط سمعي.

* مناضل من مناضلي حزب الشعب منذ 1944، طالب بالزيتونة، كان مطلوبا من طرف العدالة منذ 1948، فرّ إلى ليبيا وانضم بعد اتصال بن بلة إلى اللّجنة الثورية للوحدة والعمل، وعيّن مسؤولا على القاعدة الليبية من طرف مصطفى بن بولعيد، كلّف منذ سبتمبر 1954 بمهمة بفزان مع محمد بلحاج لوضع القاعدة الأولى لجيش التحرير المغاربي بليبيا.

بن بلة جاء خفية ذات يوم من روما إلى تونس، وتفاوض مع بورقيبة لمدة أربعة وعشرين ساعة تقريبا لتنظيم الوضع لنا مستقبلا في تونس، واشترطنا للّذين كانوا معنا من أتباع صالح بن يوسف أن يعطى لهم الأمان، ومن يريد أن يبقى معنا فله ذلك، ولذلك قال أحد المتدخلين من إخواننا التونسيين بالأمس أن جيش التحرير عندنا في الحدود طلب من هؤلاء إستظهار إسترخاسات من السلطة التونسية هذه قضية لا أعرفها، وأنا أعرف جماعة استمرت معنا في الكفاح حتى بعد أن توقفت المقاومة التونسية.

1- الشهادة منقولة عن شريط سمعي.

* مناضل من مناضلي حزب الشعب منذ 1944، طالب بالزيتونة، كان مطلوبا من طرف العدالة منذ 1948، فرّ إلى ليبيا وانضم بعد اتصال بن بلة إلى اللّجنة الثورية للوحدة والعمل، وعيّن مسؤولا على القاعدة الليبية من طرف مصطفى بن بولعيد، كلّف منذ سبتمبر 1954 بمهمة بفزان مع محمد بلحاج لوضع القاعدة الأولى لجيش التحرير المغاربي بليبيا.

تنسيق الكفاح المسلّح ميدانيا.
الفاعلون والممثلون

مراحل التضامن المغربي مع الكفاح المسلّح بالجزائر [1]

الطيّب الثعالبي *

كنت أتمنى في هذه المناسبة، أن يكون من الحاضرين هنا إخوان من جيش التحرير المغربي، ومن منظمة المقاومة الذين عشت معهم في الماضي برفقة الأخوين الشهيدين بوضياف و ابن مهيدي، وأذكر بالأخص زيادة عن الإخوان الحاضرين هنا السيد عبد السلام طود، والسيد امحمد بن سعيد، وفي الدرجة الأولى عبد الكريم الخطيب، الذي كان في ذلك الوقت رئيس جيش التحرير المغربي، ووالد السيدة الجالسة برفقتي احسن صفي الدين الملّقب "الأعرج"، وكذلك حسين برادة والكبتان أحردان، وقد تركوا لدي انطباعات قوية، زيادة عن لقائي معهم لتجديد الذاكرة بعد ما يقارب نصف قرن. الإنسان الذي عاش تلك الأحداث بعد نصف قرن يشبه حاله بشجرة قديمة ثمارها نقص ويوجد في وسط أوراق، ربما خلال نفضها لا تعطي ثمارا على الإطلاق. لذلك اعذروني إن لم أعط معلومات وافية، ولكن رغم هذا نظرا لضيق الوقت سأحاول التلخيص لكن في إطار الملموس والمحسوس. و قبل أن أتطرق إلى الموضوع الرئيسي الذي هو تنسيق الكفاح المسلّح، أود أن أقسّم حديثي إلى مرحلتين تجربتي مع الإخوان المغاربة أذكر خلالها مرحلة تنسيق الكفاح المسلح ، ومرحلة تضامن إخواننا المغاربة مع كفاح الجزائر المسلّح.

وضع الميصالية بالغرب الجزائري

ربما يتساءل الإخوان، لماذا ذهبت إلى المغرب؟ والذي لم أكن أفكر في الذهاب إليه، لما اندلعت الثورة كنت في مغنية بمدرسة حرة لحزب الشعب الجزائري، الذي ناضلت فيه لسنوات ، وكنت حديث العهد بالخروج من السجن و ممنوعا من ارتياد المدن الكبرى

Dix ans d'interdiction de séjour pour atteinte à la souveraineté française.

لم أكن لوحدى من تعرض لهذا المنع، إنّما بالمئات وربما بالآلاف من المناضلين من عرف هذه الوضعية، ومن حسن الحظ كنت هناك وتعرّفت عن قرب بالأخوين المجاهدين - رحمهما اللّه - بوصوف و ابن مهيدي، عملت معهما لمدة ووضعا ثقتهما بي، وطلبا مني المساعدة على محاربة المصالية في مغنية، هذه هي المهمة الرئيسية التي كُلفت بها وكذلك التنسيق بينهما وبين بيطاط، لأنّ المناطق كانت معزولة عن بعضها البعض.

على كل حال كانت المصالية منتشرة بكثرة في جهة مغنية المعروفة بكثرة المناضلين، وحركة حزب الشعب قوية بها، كما كانت في سكيكدة، وبسوق اهراس ومدن أخرى يعني ذكرت المدن البارزة ، ولما جاءت الثورة تعرقلت وتعطّل الكفاح المسلّح، لأنّ المصاليين يقولون بأنّ مصالى هو الذي يعلن الثورة، وحتى لما بدأت العمليات لم يصدّقوا لأنّه في الواقع عدد قليل بدأ في هذه العملية في الجهة الغربية وفي الغالب في جهة الحدود، عندما نخاطبهم يقولون لنا لستم أنتم من يقوم بهذه العمليات، وفي هذا الصدد تحضرني نكتة، بمنطقة جبالة ضواحي ندرومة وقع نقاش بين أحد أعضاء جيش التحرير و أحد أنصار مصالي، قال الثاني بأنّه كثر الحديث عنّا، فقال له الأول أتريد البرهان؟ فأجابه أرني، وكان من حسن الحظ في ذلك الكوخ(قوربي) توجد خمسة إلى ستة قطع من السلاح تمّ تغطيتها بغطاء الفراش لمّا كشف له عنها، قال له «أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمد

رسول الله، الآن صدّقت أنّكم حقا أصحاب الثورة». وفكّرنا أن نبحث في المصاندة، والخميس، وامسيردة الفوقة، وامسيردة لتحاتة، كل مرة نغطي السلاح بالغطاء لكي يقتنعوا، ولا أطيل في هذه المرحلة.

علاقة الثعالبي مع بن مهيدي وعبان

أنا أركّز عمدا على جهادي مع الأخ ابن مهيدي و ربما الإخوان يرونه أمرا جديدا، وكذلك التنسيق مع بيطاط لتبادل المعلومات والإطلاع على الوضعية ولتشجيع بعضهم، وبخصوص "المصالية" في البداية كانت متسلّطة على العاصمة، وكان بيطاط دائما يطلب النجدة ويقول لي قل لحكيم "من الأفضل أن يترك بوصوف هناك ويأتي إلى هنا"، وحكيم هو ابن مهيدي، مرة "الحكيم" ومرة أخرى "الصادق" وهكذا ... الخ.

وبعد إلقاء القبض على بيطاط، قال لي «الجماعة على علم أنّك تعرف عبان وناضلت معه لذلك يجب أن تربط معه اتصال، وهو حديث الخروج من السجن ومتواجد بالعاصمة» وفعلا وقع هذا الأمر، وأنا فيما بعد استحليت العمل مع عبّان، وتمّ التفاهم بيننا على تهيئة ظروف العمل في البليدة. وجئت إلى البليدة ولكن فيما بعد تصل رسالة إلى بوضياف مفادها «أنّنا بحاجة إلى العناصر التي تحسن الكتابة بالعربية وتتكلم بالعربية في صوت العرب»، وبن مهيدي ـ يرحمه الله ـ قال لي «أنني اقترحتك أنت»، فقلت له «بأنّنى نظّمت أموري مع عبان»، قال «أنت مناضل تابع لنا وليس لعبان»، وهكذا طلب منى أن أذهب إلى تطوان ومن هناك إلى القاهرة.

وعندما وصلت إلى هناك، التقيت بالمرحوم بوضياف و لم أكن أعرفه عن قرب، وعندئذ تكوّنت العلاقة بيننا كما تكوّنت مع بن مهيدي الذي سرعان ما توطّدت علاقتي به وكنت أعرفه عن بعد، كما يقال وقع الإنسجام وكنا نلتقي في اللّيل في أحد الفنادق في النادور، يقال له فندق بوعلال مالكه من

حزب الإصلاح لعبد الخالق الطريس، دائما في سهراتنا وفي وقت الفراغ نتناقش حول مستقبل الجزائر، ووحدة المغرب العربي، والكفاح المسلّح، وكل ما سبق ذكره هو مدخل والآن أصل إلى صلب الموضوع.

تنسيق الكفاح المسلّح مع المغاربة

عندما وصلت إلى هناك عرفت أنّ العمل هو إستقبال السلاح، البحث عن السلاح، تنسيق الكفاح المسلّح مع الإخوان المغاربة، في بعض الأحيان يكون الإجتماع في الناضور، والأحيان الأخرى في تيطوان، كلما تحين هذه المناسبات كعملية إنزال الأسلحة، و عملية تقسيم الأسلحة الآتية من الشرق ومن أسبانيا، وحضرت مرّة على كل حال مع المرحوم بوضياف، والأخ الدكتور عمار بن عودة آنذاك كان موجودا في مدريد، إن كان حاضرا ربما لديه تفاصيل عن هذا الأمر.

وبخصوص ما يهمّني هي الإجتماعات التي كانت بين الإخوان الذين ذكرتهم من قبل والأخوين بوضياف وبن مهيدي، وتعقد جلسات في بعض الأحيان ساخنة، لماذا ساخنة ؟ لمّا اندلعت الثورة كانت ضدّ الاستعمار وكذلك ضدّ الحزب الذي انشق وانقسم إلى مصاليين ومركزيين، والأمر الذي فكرت به الجماعة هوالإحتياج إلى عناصر جديدة من أجل الكفاح، ويتّم التفاهم فيما بينهم، وقد أخبروهم بأنّهم إذا لم يسيروا معنا في الحين سيلتقون في السجن على "القاميلة"، و الإستعمار إذا كانوا مصاليين أو مركزيين سيجمعهم. إذن كانت توجد تبعية للأحزاب.

الإخوان من المقاومة المغربية الذين ذكرتهم من قبل، و إستراتجية جبهة مغربية، ربما إذا تحصّل المغرب على الإستقلال يتوقف هؤلاء عن الكفاح المسلّح تحت تأثير الحزب الذي ينتمون إليه وتبقى الجزائر لوحدها، وفي الحقيقة لم يطل الوقت وحصل هذا، وتحمّلت عدة صدمات لكن تلك

الصدمة من أكبر الصدمات التي أصابتني، وكذلك لما قرّر ابن مهيدي أن يدخل إلى الجزائر دخل ساخطا على الخارج لأنّ السلاح كان غير كافٍ، ولا يصل وحدثت خصومات ...الخ ، وأنا قلت له من الأحسن أن لا تدخل، لأنّ عملك في الولاية الخامسة وكذلك عبان لديه من يعتمد عليه، وكتب رسالة إلى عبان أذكر العبارة التي كتبها له:

-Nous sommes des âmes soeures.

وقلت له:

-Pourquoi, et nous, est-ce que nous ne sommes pas des âmes soeures?

نحن كذلك معك.

إعتمدنا على أنفسنا وحسبنا حسابنا، لمّا الإخوان المغاربة أوقفوا المقاومة، وكان المرحوم بوضياف جد حريص على تأسيس جريدة، و أنا كنت حريصا على تأطير الجزائريين الموجودين في المغرب لكي يكونوا واسطة بيننا وبين الشعب المغربي و يتغلغلوا في وسطه لنضمن تضامنه معنا، وأضفنا لحسابنا الملك، وكنا من قبل نتعامل مع أصحاب المنظّمة وقد خضعوا للملك لذلك يجب أن نعمل معه. وفعلا تأسّست جريدة "*المقاومة الجزائرية*"، وعملنا جولة في المغرب، جميع المدن التي يقطن بها الجزائريين قمنا بهيكلتها ووزّعنا المهام، المكلفين بجمع المال والسلاح والاستعلامات، والأخ منصور الحاضر معنا كان مكلّفا بالسلاح، والأخ هارون الذي لا أعرف إن كان حاضرا معنا كان مكلّفا بالجريدة، وهيكلنا الجزائريين، ووقعت اتصالات مع الملك، أوّل اتصال كان حين كتب آيت احمد رسالة من القاهرة أعطاها للمرحوم محمد بوضياف، وأعطاني إياها لترجمتها وللذهاب لرؤية الملك، وفعلا تلك الرسالة ترجمت ووصلت إلى الملك.

و حسب ما روى لنا السيد المرحوم محمد خطّاب الذي كان صديق للملك، والذي كان واسطة بيننا وبينه ،أخبرنا أنّ الملك لمّا قرأها بكى؛ لأنّ

آيت احمد قارن بين قضية فلسطين وقضية الجزائر، وقال له إن لم تساعدوا الجزائر سيكون مصيرها مصير فلسطين ومصير الأندلس، بناءً على هذا حدث اتصال بيننا وبين الملك وكان صدفة، بعدما سلّمت الرسالة غِبت لأنّنى كنت في مهمة، وجاءني فيما بعد خطاب أخبرني بأنّ الملك يريد رؤيتي، والوقت كان قد مضى ولكن الدكتور الخطيب لم يعتبر ذلك مشكلا، وعلى حين غرّة في أحد الأيّام قال لنا «ستذهبون حالا لرؤية الملك»، قلنا «انتظر حتى نغيّر لباسنا»، قال «تعالوا كما أنتم ،أنتم جزائريون ولا وجود لبرتوكول»، ذهبت أنا بقميص ذو ذراعين، والسيد محمد بوضياف لم يكن برباط العنق، والملك استقبنا بفرح وببساطة.

ومرة أخرى أعطيكم صورة عن عنايته، أخبره مهدي بن بركة الذي كان بأمريكا بأنّ الأمريكيين بدأوا يهتمون بالقضية الجزائرية، الملك فرح وبعث لنا الغزاوي مدير الأمن الذي أتى لكي يوصلنا إلى الملك بالسيارة، وظنّنا أنّه رفقة من يركب معه إلى الأمام، ركبت أنا وأحد عناصرنا من الوراء، وعندما انطلقنا كان لوحده، فخجلنا أن يكون مدير الأمن سائق للسيارة التي تَقلنا، قلنا له توقف لكي يركب أحدنا من الأمام، قال أبدا إنّه شرف كبير ، لكن ما أطلبه منكم هو أن تشكروني عند سيدنا، قولوا له أن الغزاوى غير مقصّر معنا، قلنا هذا فقط لا تشغل بالك، و من خلال هذا عرفنا الإعتناء فلكي يتحبّب إلى الملك ويرضى عنه يجب أن يعتني بنا.

ربما يعطيكم السيد منصور التفاصيل حول هذه النقطة لأنّ الوقت ضيق، بلميلودي الذي كان مع بن حمو في الجنوب ويعطف عطفا كبيرا علينا أعطانا مركز خميسة، و الذي كنا نستعمله للتدريب والتأديب والتهريب، والسجع أتى صدفة وغير مقصود، والتدريب كنا ندرب فيه، ولتأديب العاصيين الذين لا يساعدون الثورة أو يعملون ضدها نسجنه هناك، ونقوم بعملية تهريب عناصرنا la légion étrangère ولما حدثت عملية إختطاف الطائرة إنقلبت الدنيا، وفي الرباط حدثت هستيريا إلى درجة أن وزير الداخلية كان

آيت احمد قارن بين قضية فلسطين وقضية الجزائر، وقال له إن لم تساعدوا الجزائر سيكون مصيرها مصير فلسطين ومصير الأندلس، بناءً على هذا حدث اتصال بيننا وبين الملك وكان صدفة، بعدما سلّمت الرسالة غِبت لأنّنى كنت في مهمة، وجاءني فيما بعد خطاب أخبرني بأنّ الملك يريد رؤيتي، والوقت كان قد مضى ولكن الدكتور الخطيب لم يعتبر ذلك مشكلا، وعلى حين غرّة في أحد الأيّام قال لنا «ستذهبون حالا لرؤية الملك»، قلنا «انتظر حتى نغيّر لباسنا»، قال «تعالوا كما أنتم ،أنتم جزائريون ولا وجود لبرتوكول»، ذهبت أنا بقميص ذو ذراعين، والسيد محمد بوضياف لم يكن برباط العنق، والملك استقبنا بفرح وببساطة.

ومرة أخرى أعطيكم صورة عن عنايته، أخبره مهدي بن بركة الذي كان بأمريكا بأنّ الأمريكيين بدأوا يهتمون بالقضية الجزائرية، الملك فرح وبعث لنا الغزاوي مدير الأمن الذي أتى لكي يوصلنا إلى الملك بالسيارة، وظنّنا أنّه رفقة من يركب معه إلى الأمام، ركبت أنا وأحد عناصرنا من الوراء، وعندما انطلقنا كان لوحده، فخجلنا أن يكون مدير الأمن سائق للسيارة التي تَقلنا، قلنا له توقف لكي يركب أحدنا من الأمام، قال أبدا إنّه شرف كبير ، لكن ما أطلبه منكم هو أن تشكروني عند سيدنا، قولوا له أن الغزاوى غير مقصّر معنا، قلنا هذا فقط لا تشغل بالك، و من خلال هذا عرفنا الإعتناء فلكي يتحبّب إلى الملك ويرضى عنه يجب أن يعتني بنا.

ربما يعطيكم السيد منصور التفاصيل حول هذه النقطة لأنّ الوقت ضيق، بلميلودي الذي كان مع بن حمو في الجنوب ويعطف عطفا كبيرا علينا أعطانا مركز خميسة، و الذي كنا نستعمله للتدريب والتأديب والتهريب، والسجع أتى صدفة وغير مقصود، والتدريب كنا ندرب فيه، ولتأديب العاصيين الذين لا يساعدون الثورة أو يعملون ضدها نسجنه هناك، ونقوم بعملية تهريب عناصرنا la légion étrangère ولما حدثت عملية إختطاف الطائرة إنقلبت الدنيا، وفي الرباط حدثت هستيريا إلى درجة أن وزير الداخلية كان

التموين والتسليح
وتضامن المغاربة

منصور أبو داود*

شهادتي تتلخص حول الفترة التي كنت مسؤولا خلالها عن التسليح والتموين في المغرب، وعلاقاتنا مع جيش التحرير والمقاومة، والإعانات التي قدمت لنا من طرف هذه المنظّمات، والشعب المغربي، والقصر الملكي.

أولا المراكز التي تكوّنت في المغرب لتدريب جيش التحرير، تمّ إهداؤها لنا من طرف إخواننا بجيش التحرير المغربي، منهم العقيد ببلميلودي، وكذلك العقيد ابن حمو، و ادريس بن عشيق، و ادريس العلوي، والكثير من الإخوة الآخرين الذين عشت معهم وذهبت معهم حتى الصحراء، وعندما أقول الصحراء أعنى أغادير، وطنطا، وبوليمي، وأم لحسان وغيرها، زيادة عن السّلاح والمراكز التي أهدوها لنا، ساعدونا كثيرا فيما يخص

التموين والتسليح
وتضامن المغاربة

منصور أبو داود*

شهادتي تتلخص حول الفترة التي كنت مسؤولا خلالها عن التسليح والتموين في المغرب، وعلاقاتنا مع جيش التحرير والمقاومة، والإعانات التي قدمت لنا من طرف هذه المنظّمات، والشعب المغربي، والقصر الملكي.

أولا المراكز التي تكوّنت في المغرب لتدريب جيش التحرير، تمّ إهداؤها لنا من طرف إخواننا بجيش التحرير المغربي، منهم العقيد بلميلودي، وكذلك العقيد ابن حمو، و ادريس بن عشيق، و ادريس العلوي، والكثير من الإخوة الآخرين الذين عشت معهم وذهبت معهم حتى الصحراء، وعندما أقول الصحراء أعنى أغادير، وطنطا، وبوليمي، وأم لحسان وغيرها، زيادة عن السّلاح والمراكز التي أهدوها لنا، ساعدونا كثيرا فيما يخص

الجنود الذين كانوا في الجيش الفرنسي ثم التحقوا بالجيش المغربي وفي الاستقلال أعدنا تجميعهم وتسليحهم، وأستطيع أن أقول لكم أنّ كل السّلاح الذي وصل إلى هذا المركز والذي التحق به الجزائريون بالمقاومة كان من طرف جيش التحرير والمقاومة، زيادة على هذا الأمر، ربما الإخوان المغاربة الحاضرون معنا مطّلعون على الباخرة "la chédite" والمتفجّرات التي اشتريت من أسبانيا.

لما تحقّق الإستقلال المغربي اتصلوا بالأخ محمد بوضياف و أخبروه بوجود هذه الباخرة على الحدود الأسبانية، وإذا كنّا محتاجين إليها ندفع ونأخذ. حقيقة أدخلنا تلك الباخرة بتاريخ 21 أكتوبر 1956 ليلة اختطاف الطائرة، أدخلنا ستين طنّا من حمولة الباخرة، والقليل من حمولتها استعمل هنا بالعاصمة، لأنّه في ذلك الوقت كانت لتزال شاحنات البضاعة تدخل من المغرب إلى الجزائر وقمنا بتزوير ألواح ترقيم الشاحنات وأدخلناها إلى هنا.

هذا فيما يخص الجيش والمقاومة، زيادة على هذا أضيف تضامن الشعب المغربي، أذكر في الأعياد كل صوف الأغنام عبر المغرب تمّ جمعها و بيعها وإعطاء ثمنها لجبهة التحرير.

وفيما يخص القصر الملكي، أنا أشهد كمسؤول عن التموين والتسليح، بأنّهم أعطونا كميات كبيرة من الأسلحة، وأستطيع أن أتكلم عن عملية واحدة، أنا تسلمت في غابة تقع شمال الرباط تسمى دار السلام ،خمسة آلاف بندقية منها رشاشات، وخمسة ملايين رصاصة، وكان الملك الحسن الثاني قد قال بأنّه لا يريد لأي رصاصة أن تسقط بالتراب المغربي، وإياكم أن يصل الخبر إلى الفرنسيين، وقمنا بِعَد الأسلحة طول تلك الليلة وعندما بدأ بزوغ فجر اليوم التالي، بدأنا بِعَدّ الرصاص "القرطاس"، حضر كابيتان من

الجيش الملكي، وقال لي «يا سي منصور سيدنا أهداكم هذا ولماذا الحساب»، قلت له «يجب أن نقوم بالعد» ،فقال «اللّه يهديك ما يحسب غير المزلوط». قلت له «أحنا مزاليط اللّه غالب».

أنا لا أطيل عليكم ، لكن أحببت أن أقول أنّ الشيء الذي كان يربط مابيننا خلال الثورة أتمنى أن يرجع ونعيد أحياءه.

1- الشهادة منقولة عن شريط سمعي.

* أبو داوود محمد المدعو (منصور) ولد بتورڤة (بومرداس) 1926/12/24، مناضل حزب الشعب في تورڤة (بومرداس) سنة 1944، قطن بالجزائر سنة 1946، انضمّ إلى المنظّمة الخاصة في نهاية سنة 1947 بداية 1948 بالقصبة، كلف بمهمة سنة 1955 من طرف اعمران مسؤول المنطقة الثالثة (القبائل)، اتصل بمحمد بوضياف منسّق جبهة التحرير الوطني والطيّب الثعالبي المدعو (علال) الذي ينشط تحت مسؤولية هذا الأخير، مسؤول بالنيابة عن الدعم اللوجستيكي حتى سنة 1956، مسؤول مابين 1958-1959 عن قطاع التسليح بالغرب الجزائري، سنة 1960 تحت سلطة عبد الحفيظ بوصوف كان ضمن وزارة التسليح والمخابرات العامة MARG ثم وزارة التسليح والاتصالات العامة MALG حتى سنة1962 .

الإتفاقات بين جيش التّحرير المغربي وجيش التحرير الجزائري والخلافات المغربية ـ الجزائرية ما بعد الإستقلال

عبد الكريم الخطيب *

باسم اللّه الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خير المرسلين.
يقول الحق تبارك وتعالى في كتابه الحكيم

"يا أيها الذين آمنوا إستعينوا بالصبر والصلاة إنّ اللّه مع الصابرين، ولا تقولوا لمن يُقتل في سبيل اللّه أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون، ولنبلونّكم بشيء من الخوف والجوع ونقص في الأموال و الأنفس والثمرات، وبشّر الصابرين الّذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون، أولائك عليهم صلوات من ربّهم ورحمة وأولائك هم المهتدون." [1] صدق الله العظيم

السيدات الكريمات... السادة الكرام

بكل سعادة واعتزاز، يسرّني أن أساهم باسم أعضاء مجلس القيادة المركزية لجيش التحرير المغربي، في ندوتكم الوطنية هاته التي تلتئم اليوم لربط حاضرنا بفترة مجيدة من تاريخنا التليد، ومرحلة مصيرية منه شكلت بحق سراجا وهّاجا، وكانت فتحا مبينا تعبأت بها إرادة شعوب وأمم، واستيقظت بها همم مجتمعاتها، التي وجدت فيها مصباحها المضيء الذي أنار مسيرتها في دروب الجهاد والكفاح من أجل استرداد العزة وصون الكرامة وإثبات الذات.

ولن يفوتني في البداية أن أقف وقفة إجلال وأن أنحني إنحناءة تقدير وإكبار لأرواح شهدائنا الأبرار ومجاهدينا الأخيار الذين وهبوا حياتهم، وضحّوا بالغالي والنفيس في سبيل سيادة شعوبهم، ونصرة مبادئهم، وتحقيق مطامحهم، فكانت إرادتهم من إرادة الله التي لا تقهر، وتمّ بهم وعلى أيديهم نصر الحق المبين الذي وعد به سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، والذي تجلى في بزوغ نور الحرية والإستقلال ونهاية فترات الإحتلال والإستعمار.

إنّ مجرّد اختياركم عقد هذه الندوة المباركة تحت مضلة مؤسسة تحمل إسما بارزا من الأسماء التاريخية للثورة الجزائرية الشعبية، لبرهان على التواصل والتلاحم بين أجيال شعوبنا، التي تربط بين الماضي و الحاضر وتقيم البرهان والدليل على أنها خير خلف لخير سلف، بعد أن تسلّمت المشعل لمواصلة السعي لإحقاق الحق، وإزهاق الباطل وإعلاء كلمة الله.

إنّنا في المغرب قيادة ومجاهدون، نعتز جميعا بما تميّزت به علاقاتنا بشهيدنا المرحوم الرئيس محمد بوضياف، والذي كان لمعرفتنا المتينة ولصداقتنا الراسختين به، فضل استتباب ثقة كاملة بيننا، وفّرت لنا شروط مناخ الكفاح والنضال المبني على تضامن وتكامل شعوبنا الشقيقة والجارة، ودعّمت إيمانها بالقضية الوطنية لكل منها وتشبثها بالمبادىء السامية والأخلاق المثالية، التي أسهمت في تكوين أجيال واصلت المسيرة، وهي التي تتطلع اليوم إلى التكامل و الوحدة، وتنعم بنعمة الحرية والإستقلال.

أيّها السيدات والسادة، أيّها الحضور الكريم، إنّ هذه الندوة التي أبيتم إلا أن تقيمونها فوق أرض ارتوت بدماء شهداء أبرار، في معارك متواصلة أتت أكلها بفضل ربّها وتضحية أبنائها وبناتها، خلال مواجهات بطولية ومعارك ضارية جديرة بالإفتخار والإعتزاز، وبما تعرف به شعوبنا من شجاعة وقدرة على الصمود في وجه عدو شرس، لم تكن تعوزه الإمكانيات ولا الوسائل فكانت مقاومتنا له إنتفاضة تحريرية توحيدية حتى انتصر الحق وزهق الباطل، وحتى رفرفت رايات دولنا خفاقة في الآفاق.

ولن يفوتني في البداية أن أقف وقفة إجلال وأن أنحني إنحناءة تقدير وإكبار لأرواح شهدائنا الأبرار ومجاهدينا الأخيار الذين وهبوا حياتهم، وضحّوا بالغالي والنفيس في سبيل سيادة شعوبهم، ونصرة مبادئهم، وتحقيق مطامحهم، فكانت إرادتهم من إرادة الله التي لا تقهر، وتمّ بهم وعلى أيديهم نصر الحق المبين الذي وعد به سبحانه وتعالى عباده المؤمنين، والذي تجلى في بزوغ نور الحرية والإستقلال ونهاية فترات الإحتلال والإستعمار.

إنّ مجرّد اختياركم عقد هذه الندوة المباركة تحت مضلة مؤسسة تحمل إسما بارزا من الأسماء التاريخية للثورة الجزائرية الشعبية، لبرهان على التواصل والتلاحم بين أجيال شعوبنا، التي تربط بين الماضي و الحاضر وتقيم البرهان والدليل على أنها خير خلف لخير سلف، بعد أن تسلّمت المشعل لمواصلة السعي لإحقاق الحق، وإزهاق الباطل وإعلاء كلمة الله.

إنّنا في المغرب قيادة ومجاهدون، نعتز جميعا بما تميّزت به علاقاتنا بشهيدنا المرحوم الرئيس محمد بوضياف، والذي كان لمعرفتنا المتينة ولصداقتنا الراسختين به، فضل استتباب ثقة كاملة بيننا، وفّرت لنا شروط مناخ الكفاح والنضال المبني على تضامن وتكامل شعوبنا الشقيقة والجارة، ودعّمت إيمانها بالقضية الوطنية لكل منها وتشبثها بالمبادىء السامية والأخلاق المثالية، التي أسهمت في تكوين أجيال واصلت المسيرة، وهي التي تتطلع اليوم إلى التكامل و الوحدة، وتنعم بنعمة الحرية والإستقلال.

أيّها السيدات والسادة، أيّها الحضور الكريم، إنّ هذه الندوة التي أبيتم إلا أن تقيمونها فوق أرض ارتوت بدماء شهداء أبرار، في معارك متواصلة أتت أكلها بفضل ربّها وتضحية أبنائها وبناتها، خلال مواجهات بطولية ومعارك ضارية جديرة بالإفتخار والإعتزاز، وبما تعرف به شعوبنا من شجاعة وقدرة على الصمود في وجه عدو شرس، لم تكن تعوزه الإمكانيات ولا الوسائل فكانت مقاومتنا له إنتفاضة تحريرية توحيدية حتى انتصر الحق وزهق الباطل، وحتى رفرفت رايات دولنا خفاقة في الآفاق.

تِلكم كانت إخواني وأخواتي، الطريق والمنهج الذي سلكناه لتحقيق أفكارنا ومناهجنا، ولم يكن بالأمر الهيّن ولا اليسير، وهي الأهداف التي لجأنا في الماضي للعمل على تحقيقها، والتزمنا عن عقيدة وإيمان بالسير في رحابها وحماية مجالها، في فضاء ومضلة العزة والوحدة المصيرية لدول شمال أفريقيا، أي الجناح الغربي للوطن العربي (أعني دول المغرب العربي أو الدول المغاربية حسب لغة العصر).

هذه نظرة موجزة تخص جيل الإستقلال، وطريقة تفكير أجيال الكفاح والنّضال، لبلوغ هدف الوحدة الحقيقية التي تطرقنا إليها أيام الإنتفاضة التحريرية، وتداولنا حول تفاصيل قيامها على أسس راسخة لأنّنا لم نكن وقتها مجرد حاملي سلاح، ورجال كفاح لتحرير الأرض وصيانة الكرامة للإنسان المغاربي فحسب، ولكن كان هاجسنا أيضا الإعداد للمستقبل بكل متطلباته، وتحديد المراحل اللاحقة لضمان مراحله بأمل كبير، وتطلّع واسع وهادف لقيام وحدة المنطقة بكاملها، تماشيا مع مستلزماتها الجغرافية، وتكاملها الجهوي واللّغوي وعقيدتها الدينية فضلا عن ترابط وتجانس شعوبها.

وموازاة مع المبادرة الكريمة وتعميما للفائدة. أرى من الواجب رفع الحجاب عن الحدث الأساسي الذي شكل البذرة الأولى في موضوع الوحدة، وحدة جيش التحرير أولا ثم وحدة الشعوب التي تمنّينا جميعا قيامها وإعلانها.

لقد كان أول من اقترح الفكرة خلال الإجتماعات التنسيقية، وألحّ على اتخاذ موقف نضالي منها، ليقوم تخطيطها من الأساس على دعائم ثابتة وراسخة يتحرك الجميع في فضائها هو الأخ المجاهد أحمد بن بلة بمباركة الشهيد محمد بوضياف، ومازال عالقا بالبال وبأذهان إخواني أعضاء القيادة المركزية لجيش تحرير المغرب، الظروف الصعبة التي كان علينا اجتيازها جميعا كمسؤولين عن الكفاح المسلّح، سواء على الساحة المغربية أو الجزائرية. وبما أنّ الشهيد ـ رحمه الله ـ كان دائم الإقامة بالمنطقة الشمالية المغربية، فالنقاش معه كان متواصلا دون انقطاع حول كل المواضيع

تِلكم كانت إخواني وأخواتي، الطريق والمنهج الذي سلكناه لتحقيق أفكارنا ومناهجنا، ولم يكن بالأمر الهيّن ولا اليسير، وهي الأهداف التي لجأنا في الماضي للعمل على تحقيقها، والتزمنا عن عقيدة وإيمان بالسير في رحابها وحماية مجالها، في فضاء ومضلة العزة والوحدة المصيرية لدول شمال أفريقيا، أي الجناح الغربي للوطن العربي (أعني دول المغرب العربي أو الدول المغاربية حسب لغة العصر).

هذه نظرة موجزة تخص جيل الإستقلال، وطريقة تفكير أجيال الكفاح والنّضال، لبلوغ هدف الوحدة الحقيقية التي تطرقنا إليها أيام الإنتفاضة التحريرية، وتداولنا حول تفاصيل قيامها على أسس راسخة لأنّنا لم نكن وقتها مجرد حاملي سلاح، ورجال كفاح لتحرير الأرض وصيانة الكرامة للإنسان المغاربي فحسب، ولكن كان هاجسنا أيضا الإعداد للمستقبل بكل متطلباته، وتحديد المراحل اللاحقة لضمان مراحله بأمل كبير، وتطلّع واسع وهادف لقيام وحدة المنطقة بكاملها، تماشيا مع مستلزماتها الجغرافية، وتكاملها الجهوي واللّغوي وعقيدتها الدينية فضلا عن ترابط وتجانس شعوبها.

وموازاة مع المبادرة الكريمة وتعميما للفائدة. أرى من الواجب رفع الحجاب عن الحدث الأساسي الذي شكل البذرة الأولى في موضوع الوحدة، وحدة جيش التحرير أولا ثم وحدة الشعوب التي تمنّينا جميعا قيامها وإعلانها.

لقد كان أول من اقترح الفكرة خلال الإجتماعات التنسيقية، وألحّ على اتخاذ موقف نضالي منها، ليقوم تخطيطها من الأساس على دعائم ثابتة وراسخة يتحرك الجميع في فضائها هو الأخ المجاهد أحمد بن بلة بمباركة الشهيد محمد بوضياف، ومازال عالقا بالبال وبأذهان إخواني أعضاء القيادة المركزية لجيش تحرير المغرب، الظروف الصعبة التي كان علينا اجتيازها جميعا كمسؤولين عن الكفاح المسلّح، سواء على الساحة المغربية أو الجزائرية. وبما أنّ الشهيد ـ رحمه الله ـ كان دائم الإقامة بالمنطقة الشمالية المغربية، فالنقاش معه كان متواصلا دون انقطاع حول كل المواضيع

والتفاصيل المختلفة سواء بالناضور أو بتطوان. لكن النقط التي كانت مطروحة في هذه المرحلة كانت مصيرية لأهميتها، تتطلب قرارات واضحة ومواقف شجاعة، في وقت كان فيه المغرب منهمكا في آخر الإستعدادات لانطلاقة جيش التحرير في الثاني من أكتوبر 1955، وجبهة التحرير الجزائرية منغمرة هي الأخرى في الإعداد لانتفاضة جبهة وهران بكل مخاطرها وأهوالها التي يسهر عليها رفيق الكفاح المجاهد الشهيد العربي بن ميهيدي، وتواجد الأخوين أحمد بن بلة ومحمد بوضياف بمنطقتها للمشاركة في التحضيرات الأخيرة قبل الإنطلاقة التي كان مبدئيا مقررا لها تاريخ واحد حتى يعطي للعملية الوحدوية مدلولها الحقيقي المرغوب فيه.

وقد أفضى إلي الشهيد رحمه الله أنّ الأخ أحمد بن بلة كان يريد طرح نقطتين هامتين لم يشر إليهما، لكن الأمور كانت قد سلكت مسلكها المرغوب فيه ومع ذلك فهو يود إثارتهما وبطبيعة الحال لم يمانع في ذلك أحد، فأخذ الأخ بن بلة الكلمة ليقول: «إن المسألة تتعلق بمستقبلنا جميعا، مسألة توحيد المجاهدين والمكافحين وجعلهم تحت مسؤولية واحدة موحدة، وذلك بتكوين جيش تحرير لكل مناطق شمال إفريقيا، وهذا المبتغى يدفعنا بطبيعة الحال إلى التفكير منذ الآن في الإعلان عن هذه الوحدة الشاملة لكل المناطق التي ننتمي إليها»، فتدخل الأخ الشهيد محمد بوضياف تدخلا طويلا، أوضح فيه الدوافع التي أوجبت طرح الموضوعين المذكورين، والمنافع التي ينتظر أن تترتب عنها لكل المنطقة وشعوبها، وختم كلامه بوجوب تحديد جلسات خاصة لمتابعة المناقشات حولهما ابتداء من اليوم الموالى، الأمر الذي باركه الجميع.

فكانت الجلسة الأولى بمنزل الأخ حسن بن عبد الله حضرها الإخوة السادة أحمد بن بلة و محمد بوضياف عن الجبهة الجزائرية، وعن القيادة المركزية الدكتور الخطيب، و الحسين برادة، و سعيد بونعيلات، و الغالي العراقي، ورب المنزل معناه حسن صفي الدين المدعو "حسن العرش"، تقدّم خلالها الطرف الجزائري بورقة عمل، تتعلق بجيش تحرير يتكون من المجاهدين المغاربة والجزائريين والتونسيين، تحت قيادة جماعية مشتركة

تشكل فرقة ، وتدرّب بالمغرب وتونس، قبل أن تلتحق بالمناطق المحرّرة سواء بالتراب المغربي أو الجزائري، على أن يستمر النّضال إلى أن تحصل الدول الثلاث على استقلالها التام، وبطبيعة الحال يجب أن تحدد المسؤوليات والواجبات والمتطلبات، لأنّ المعركة ستكون دون ريب طويلة، يجب أخذ واقعها بعين الإعتبار، أما المنطقة الثانية في ورقة العمل، فكانت متعلقة بالإعلان عن الوحدة السياسية لشمال إفريقيا تضم الدول الثلاث (المغرب، الجزائر، تونس)، كهدف منشود يعمل الجميع على تحقيقه وبناء أسسه ابتداء من الآن، تم الترسّل في توضيح أسسها وتحليل جوهر الفكرة، وختم الإقتراح بالمناداة بمحمد الخامس الملك المجاهد رئيسا لهذه الوحدة ورائدها، فجاء رد الدكتور الخطيب على هذا الإقتراح حماسيا وإيجابيا معدّدا المزايا والمكاسب التي يمكن أن تجنيها وتستفيد منها الحركة التحريرية الموحدة بقيادة الملك المكافح.

ونظرا لطول التدخلات، وتوضيح بعض الملابسات وبعد أخذ ورد، تدخل حسن بن عبد الله ليطلب دراسة الموضوع الأول دراسة شافية، وتأجيل الموضوع الثاني إلى جلسة الغد نظرا لأهميته، وعند افتتاحها في اليوم التالي بحضور نفس الأشخاص وفي نفس المكان، تعرض الشهيد لاقتراح الأمس من جديد معلقا بأنّ قيادة هذه الوحدة المقترحة رئاستها سوف تكون دوريا لمدة معينة قابلة للتجديد ونحن مستعدون يقول الشهيد محمد بوضياف بموافقتنا على أن إسناد قيادتها لمحمد الخامس ملك المغرب المجاهد، فجاء رد الجانب المغربي على لسان حسن بن عبد الله الذي قال ما معناه، أنّنا نعمل جميعا منذ أن قرّرنا خوض معركة التحرير كل في حدود اختصاصاته و مسؤوليته، و لم يحاول أحد منا تغيير فكرة القيادة الجماعية التي ننهجها منذ أيامنا الأولى... وبما أنّ هناك الآن فكرتين جديدتين، فنحن نشاطركم مضمونها ونؤيّد مبدأها...لأنّنا نعتز بموقفكم تجاه الملك المجاهد، لكن هذا يفرض علينا أن نكون واضحين معكم، لأنّنا نعتبر أن إعلان الوحدة، يجب أن يخضع لدراسة خاصة وعميقة من طرف الجهات المختصة، إلى غير ذلك من المتطلبات والإستحقاقات، حتى لا نسير في طريق

الإرتجال، كما أنّنا لسنا وحدنا المعنيين بهذه الخطوة الهامة، لذا اقترح باسم رفاقي أن نتفرغ لدراسة تكوين جيش تحرير المغرب الكبير، لأنّها مسألة مستعجلة، ولنترك النقطة الثانية رغم أهميتها وأولويتها إلى أن تسمح الظروف وتتضح الرؤية حول مصير الملك المجاهد.

لقد سقت سيداتي وسادتي، هذه النقط لتدركو أنّ فئة المجاهدين المناضلين، كانت دائما تخطط وتبحث وتدرس الوسائل والإمكانيات للتعجيل بالاستقلال والحرية، وهذا ما يسمح لي بالإشادة بجيل الإستقلال في الدول الثلاث، والإعلان عن فخرنا واعتزازنا بالخطوات التي أنجزت والمكتسبات التي حققت على الصعيد الوطني لكل من بلداننا، وإن كان لا يزال الشعب يتطلع إلى تحقيق الكثير من الطموحات التي يفترضها تقدمه الإقتصادي والإجتماعي والسياسي لمواكبة متطلبات العصر الراهن، وإذ تبقى هذه طموحات و تطلعات، فإنّنا نتمنى أن يوفق المسئولون عندنا جميعا للعمل على تهيئ المناخ المناسب لتجسيدها على أرض الواقع، إستجابة لآمال شعوبنا المعقودة على قيام وحدة فعلية تنطلق من وحدة مصيرنا جميعا، وتسمح بتعاوننا وتداخلنا، وحرية تنقلاتنا بين أقطارنا دون اللّجوء إلى طلب تأشيرة العار....وما ذلك على الله وعلى همتنا المغاربية بعزيز.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

نيابة عن القيادة المركزية لجيش التحرير المغربي

الدكتور عبد الكريم الخطيب

1—الآية 153-157 من سورة البقرة

*طالب بجامعة الجزائر كلية الطب 1941- 1945 وخلالها نائبا للرئيس الأوّل لجمعية طلبة مسلمي شمال إفريقيا، سنة 1951 مسؤولا عن التّنسيق بالمنطقة الوهرانية كبعد للثورة المغربية وعضوا بالحكومة المغربية بعد استقلال المغرب، اتصل في تيطوان مع بن المهيدي وبوضياف سنة 1954 للتنسيق الميداني للثورة الجزائرية ومن ضمن المحضّرين لعملية الباخرة دينا 1955 وأطوس سنة 1956.

السلام 4-10-1992 عدد 615

ملحق

كل ما سبق الكلام عنه كان تفكيرا نظريا، وأمالا وتمنيات لشعوبنا، ورغبتنا في توحيد شمال إفريقيا بدولها الثلاث المغرب والجزائر وتونس.

ولكن على أرض الواقع ما تحقق من تضامن وتعاون، قبل انطلاق جيش التحرير الجزائري بمنطقة وهران كان عظيما وفاعلا، برهن على الأخوّة التي تربط شعوبنا.

أوّلا: الإخوان الجزائريون القاطنون آنذاك بالمنطقة الشمالية للمغرب، والتي كانت تحت سيطرة الدولة الإسبانية، أعطيت لهم جوازات مغربية صادرة عن المندوبية الملكية بطنجة التي كانت تتمتع بصفتها الدولية.

ثانيا: عملية إنزال السلاح القادم من الشرق بمنطقة رأس كبدانة، ونقل الثلثين منه إلى الحدود الجزائرية بمساعدة مغاربة، ساهموا بدون خوف ولا وجل في حمله مع إخوانهم الجزائريين الذين كانوا يوجدون بعين المكان.

ثالثا: بعد إستقلال المغرب، أرسلت تجريدة من المجاهدين المغاربة مكونة من 140 مقاتل مسلّح ليلتحقوا بإخوانهم الجزائريين في جبهات القتال.

رابعا: تم فتح مراكز للتّدريب وصنع الأسلحة، بجميع المناطق المغربية وكذا تنظيم حفلات ومهرجانات لجمع الأموال للشعب الجزائري، ولم يبخل الشعب المغربي بنسائه ورجاله في جمع الأموال لإخوانه المجاهدين الجزائريين.

خامسا: كان الإتفاق بين جيش التحرير المغربي وجيش التحرير الجزائري، يقضي بأن نستمر في الكفاح حتى تحرير شمال إفريقيا، وطرحنا عدة سيناريوهات منها أنه إذا استقلت دولتنا تصبح قاعدة لمساعدة الجزائر. فلمّا حصلنا على الإستقلال أبلغت جلالة الملك محمد الخامس طيّب الله ثراه بالإتفاق، فتعهد بإعانتهم وأوفى بعهده. وأتذكر أنّه لما سلّم له جيش التحرير المغربي ما كان في حوزته من أسلحة، اختار منها ما كان صالحا وحديثا ووضعه في القصر الملكي. وكنّا نأتي إلى القصر بشاحنات صغيرة في منتصف الليل، فيعمد إلى المخازن بيديه ويسلّم السلاح والعتاد للجزائريين ولجيش الصحراء خفية من حكومته. وعندما ترأس امبارك البكاي الحكومة، طلب منا الجزائريون رخصة لشراء كمية كبيرة من السلاح، فزرت جلالة الملك وأبلغته رغبة الجزائريين، ففكر طويلا وسألني، "إذا اشتريت السلاح بدون رخصة كم سيكلفك؟"

فذكرت له رقما، فنادى امبارك البكاي وقال له أعطه المال. فسلّمني ما يكفي لشراء الأسلحة، وكان المبلغ يقدّر بمئات الملايين. وفعلا، بذلك المال ومال آخر أتى به الجزائريون، إستطعنا شراء 2500 بندقية "بموزير" جلبناها للمغرب خفية، إذا كان ميناء طنجة ما زال تحت مراقبة القوات الدولية. وبعد ذلك نقلت رفقة الدكتور حافظ إبراهيم الأسلحة إلى ناحية تطوان وسلّمنا لمبروك بوصوف ليلا. واستمر الأمر على ذلك النحو، كلما رغب الجزائريون في السلاح يأتون إلينا، ولم يتغير موقف محمد الخامس رحمه اللّه أبدا. ومازلت أذكر أنّه في آخر عمره قال في مجلس وزاري ترأّسه بنفسه ، "إذا لم نكن قادرين على تزويد إخواننا بالسلاح علانية، فما هي قيمة استقلالنا." وفي ذلك اليوم كلف ضابطا بالذهاب إلى الخارج لشراء السلاح لفائدة إخواننا الجزائريون.

سادسا: بعد استقلال الجزائر بمدة قليلة، نشب النّزاع بين الإخوة الجزائريين بالداخل والخارج، حيث رغب جيش الحدود الذي كان يسمى أيضا جماعة تلمسان في دخول بنبلة وخيضر على رأسه إلى الجزائر. فنظمت إجتماعا في منزلي بالرباط حضره أحمد بنبلة، وقائد المنطقة الرابعة الكولونيل سي حسن وقائد المنطقة الثالثة أو الحاج محاند، وحاولت أن أوفق بينهما. وهكذا تقرر دخول الجيش إلى الجزائر عبر تلمسان وعلى رأسه بن بلة، وخيضر و بومديان، الذين ركبوا في سيارة من نوع مرسديس 300 كان يركبها محمد الخامس طيب اللّه ثراه.

سابعا: ما قاساه الشعب المغربي في شرقه من محن، حيث كانت تتهاطل عليه قنابل الجيش الفرنسي انتقاما من تضامنه وتعاونه مع المجاهدين الجزائريين. ولا ينبغي أن ننسى موقف الملك الراحل محمد الخامس عندما عرضت عليه الحكومة الفرنسية التفاوض حول الحدود المغربية الجزائرية، فرفض قائلا «لا أقبل أن أطعن كفاح إخواني المجاهدين الجزائريين. وسننتظر استقلال الجزائر لنتذاكر حول هذا الأمر.»، وكانت أمنيته طيب الله ثراه تتجلى في التوحيد وتكوين دولة واحدة بدون حدود وهو الشيء الذي لم يتحقق مع الأسف.

إن ما قام به الشعب المغار بي أثناء الكفاح الجزائري، كان عملا أخويا تضامنيا لم يكن ينتظر منه جزاءا ولا شكورا. بل كان تعبيرا عن المحبة والصداقة والأخوة بين شعبين شقيقين كانا موحدين تحت نير الإستعمار وكانا يتمنيان دوام الوحدة لبناء أمة قوية قادرة على الصمود ضد العدوان الخارجي وقادرة على بناء اقتصاد قوي لفائدة الشعبين وللإرتقاء نحو الإزدهار والسعادة.

الشعر والمقاومة بالجنوب المغربي

1956-1930

للاصفية العمراني*

تهدف هذه المداخلة التي نتشرّف بالمشاركة بها في أعمال هذه الندوة العلمية الهامة، التي أبت مؤسسة المشمول برحمته الرئيس محمد بوضياف تنظيمها حول "تاريخ جيش التحرير بمغربنا الكبير"؛ إلى تبيان دور المقاومة المسلّحة ضد الإستعمار الفرنسي في إظهار "شعر المقاومة" في الجنوب المغربي. وكيف أنّ العمل المسلّح أحدث شعورا لدى المبدعين والمبدعات الذين عرفوا وأرّخوا لكثير من المعارك التي خاضتها المقاومة المسلّحة المغربية بمنطقة الجنوب.

ففي إطار مشروع كتابة تاريخ المغرب المعاصر من خلال الوثائق والمصادر والمراجع الوطنية والمحلّية، كمادة رئيسية وأولى، ارتأينا، من خلال هذه المداخلة، إثارة حفيظة الدّارسين الأكاديميين والباحثين المهتمين إلى ما يمكن أن يأتي به الشعر ويضيفه إلى النصوص المكتوبة والمؤرّخة للحركة الوطنية ولعمل المقاومة المسلّحة، طيلة النصف الأوّل من القرن العشرين.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ما حفزنا للخوض في هذا الموضوع ومحاولة البحث فيه هو:

* كلّية الآداب والعلوم الانسانية، مراكش.

أولا: ما لاحظناه من النقص إن لم نقل انعدام دراسات شاملة ومعمّقة لهذا الشعر الذي واكب كل مراحل المقاومة المسلّحة المغربية بالجنوب منذ أن وطأت أقدام الإستعمار أرض الوطن.

ثانيا: أن الشعر الذي واكب هذه المرحلة التاريخية وصلنا في صيغ شفاهية أو مكتوبة، جمع البعض منه ودرس كإسهامات توثيقية ووصفية لهذه المادة الأدبية التارخية[1]، لكن ما صدر حتى الآن بقي غير تام وغير شامل .

لذلك، فإنّ إعادة كتابة تاريخ المقاومة المسلّحة والحركة الوطنية، لا يزال يتطلب جهودا جبارة من لدن الباحثين والمهتمين بهذا الموضوع، خاصة أمام الفراغ المرجعي الذي لا يزال يطال تاريخ المنطقة الجنوبية بصفة خاصة. فقد ظهرت دراسة خلال النصف الثاني من القرن العشرين، حول الشعر الوطني المغربي الذي قيل ونظم خلال الحماية، إلا أنّ هذه الدراسة اقتصرت على ما نظم وقيل باللّسان العربي الفصيح والدارج، ومع ذلك فإنّ عنوان الكتاب يوحي للقارئ بكون الدراسة تامة وشاملة[2] في حين أنّها تستثني الشعر الذي قيل ونظم بالأمازغية، فقد اكتفي الأستاذ السولامي إلى الإشارة فقط إلى وجود شعر وطني قيل باللّسان الأمازيغي في الريف والجنوب ووصفه بكونه ضئيلا أو مفقودا أو مندثرا: "فحين **يشنّ محمد بن عبد الكريم الخطابي، وأبطال الريف، حربا كاسحة على الإستعمار الإسباني... تهتزّ المشاعر لهذه الحرب التحريرية، وينفجر الشعراء بالدعوة لمؤزارة البطل الريفي منقذ الأمّة من الإحتلال...لكن الشعر الذي واكب هذه الحرب ضاع أكثر فلا نعرف منه غير مقطوعات قليلة، أناشيد وقصائد يشار إلى بيت فيها أو بيتين ثم لا نجد للباقي أثرا**"[3].

يأتي إذاً هذا العمل الذي نشارك به في أعمال هذه الندوة العلمية المخصّصة لتاريخ جيش التحرير بمغربنا العربي الكبير، ليبيّن أنّ الشعر - وللتذكير

سأقتصر في مداخلتي هذه على الشعر الأمازيغي - جدير بكل اهتمام وعناية من حيث الجمع والتدوين والدّراسة والتحليل، فهو بمثابة خزّان للمعلومات ومصدر هام لتاريخ المقاومة المسلّحة الوطنية. ذلك أنّ المناطق التي أتانا منها هذا الشعر، هي المناطق التي حمل أهلها السلاح ضد القوات الإستعمارية الغازية بعد معاهدة الحماية 1912.

كما أنّ لهذه النصوص الشعرية صبغة أساسية أخرى، وتتمثل في كون ناظميه وناظماته لا يبتغون من وراء قولهم ونظمهم إلا التذكير بالأحداث والوقائع، والإشادة بالمقاومين الذين رفضوا الاستسلام للمستعمر.

كما أنّ هذه النصوص الشعرية التي أفرزتها لنا المقاومة المسلّحة في الجنوب المغربي، تمكنا من مراجعة عدد من الأنظار التي تكوّنت عن المجتمع المغربي من خلال الدراسات الإستعمارية التي **"سعت إلى نزع كل قيمة عن المقاومة التي قامت بها القبائل المغربية لمواجهة جحافيل الجيوش الإستعمارية، فمرة تصور المقاومة كعمل من أعمال اللّصوص وقطّاع الطرق، ومرة أخرى كتمرّد للمنشقين، وأخرى تضعها في إطار "التعارض المزمن بين بلاد السيبة وبلاد المخزن"، أي أنّ المقاومة حسب زعم هذه المقولة عمل ينافي وحدة البلاد؛ وكان الهدف من هذا الطرح المغرض هو إبراز الدور الحضاري لفرنسا في المغرب الذي يتجلي في إحلال التهدئة محل الفوضى القبلية، وكذلك في توحيد البلاد"** [4].

وبما أنّ هذه الدراسات قد ركزت على القبائل لتوجه التاريخ أو تصبغه بصبغات مقصودة، فإنّ إعادة دراسة مقاومة هذه القبائل للإستعمار ضرورة منهجية بصفة مرحلية على الأقل، إضافة إلى هذا، فإنّ هذه الأشعار يمكنها أن تمدّ المؤرخ والباحث بمادة هامة تتعلق بالعادات والأعراف والمعارك، كما يمكن تحويلها كمادة للتحقيق.

ففي اعتقادنا، لا يجب البحث في الشعر الذي واكب مرحلة المقاومة

سأقتصر في مداخلتي هذه على الشعر الأمازيغي - جدير بكل اهتمام وعناية من حيث الجمع والتدوين والدّراسة والتحليل، فهو بمثابة خزّان للمعلومات ومصدر هام لتاريخ المقاومة المسلّحة الوطنية. ذلك أنّ المناطق التي أتانا منها هذا الشعر، هي المناطق التي حمل أهلها السلاح ضد القوات الإستعمارية الغازية بعد معاهدة الحماية 1912.

كما أنّ لهذه النصوص الشعرية صبغة أساسية أخرى، وتتمثل في كون ناظميه وناظماته لا يبتغون من وراء قولهم ونظمهم إلا التذكير بالأحداث والوقائع، والإشادة بالمقاومين الذين رفضوا الاستسلام للمستعمر.

كما أنّ هذه النصوص الشعرية التي أفرزتها لنا المقاومة المسلّحة في الجنوب المغربي، تمكنا من مراجعة عدد من الأنظار التي تكوّنت عن المجتمع المغربي من خلال الدراسات الإستعمارية التي **"سعت إلى نزع كل قيمة عن المقاومة التي قامت بها القبائل المغربية لمواجهة جحافيل الجيوش الإستعمارية، فمرة تصور المقاومة كعمل من أعمال اللّصوص وقطّاع الطرق، ومرة أخرى كتمرّد للمنشقين، وأخرى تضعها في إطار"التعارض المزمن بين بلاد السيبة وبلاد المخزن"، أي أنّ المقاومة حسب زعم هذه المقولة عمل ينافي وحدة البلاد؛ وكان الهدف من هذا الطرح المغرض هو إبراز الدور الحضاري لفرنسا في المغرب الذي يتجلي في إحلال التهدئة محل الفوضى القبلية، وكذلك في توحيد البلاد"** [4].

وبما أنّ هذه الدراسات قد ركزت على القبائل لتوجه التاريخ أو تصبغه بصبغات مقصودة، فإنّ إعادة دراسة مقاومة هذه القبائل للإستعمار ضرورة منهجية بصفة مرحلية على الأقل، إضافة إلى هذا، فإنّ هذه الأشعار يمكنها أن تمدّ المؤرخ والباحث بمادة هامة تتعلق بالعادات والأعراف والمعارك، كما يمكن تحويلها كمادة للتحقيق.

ففي اعتقادنا، لا يجب البحث في الشعر الذي واكب مرحلة المقاومة

والتصدي للمستعمر فقط عن مواطن الجمال والبلاغة والحس النبيل، ذلك لأنّ أغلب مواضيعه اجتماعية ملتزمة، فهو ليس بالشعر من أجل الشعر، بقدر ما هو تعبير صادق ومعبّر بكل موضوعية وواقعية عن معانات ساكنة المناطق الجنوبية ومقاومتها للإستعمار وأعوانه.

فقد اتخذ شعراء وشاعرات المقاومة الأمازيغ من الطبيعة مصدر صورهم وألوانهم في تعبيرهم الوطني؛ ولكنها ألوان لا تتراكم تراكما يخفي معالمها البعيدة. كما يقول الأستاذ الباحث الحبيب الفرقاني "**الشعر الأمازيغي يصنع حدثا، ويثير ثورة، فالشاعر الأمازيغي ببساطته الأخّاذة، ورقة معناه، وبقدرته على الفعل في النفوس والتأثير في الضمائر والوجدانات، لعب دورا هاما ومؤثرا ليس في مواكبته للأحداث السياسية والإجتماعية والإقتصادية وتطوراتها و حسب، إنّما أحيانا كثيرة في صنع الأحداث، في دفع عجلتها وإلهاب وقائعها، وشحن النّفوس بالحماس والفعل في هذه الأحداث والإنغمار المتحمّس فيها؛ حتى أحيانا ليكون للبيت الشعري الواحد، أو للمقطوعة الشعرية القصيرة أثر مباشر في تطوير حدث، أو تفجير غضب أو إلهاب ثورة ، أو إشعال حماس**"[5].

فقد عمل شعراء وشاعرات المقاومة المسلّحة في الجنوب المغربي على الدعوة إلى الجهاد، وتمجيد المقاومة المسلّحة وزعمائها، ومن هنا تكمن أهمية المادة الشعرية التي نظمت وقيلت بالأمازغية، وذلك في كونها تمكّنت من اختراق الحراسة الشديدة التي فرضتها القوات الإستعمارية الفرنسية للحيلولة دون تسرّب أخبار المعارك البطولية التي شهدتها جميع جهات المغرب شمالا وجنوبا، شرقا وغربا؛ خاصة وأنّ الإدارة الإستعمارية كانت تدّعي القدرة على ضبط تحركات القبائل، ومنع الإتصال فيما بينها. ومن هذا المنطق يمكن اعتبار شعر المقاومة بمثابة "الجريدة الرسمية التي لم تطلها رقابة المستعمر".

كما نستشف في هذه النصوص الشعرية التي أرّخت للمقاومة المسلّحة المغربية في الجنوب خلال العقود الأولى من القرن العشرين، الدور الطلائعي الذي لعبته المرأة الأمازغية في مناهضة الإستعمار؛ وأنّ دورها لم يقتصر على الأدوار التقليدية للمرأة أثناء المعارك، من مداواة، وتضميد الجروح، وجلب الماء وطهي الطعام، بل سنجد أنّ المرأة قد حملت السلاح. وجابهت المستعمر بالبارود والخناجر والحجارة؛ كما كانت تتسرّب إلى منابع المياه تحت وابل الرشاشات وتساعد الجرحى، وتوزع الذخيرة أو تأخذ مكان القتلى للمواجهة. وقد أكد الشعراء والشاعرات على هذا الدور البطولي في أشعارهم وقصائدهم، وذلك بإشادتهم بدورها المتميّز في ساحة المعارك، أو في رثاء اللواتي استشهدن من أجل تحرير الوطن. وقد أكّدت الكتابات الإستعمارية نفسها على هذا الدور البطولي، وكيف أنّ المرأة في معركة بوكافر[6] الخالدة تركت بصمات كفاحها خالدة في سجل تاريخ المقاومة المسلّحة ضد الإستعمار وأعوانه. وكيف أنّها **"كانت تتسلّل بشجاعة خارقة لموارد المياه تحت نيران رشاشاتنا وتسقط أغلبهن، لكن الباقيات تواصل مهامهن البطولية... وتحمسن المقاتلين بالزغاريد المدوية، كما يقمن بتوزيع الذخيرة والمؤونة، ويأخذن مكان القتلى لتعويضهم، وفي غياب الأسلحة يدحرجن على المهاجمين من قواتنا أحجار ضخمة تنشر الموت حتى قعر الوادى"**[7].

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، سأقتصر في هذه المداخلة على بعض النماذج الشعرية التي أرّخت للمقاومة ضد الإستعمار الفرنسي في الجنوب المغربي خلال العقود الأولى من القرن العشرين، سواء منها التي نظمت من طرف شعراء أو شاعرات عايشوا الأحداث عن قرب ونقلوها لنا بكل صدق وأمانة، ليأتي دورنا نحن كباحثين ومهتمين ودارسين لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هذا التراث الوطني، ونقله من طور الرواية الشفوية المعرّضة للتلف والإندثار، إلى طور الكتابة والتدوين، لتأتي بعد ذلك الدراسة الموضوعية والنّقد الهادف.

بعض النماذج من شعر المقاومة بالجنوب المغربي 1930-1956

النموذج الأول:

للشاعرة هْرَة حْسِين نايت بَنْهَكُو : فقد شاركت في معركة بوكافر الخالدة، والتي استشهد فيها زوجها أمام أعينها بمعية طفليها الصغيرين؛ وحسب الروايات التي نتوفر عليها فيما يتعلق بهذه المقاومة العطاوية، فقد توفيت سنة 1977 عن سن ناهز السبعين عاما. وتعتبر هرة احسين من ضمن النساء المقاومات في بوكافر. وقد تركت لنا أشعارا معبرة وعميقة المعني، يمكن اعتبارها من وجهة نظر المؤرخ بمثابة وثائق تاريخية، لا يمكن الإستغناء عنها في كتابة تاريخ المقاومة المسلّحة في الجنوب المغربي. فلم تكتف في قصائدها بوصف الأحداث "كشاهد عيان" بل ذكرت أسماء الضباط الفرنسيين الذين أطّروا تلك المعارك أمثال العقيد شارضو "Chardon"

" Poulain " بونزيل : "Henri de Bournazel " وغيرهم. فالمعلومات التي أوردتها في قصائدها أدق بكثير من الناحية التاريخية من المادة المصدرية التي خلفتها لنا تقارير وكتابات ضباط الشؤون الأهلية؛ فشعرها تعبير صادق عن الأحداث التي عاشتها بين أهلها وذويها في "الجبال والمغارات" في "الصيف والشتاء" "بين الأحجار والأحراش"...

تقول الشاعرة هرة حسين نايت بنهكو، مقاومة قبل أن تكون شاعرة هاجرت مع زوجها الذي استشهد في "بوكافر" أثناء المعارك توفيت سنة 1977. تقول أثناء رثاء زوجها:

1- أتاقموت- ن - بوكافر -أها -مي -ووجيلين
2- هاتيفريت - ن- بوكافر أكي -عيد كوناو
3- أتيقدنيس كو - ليينو - لليغ كا غ تيدينان
4- أوا - كزاد - ك -بوكافر أها لمجاهديين

بعض النماذج من شعر المقاومة بالجنوب المغربي 1930-1956

النموذج الأول:

للشاعرة هْرَة حْسِين نايت بَنْهَكُو : فقد شاركت في معركة بوكافر الخالدة، والتي استشهد فيها زوجها أمام أعينها بمعية طفليها الصغيرين؛ وحسب الروايات التي نتوفر عليها فيما يتعلق بهذه المقاومة العطاوية، فقد توفيت سنة 1977 عن سن ناهز السبعين عاما. وتعتبر هرة احسين من ضمن النساء المقاومات في بوكافر. وقد تركت لنا أشعارا معبرة وعميقة المعني، يمكن اعتبارها من وجهة نظر المؤرخ بمثابة وثائق تاريخية، لا يمكن الإستغناء عنها في كتابة تاريخ المقاومة المسلّحة في الجنوب المغربي. فلم تكتف في قصائدها بوصف الأحداث "كشاهد عيان" بل ذكرت أسماء الضباط الفرنسيين الذين أطّروا تلك المعارك أمثال العقيد شارضو "Chardon"

" Poulain " بونزيل : "Henri de Bournazel " وغيرهم. فالمعلومات التي أوردتها في قصائدها أدق بكثير من الناحية التاريخية من المادة المصدرية التي خلفتها لنا تقارير وكتابات ضباط الشؤون الأهلية؛ فشعرها تعبير صادق عن الأحداث التي عاشتها بين أهلها وذويها في "الجبال والمغارات" في "الصيف والشتاء" "بين الأحجار والأحراش"...

تقول الشاعرة هرة حسين نايت بنهكو، مقاومة قبل أن تكون شاعرة هاجرت مع زوجها الذي استشهد في "بوكافر" أثناء المعارك توفيت سنة 1977. تقول أثناء رثاء زوجها:

1- أتاقموت- ن - بوكافر -أها -مي -ووجيلين
2- هاتيفريت - ن- بوكافر أكي -عيد كوناو
3- أتيقدنيس كو - ليينو - لليغ كا غ تيدينان
4- أوا - كزاد - ك -بوكافر أها لمجاهديين

5– تيزي –ن –كونو –مايكان عطا أوريتيد إيفين
6– أديبمزي – ءاديبخيتر – ءاديروو –ءاديبخو
7–ايكا كو "مجران" إيكا " أجما " إكا "تزارين"
8– أشرضو تناك أوت–بوكافرإيود ألوط
9– أوتاتن إيوو –حدادين اولا الكوم ن –بولا
10– هات بوكافر أكنني –خودر إيكو دواتيكيناو
11– ءاوسينك ءايت بوكافر ءاصاغرو سي – كورارن
12– ءاتيد غ – ءايي تينين تنكالت ءاور نكالخ
13– ءاتا –ن –نغ دو ءاورومي لليغ ك –ءايسكوان
14– ءاماس –ن –ءايوري –ءاماس ن – نزار دي – ءايزران ءاكانغ
15– هات ءايتشا ءايفري ءاحرووي ءايشا ءايلبطناو
16– ءارومي ءاور –تريخ ماشي ربي يوزند ءايا
17– ربي ءايكا لوكيلنو ءايد ءايعصب غيفي.

ترجمة القطعة الشعرية

1– آه ... يا قمة بوكافر أكثرتي من اليتامى
2– في مغارتك استشهد رفيق حياتي
3– آ... لن أنسى فاجعة استشهاده
4– حين بلغني الخبر من طرف المقاومين
5– أقسم لن يحل عطاوي مكانته في قلبي
6– صغيرا كان أم كبيرا، وسيما كان أم قبيحا
7– شارك في معارك أجمو وتازرين
8– أيها المستعمر شارضو "Chardon"

9- المرأة البوكافرية تتحداك

10- وتقول لك عفّر وجهك بالطين

11-وعفّر به خيولك وقوة كوم بولا " Poulain "

12- افتخر يا جبل صاغرو الهمام

13- فقد رفع المجاهدون صيتك في بوكافر إلى الأعالي

14- ولتعلم النساء الواتي تنعتني

15- بسواد وجهي أنني لست كذلك

16- يكفيني فخرا واعتزازا مقاومتي للنصارى

17- في أعالي الجبال وبين الصخور

18- أنام وسط الأحراش والأحجار والأمطار...

19- حتى تآكات ملابسي وتمزق منديل رأسي

20- في أعالي الجبال وداخل الكهوف والمغارات

21- كل هذا من أجل صدّ النصارى عن ديارنا

22-لكن إن كانت هذه إرادة اللّه

23- فلا مفر من قضاء اللّه

24- أتوسل إليه أن ينوب عني

25- ويقيني شرّ هذا المصاب.

النموذج الثاني

الذي نورده فهو لشاعر هو أحماد أوباسو من آيت خوخدن (آيت الفرسي)، وهو كذلك من المقاومين الذين شاركوا في "معركة بوكافر" وهو شاهد عيان وله قصائد عديدة اخترنا من بينها القصيدتين اللتين أشاد فيهما بالدور البطولي للمرأة العطاوية خلال المعارك. وهذا إذن شعر ذكوري خلّد دور المرأة، ويكون بذلك بمثابة من عايش الأحداث وشارك فيها، ورواها على شكل قريض موزون ومقفى، معبر عن رفض المرأة للإستعمار والإستغلال والإستصغار من قبل النظام العسكري الذي طبق في الجنوب منذ وصول الجيوش الإستعمارية إليه إلى سنة إعلان استقلال المغرب. فدورها لم يقتصر على الأدوار التقليدية للمرأة أثناء الحروب من مداواة وتضميد الجروح وجلب الماء وطهي الطعام بل لقد حملت السلاح وجابهت المحتل بالبارود والخنجر والحجارة...

يقول احماد اوباسو بصدد مشاركة المرأة في معركة بوكافر:

1 – أيلان زيين لـ – بوكافر ن – كاس عاد ءاكاري

2 – داد –ءيزري يات أم – يات –تاللوبانين

3 – ربي أداوند ءايك ءاينكوطن ن – نون تويز الين

4 – أسيغد دانو كوط هدو غامت ءاعدجو موح

5 – ءاتاهان ءالفين نيزيمر ءادام – سمونغ دييس

6 – ءايك –دي– تزريت هدو غامت ءاعدجو موح

النموذج الثاني

الذي نورده فهو لشاعر هو أحماد أوباسو من آيت خوخدن (آيت الفرسي)، وهو كذلك من المقاومين الذين شاركوا في "معركة بوكافر" وهو شاهد عيان وله قصائد عديدة اخترنا من بينها القصيدتين اللتين أشاد فيهما بالدور البطولي للمرأة العطاوية خلال المعارك. وهذا إذن شعر ذكوري خلّد دور المرأة، ويكون بذلك بمثابة من عايش الأحداث وشارك فيها، ورواها على شكل قريض موزون ومقفى، معبر عن رفض المرأة للإستعمار والإستغلال والإستصغار من قبل النظام العسكري الذي طبق في الجنوب منذ وصول الجيوش الإستعمارية إليه إلى سنة إعلان استقلال المغرب. فدورها لم يقتصر على الأدوار التقليدية للمرأة أثناء الحروب من مداواة وتضميد الجروح وجلب الماء وطهي الطعام بل لقد حملت السلاح وجابهت المحتل بالبارود والخنجر والحجارة...

يقول احماد اوباسو بصدد مشاركة المرأة في معركة بوكافر:

1 – أيلان زيين ك – بوكافر ن – كاس عاد ءاكاري

2 – داد –ءيزري يات أم – يات –تاللوبانين

3 – ربي أداوند ءايك ءاينكوطن ن – نون تويز الين

4 – أسيغد دانو كوط هدو غامت ءاعدجو موح

5 – ءاتاهان ءالفين نيزيمر ءادام – سمونغ دييس

6 – ءايك –دي– تزريت هدو غامت ءاعدجو موح

ترجمة القطعة الشعرية:

شاركت في معارك بوغافر

نساءكن غاية في الجمال

وحملن الأسلحة والبنادق

وكن يتحركن كاللؤلؤ والمرجان

أطلب من اللّه أن يبدل مشيتكن

لكي تصير كلها أسلحة وخناجر

فقد قمت بجمع ألفين من الأكباش والخيول

لكي أقدمها لكي هدية أيتها المقاومة عدجو موح

ويقول في *رثائه لعدجو موح التي استشهدت في ساحة المعركة ببوكافر*:

1- ءايا راوون - بوكافر ءايمانزا عدجو موح

2- يوف ءاتادرك - بوكافر ءولا تصرد داتاس

3- هات ءاراو -ن- بوكافر ءامي ءيتلاق الجاوي

4- كاند - ءايكنوان -كيند ءايكالن غير هديوات

5- وانا - ءيران أيا - راوو مراكش ءايكد غيفي

6- ءاداس نيني ءيبو - نوار ءايودات كووزان

7- ءادوار - تاليت - ءابو الحنا ءولى -تزوطا

8- لاح ماي - نيتكان تموتمت ءاعدجو موح.

ترجمة القطعة الشعرية:

شاركت في معارك بوغافر

نساءكن غاية في الجمال

وحملن الأسلحة والبنادق

وكن يتحركن كاللؤلؤ والمرجان

أطلب من اللّه أن يبدل مشيتكن

لكي تصير كلها أسلحة وخناجر

فقد قمت بجمع ألفين من الأكباش والخيول

لكي أقدمها لكي هدية أيتها المقاومة عدجو موح

ويقول في *رثائه لعدجو موح التي استشهدت في ساحة المعركة ببوكافر:*

1- ءايا راوون - بوكافر ءايمانزا عدجو موح

2- يوف ءاتادرك - بوكافر ءولا تصرد داتاس

3- هات ءاراو -ن- بوكافر ءامي ءيتلاق الجاوي

4- كاند - ءايكنوان -كيند ءايكالن غير هديوات

5- وانا - ءيران أيا - راوو مراكش ءايكد غيفي

6- ءاداس نيني ءيبو - نوار ءايودات كووزان

7- ءادوار - تاليت - ءابو الحنا ءولى -تزوطا

8- لاح ماي - نيتكان تموتمت ءاعدجو موح.

ترجمة القطعة الشعرية:

آه ...يا أبناء بوكافر أين عدجو موح؟

لقد اختارت أن تدفن في بوكافر

عوض تقديم فروض الطاعة للمستعمر

إن أبناء بوكافر يستحقّون أن تحرق البخور من أجلهم

فهم لم يستسلموا للعدو

حتى قهرهم بأسلحته برّا وجوّا

من أراد منكم أيها الرجال

الذهاب إلى مراكش فليمر بي

لكي أرسل معه بعض الوصايا

أوّلها أن يقول لبائع العطور

أن يوقف موازنه

وثانيهما أن يخبر بائع الحناء و"الحرقوس"

بعدم المجيء إلى ديارنا

فقد استشهدت عدجو موح

ولم تعد الرغبة عند النساء

للتزيين بعد استشهاد عدجو موح.

أردنا من خلال هذين النموذجين التأكيد على أن المرأة المغربية في البادية شاركت إلى جانب الرجل في المقاومة بالسلاح وحدث هذا في وقت لا توجد فيه مؤسسات أو خطاب يوجه عملها النضالي. فهي ناهضت المستعمر وأعوانه بوازع ثقافة الحرية والالتزام التي ترعرعت فيها واعتبرت المستعمر دخيل جاء لاحتلال الأرض واستغلالها.

■ الرايس لحسن بومارك

الرايس لحسن بومارك(بو-ءومارك) المعروف بشاعر مقاومة أيت باعمران، إذ نظم عدة قصائد في المقاومة الشعبية بسوس ومن بينها قصيدته المشهورة فم "لحصن" والتي سنأخذ منها بعض الأبيات:

1- لقيست - ن - ءو كادير ءولا فم لحصن ءافاكد ءيويغ

2- يوشكاد ءورومي س - لقوانس ءار - ءيتبرام

3- تاكيد لقواغ - ءايكنوان ءيس تلاغ والحال

4- ءيسيرس "لاليجو" زوند تيني ديغ صلحنت

5- ءيسيرس "ساليكان" غيكلي ن - وواضيد ءيغ - ديلول

6- ءارانغ ءيتومال لكذاب ماش ءور ءيقضي يات

7- ءيبرح ءوبراح لجيهاد كويان ءيسد ءيفوغ

8- ءيلا كرا يوسيد ءيسكا يوكم ءمان

9- ءيلا كرا يوسيد ءاكوراي ءيكت ءوكان غ - ءوفوس

10- ءاياقبيل ن -سوس ءالاه يرضى عليكوم

11- ءاولن فالجيهاد ءايماغ ءاركيغ ءيكز ءالحال

12- ءوعلي ءولاكو كرض ءولا ءيرسمكن غ - تامانس

13- ءولا ءاكما ءاحربيل ءولا ءيشت ءينجاماع

14- ءولا ءايت ءيغير كولشي مند نكرن

15- ءاولن ف - لجيهاد ءايماغ ءاركيغ ءيكز ءالحال

■ الرايس لحسن بومارك

الرايس لحسن بومارك(بو-ءومارك) المعروف بشاعر مقاومة أيت باعمران، إذ نظم عدة قصائد في المقاومة الشعبية بسوس ومن بينها قصيدته المشهورة فم "لحصن" والتي سنأخذ منها بعض الأبيات:

1- لقيست - ن - ءو كادير ءولا فم لحصن ءافاكد ءيويغ

2- يوشكاد ءورومي س - لقوانس ءار - ءيتبرام

3- تاكيد لقواغ - ءايكنوان ءيس تلاغ والحال

4- ءيسيرس "لاليجو" زوند تيني ديغ صلحنت

5- ءيسيرس "ساليكان" غيكلي ن - وواضيد ءيغ - ديلول

6- ءارانغ ءيتومال لكذاب ماش ءور ءيقضي يات

7- ءيبرح ءوبراح لجيهاد كويان ءيسد ءيفوغ

8- ءيلا كرا يوسيد ءيسكا يوكم ءمان

9- ءيلا كرا يوسيد ءاكوراي ءيكت ءوكان غ - ءوفوس

10- ءاياقبيل ن -سوس ءالاه يرضى عليكوم

11- ءاولن فالجيهاد ءايماغ ءاركيغ ءيكز ءالحال

12- ءوعلي ءولاكو كرض ءولا ءيرسمكن غ - تامانس

13- ءولا ءاكما ءاحربيل ءولا ءيشت ءينجاماع

14- ءولا ءايت ءيغير كولشي مند نكرن

15- ءاولن ف - لجيهاد ءايماغ ءاركيغ ءيكز ءالحال

ترجمة القطعة الشعرية:

1- قصة ءاكادير وفم لحسن سأقصها عليك

2- أتى المستعمر بقواته ظل يحوم

3- انتشرت هذه القوات جوا وبرّا!

4- كانت فرق "لاليجو" تشبه التمر إذا أثمر بكثرة!

5- وكانت فرق "سالكان" تشبه الجراد إذا وضع صغاره

6-يحاول ترهيبنا وتخويفنا بقواته الجرارة

7- لكن هيهات فنحن له بالمرصاد حتى الموت

8- نادى المنادي في الناس إلى الجهاد والمقاومة

9- وخرج الكل ملبيا النداء

10- فهناك من حمل القراب لجلب الماء

11- وهناك من حمل عصي وهراوة

12- إن اللّه يرضى أعمالكم يا قبائل سوس المجاهدة

13- فالكل مستعد للجهاد من أجل الوطن

14- والقتال من أجله حتى الاستشهاد

15- قبائل ءاوعلي - وكوكرض - وءيرسموكن كلها متحدة

وأيت ءاحربيل وءيشتن كلها مستعدة ومتضامنة

وقبائل ءايت ءيغير كلها نهضت ضد الاستعمار

الكل متحمّس للجهاد حتى آخر رمق.

النموذج الأول:

للشاعرة محجوبة من"أكرض الاحد"، وهذه القطعة الشعرية التي سنوردها للشاعرة محجوبة اعتمدنا عليها من كتاب الأستاذ أمرير (عمر حسين)[14] والمنشورة تحت عنوان "المغاربة أسود وأشبال". فقد كانت الشاعرة محجوبة ضمن سكان قبيلتها عندما قطعوا مسافات طويلة سيرا على الأقدام لتسلم الإعانات من السلطات الإستعمارية والتي كانت على شكل "معلبات السردين" الذي يبعث الغثيان لدى جل سكان غرب الأطلس الكبير . وأثناء عودتهم نظمت الشاعرة هذه الأبيات الشعرية الرائعة، والغنية عن كل تعليق.

- الشاعرة محجوبة من "أكراض الاحد"

انبرّا دريوش	نكيت ءو كان لحلوف
ءور ءيلي دريوش ءانربّي	غ مايورو ءيبفيس
ءاكونا ءوكان ءيسمد ءاكفا	ءار ءيرزّا ءيضان

تعريب القطعة الشعرية:

نترفّع على أن نكون فقراء

فنحن أغنياء وأشدّاء

فلا وجود لصاحب حاجة

فمن خلّفته الأسد

فكل شبل يفطم

يبدأ في قهر الكلاب

■ الشاعر باسو عدي

باسو عدي: من غليل أيت ايسفول وقد شارك في معركة بوكافر وبادو:

قام بوصف دقيق لهاتين المعركتين مشيدا ببسالة المجاهدين، على الرغم من الفارق الشاسع بين أسلحتهم وأسلحة العدو:

1. ءايكا غيفي بوكافر ك تاليغ – ن –بولا
2. ريغ – ءاد – حارب ءارومي ءاداغ – د – ءاور – ءايكولو
3. ناسيد بوشفر ءاراغد ءايكات س – لقنبولا
4. ءالليك – دى –يوسي لانفاط ءاور ياد – زعيماخ
5. تسورماغ ءايامان دي – دامن – ك –تغبولا
6. ءاراغ – تالاتيط – ءا ينو ءام يان – ءاوكوسيف
7. ءايا حبوش ن – بوكافر ءابو كراط تمدينين
8. تين ءاومصوبر – دو – ءاوررومي ءاولا لمجاهديين
9. ءاليك ديغ سبادوو نغال ءايسدا جنجاميين
10. ءالين – س – طيارات ءار – نيكي افكينيد –ءافا
11. مشان بو –اطيار د – بو ساسبوا ءاود ءاوسين
12. ءايسرس لعساوات هياند ءايد – البيرو
13. ءاخاس يان ءايكليين ءايد ءاور ءارضين ءاد – إيطاع
14. دينا ك – ءانين ءارومي ءايسافعس – ءاكاري
15. ءايك ءايزران ك – دينا – ك – سكون – طوموبيلات
16. هان ءايسمنس زايد ءاوحماد ءايزرات الجميع
17. تافاسكا – امسكين ءاك – تنغان ديدا كيلا
18. غور ءايكناون لامان عاد ءاك ءايز –نزا – كا
19. هات ءاكى ءايكلين غالن ءايس لان ك – لامان
20. الليك د – نكير ءانينك ءاها – لكوم ءايدوراس
21. ءامني ن – غي ءاورتومنت ءايم – كادع ءاك واوال

ترجمة النص الشعري:

لقد عايشت أحداث بوكافر التي شارك فيها Poulain

أردت مقاومة المستعمر كي لا يصل إلى ديارنا

وأخذت بوشفر، وأخذ يقصفنا بطائراته

وعندما بدأ في استعمال الرشاشات والأسلحة الثقيلة

لم نجد بُدّا من التراجع إلى معاقلنا بالجبل

آه... لقد اختلطت لنا المياه بالدّماء في منابع العيون

وجرى الدمع من عيوني كأنّه زخّات مطر

وعندما ذهبت إلى "بادو" لمواصلة مقاومتي للعدو

صعدت طائرات المستعمر الغاشم إلى السماء

وبدأ وابل من الرصاص يتساقط من السماء

آه...لقد تفطّنا أنّ القصف بالطائرات

واستعمال "ساسبو" وبوشفر شيء غير متكافىء

أقام المتارس والحواجز وبدأ في تنصيب إرادته

بقي مقام رفض الاستسلام للعدو

يتربص بقواته بوضع المتارس من الأحجار الضخمة

في كل المسالك والطرقات التي تستعملها قواة المستعمر

أنه زاييد أحماد والكل شاهد على ذلك

في عيد الأضحى تمّ قتله من لدن النصارى

في دوار ايكناون "– ن – لامان"

نام "ءايكلين" أو المسكين ظانّا أنّه في أمان

■ الشاعرة زينة احماد

الشاعرة زينة أحماد: من دوار تاوريرت أيت امزيل

1- ءاح ءور توخ تين ءايت عبلا غ - تاستنو

2- عاسلّي - غدكشمن ءيروميين

3- ءاتنت ءاراغ س - ءايدامن ن وول ءينو

4- كغتن ع - تكمامت ءاكلغتن ءي تاسانو

5- كشمن ءيرومين كسن رزّاءي ءيركازن

6- كين ءاسين تا كنبوشت

7- ءيركازن تاهلم ءاغ تاهلنكن ءيرومين

8- مامنك رادّيدون نزري تودرت نغ

ترجمة القطعة الشعرية:

آه... لن تمحى من قلبي أبدا قضية

آيت عبد الله لن أنساها أبدا.

لن أنسى أبدا يوم دخل النصارى بلادنا

سأكتب هذا اليوم بدم قلبي

وأسجّله في أعماق قلبي

هموم ومآسي ما أشقاني بها

جعلتها في كمامة وعلقتها في كبدي

آه... دخل النصارى للبلاد

نزع النصارى عن الرجال العمائم

وألبسوهم منديل رأس النساء

■ الشاعرة زينة احماد

الشاعرة زينة أحماد: من دوار تاوريرت أيت امزيل

1- ءاح ءور توخ تين ءايت عبلا غ - تاستنو

2- عاسلّي - غدكشمن ءيروميين

3- ءاتنت ءاراغ س - ءايدامن ن وول ءينو

4- كغتن ع - تكمامت ءاكلغتن ءي تاسانو

5- كشمن ءيرومين كسن رزّاءي ءيركازن

6- كين ءاسين تا كنبوشت

7- ءيركازن تاهلم ءاغ تاهلنكن ءيرومين

8- مامنك رادّيدون نزري تودرت نغ

ترجمة القطعة الشعرية:

آه... لن تمحى من قلبي أبدا قضية

آيت عبد الله لن أنساها أبدا.

لن أنسى أبدا يوم دخل النصارى بلادنا

سأكتب هذا اليوم بدم قلبي

وأسجّله في أعماق قلبي

هموم ومآسي ما أشقاني بها

جعلتها في كمامة وعلقتها في كبدي

آه... دخل النصارى للبلاد

نزع النصارى عن الرجال العمائم

وألبسوهم منديل رأس النساء

■ **الشاعرة زينة احماد**

الشاعرة زينة أحماد: من دوار تاوريرت أيت امزيل

1- ءاح ءور توخ تين ءايت عبلا غ - تاستنو

2- عاسلّي - غدكشمن ءيرومين

3- ءاتنت ءاراغ س - ءايدامن ن وول ءينو

4- كغتن ع - تكمامت ءاكلغتن ءي تاسانو

5- كشمن ءيرومين كسن رزّاءي ءيركازن

6- كين ءاسين تا كنبوشت

7- ءيركازن تاهلم ءاغ تاهلنكن ءيرومين

8- مامنك رادّيدون نزري تودرت نغ

ترجمة القطعة الشعرية:

آه... لن تمحى من قلبي أبدا قضية

آيت عبد الله لن أنساها أبدا.

لن أنسى أبدا يوم دخل النصارى بلادنا

سأكتب هذا اليوم بدم قلبي

وأسجّله في أعماق قلبي

هموم ومآسي ما أشقاني بها

جعلتها في كمامة وعلقتها في كبدي

آه... دخل النصارى للبلاد

نزع النصارى عن الرجال العمائم

وألبسوهم منديل رأس النساء

آه... لن تمحى من قلبي مأساة آيت عبد اللّه
لن تبرأ من كبدي جروح آيت عبد اللّه
يا أيّها الرجال ما أتعسنا
تزوجتمونا فتزوجكم النصارى
فكيف سنقضي معكم هذه الحياة.

الخلاصة

هكذا إذاً، صوّر لنا الشعراء والشاعرات في الجنوب المغربي ملحمة المقاومة المسلّحة ضد الإستعمار الفرنسي وأعوانه؛ هذه المقاومة التي أدّت واجبها بكل إتقان وإخلاص وبطولة وتضحية، والتي نقلها لنا هؤلاء الشعراء بدورهم بكل صدق وأمانة. وهي الآن بحاجة إلى دراسات متخصصة قبل اختفائها.

فالصورة السلبية والقاتمة للمحتل الغازي وأعوانه، كانت إذن صورة محفوظة في الذهنية والسيكولوجية الفردية والجماعية. وهي فلسفة رافضة ومقاومة لكل ما يمكن أن يمس أو يهدم الكيان الجماعي. وهذا العمق المعروف منذ القدم في سلوك ومزاج المغاربة، هو الذي نبع منه هذا الإحساس، ومن هذا الإحساس نبَع هذا الشعر.

آه... لن تمحى من قلبي مأساة آيت عبد اللّه
لن تبرأ من كبدي جروح آيت عبد اللّه
يا أيّها الرجال ما أتعسنا
تزوجتمونا فتزوجكم النصارى
فكيف سنقضي معكم هذه الحياة.

الخلاصة

هكذا إذاً، صوّر لنا الشعراء والشاعرات في الجنوب المغربي ملحمة المقاومة المسلّحة ضد الإستعمار الفرنسي وأعوانه؛ هذه المقاومة التي أدّت واجبها بكل إتقان وإخلاص وبطولة وتضحية، والتي نقلها لنا هؤلاء الشعراء بدورهم بكل صدق وأمانة. وهي الآن بحاجة إلى دراسات متخصصة قبل اختفائها.

فالصورة السلبية والقاتمة للمحتل الغازي وأعوانه، كانت إذن صورة محفوظة في الذهنية والسيكولوجية الفردية والجماعية. وهي فلسفة رافضة ومقاومة لكل ما يمكن أن يمس أو يهدم الكيان الجماعي. وهذا العمق المعروف منذ القدم في سلوك ومزاج المغاربة، هو الذي نبع منه هذا الإحساس، ومن هذا الإحساس نبَع هذا الشعر.

الهوامش

1– سبق وأن شاركنا بقصائد لشعراء أمازغيين حول المقاومة في منطقة سوس وأيت عطا وأيت بعمران في ندوة "المقاومة المسلّحة والحركة الوطنية بجهة مراكش تانسيفت الحوز 1912–1956" والتي نظّمت من طرف المندوبية السامية والمجلس الوطني لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير وشعبة التاريخ بمراكش يومي 27 و28-01-2000.

2– السولامي (ابراهيم)، الشعر الوطني المغربي في عهد الحماية، نشر وتوزيع دار الثقافة 1974.

3– نفس المرجع ص - ص. 103-104.

4– بوراس (عبد القادر)، "ندوة المقاومة المسلحة المغربية 1900-1934"، مطبعة دار المعارف الجديدة، الرباط 1993، ص187.

5– الفرقاني (محمد الحبيب)،" الآداب والفنون الأمازغية،أصالة شعبية - تارخية وحضور حي مستمر في معركة التحرير"، أعمال الدورة الثالثة للجامعة الصيفية بأكادير 1990 ،ص. 168-169.

6– بوكافر (معركة): اندلعت مقاومة أيت عطا بعد حرب الريف، وشكلت عقبة أمام تقدم الجيوش الإستعمارية في منطقة الجنوب عامة ومنطقة صاغرو بصفة خاصة، التي يقع فيها جبل "بوكافر" وهو عبارة عن كتلة صخير ذات قمم حادة Plateaux des aiguilles تتخللها أودية عميقة، يستحيل المرور بها لمن يجهل المنطقة، ويوجد به عين للماء وبصفة عامة، فقد اتخذه المقاومون بسبب هذه المعطيات معقلا لصمودهم، تكسرت عليه كل المحاولات الهجومية برا وجوا، وعلى امتداد الأيام استمرت المقاومة المسلحة مرغمة هيبة فرنسا القوة الإستعمارية الكبرى على الركوع، وقدم المقاومون درسا تاريخيا للنضال التحريري، وفي الدفاع عن الوطن.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل إن فرنسا ذاقت أكبر هزيمة لها يوم 28 فبراير 1932 في "بوكافر" حيث انتصر المقاومون العزل على جيش أقوى دولة وكتب "الكولونيل صولاي Saulay الذي شارك في هذه المعركة "**إن خسائرنا لهذا اليوم لجد ثقيلة منها 64 قتيل وعلى رأس الضحايا القبطان بورنازيل Henry De Bournazel والقبطان فوشو وبرانكلي وبيني وغيرهم من الضباط.هذا بالاضافة إلى 115 جريح أصيبوا بجراح خطيرة. وهكذا فان صمود آيت عطا وبسالتهم في القتال فرض نفسه في النهاية"**. وبذلك خلقت معركة بوكافر شجة في مخططات القيادةالعسكرية الإستعمارية وأربكتها، وأثارت جدلا حادا داخل البرلمان الفرنسي، ووسط الرأي العام الفرنسي، ولا أدل على ذلك الحيز الذي نالته معركة بوكافر في الكتابات الإستعمارية حيث خصصت لها مؤلفات ضخمة، وأنجزت حولها مئات التقارير والدراسات، بالإضافة إلى الصدى الذي وجدته في الصحافة الإستعمارية أنذاك. ومن بين المراجع الأساسية حول معركة بوكافر:

Henri Bordeaux, Bournazel, Paris,1939. Edt. Plon,
Général Catroux, Achèvement de la pacification du Maroc, Paris, 1934.
Général Hure, La pacification du Maroc, Paris, 1952.

[7] Général Catroux, Achèvement de la pacification du Maroc, Paris, 1934.



حدّثني يا ماي

عبد الحميد شبيح *

ما يخلاص ربيع ني خلص نوار
وقبل الصيف ربيع هز حراره فيه

وما يمحيه اللّيل إذا حط ستار
غير لهاب دموم جمره كي يكويه

وما يفضح الليل غي تبسام نهار
وما يطلع نهار من غير اماليه

ف الخمسة وربعين حين ربيع صفار
وما ثماش دواه وجراحه تبريه

يوم ثلاث السوق ناسه في زيار
هم الفقر وزاد هم الذل عليه

* معلم- سطيف الجزائر.

حدّثني يا ماي

عبد الحميد شبيح [*]

ما يخلاص ربيع ني خلص نوار
وقبل الصيف ربيع هز حراره فيه

وما يمحيه اللّيل إذا حط ستار
غير لهاب دموم جمره كي يكويه

وما يفضح الليل غي تبسام نهار
وما يطلع نهار من غير اماليه

ف الخمسة وربعين حين ربيع صفار
وما ثماش دواه وجراحه تبريه

يوم ثلاث السوق ناسه في زيار
هم الفقر وزاد هم الذل عليه

[*] معلم- سطيف الجزائر.

كل زمان وليه حقه م لحرار
يفخر بيه زمان بعده وينسيه

كل وطن وليه "شعاله" والنّار
وما يعرف مشهاب غير اللي يطفيه

ذيمه ذي ليام تدي ناس خيار
وتخير الزين في زين معانيه

خيار الموت الموت رأيه كي تحمار
خيار العيش العيش حرمه كي تسعيه

خيار الناس الناس سمحوا في لعمار
موت وعزة "لا" ولا ذله في "إيه"

خيار زمان زمان ربى زين حرار
خيار علام علام جرحه ويعليه

خيار الدين الدين حين يجيب فخار
خيار الحب دوام حاجه ما تطفيه

حشمتك يا ماي حدثني بخبار
باسم الدم عل الجرح وش يبريه

كلمني على ناس طافوا كي لمهار
قطاعين لجام حاكم طاغي بيه

كلمني كفاش "سعالك" صبار
جمره بين ضلوع رايه بين يديه

كلمني على يوم شهدك فيه امرار
و"الكولون" معا القايد يا مر فيه

كلمني على قوم صف بصف قمار
ردموهم والدم عايم بسواقيه

"خراطة" كي "قالمة" في عز نهار
غاشي بر سطيف كاذب من يحصيه

وحدثني على قوم منا في لقطار
حبوه "البرنوس" "بيري" ويواتيه

حدثني على قوم قلبي والدمار
بعمايم لجداد دمك عاثوا فيه

حدثني يا ماي عندي شي دمّار
راه طلع نهار على غير اماليه

حدثني يا ماي على ما فيك اسرار
ليل الدم ختار ولا غيرك يضويه

عمرك خمس سنين بعد الربع اعشار
وما زالت ليام سر على ما بيه

ما ضنيت زمان واللي كبار كبار
يقلب ناسه ماي دمه ومراسيه

وطني راحوا عليه قوافلهم غبّار
وسحابه لباد سفله كي عاليه

مثله مثل يتيم وحده في دوار
وثعابين الليل دارت ولفاعيه

وطني مثل عقاب حقرته لطيار
صيادين كثير والرخمه تاذيه

زاوش بر تلول وشرّب له لمرار
والريح اللّي ناض غباره يديه

لا هو كما كان حصنه في لوعار
بعد أن دار زمان عيبه في جنحيه

بعد ان هدّ سحاب نجمه ع لنظار
وبعد أن صحا بين نجمه غابوا فيه

وطني عز وكان وطني ذل وصار
بحري ما خلاه ان دار شهيلي ليه

من خلاه الدم يخطي ساس الدار
وينبت الشوك في عز اماليه؟

من خلاه الواد ينكر زين حجار
والا زين القوم ما عادش يرضيه؟

من يدري ليام تعرض للمشوار
وتخليه ربيع دمه حاشم بيه؟

من ينسى ليام خاين سر جهار
ومن ينساه الدم قاتل شارك فيه

خانو عهد جداد قومي دار بدار
ما دامت سرار ماي تخاف عليه

خنا ذوك الناس مدينه كي دوار
وما ينده "لوراس" وعلامُ طاويه

ڤلبي كيف يهون عني وطن حرار
نلهف مال ليتام نمشي ونخليه

دوري ياليام ڤلبي زاد صغار
وسع البر ضْياف ماعادش يكفيه

ودوري ياليام كاشي ماي عبار
راه طلع نهار على غير اماليه
واللي خان ڤبيل لا حشمه لا عار
متقدم صفوف شاو الصّابه ليه

واحد باسم اوطان باع الوطن اجهار
واحد باسم علام الميت ويعريه

واحد باسم الله يكنز بالقنطار
واحد باسم الدين كرّه ناسه فيه

واحد ليه الموت واحد ليه الثار
واحد ليه اوطان دّاها في كرعيه

وش يعجب في قوم عبدوه الدينار
والشهيد نساو دمه في ذويه

من دمعة ليام جابت ضي فجار
قمَره كي علاه ظلمة ما تخفيه

جرحه من لشواف مازاله فوّار
او مر بيه سحاب في عز معاليه

من كلمه ياتيك ريحه زين امطار
ومن ندهه "صومام" قادر يحمل بيه

واش يعجب في قوم ذلوا للدولار
بعد ان كان العزّ منا لا منهيه

واش يعجب في قوم قتلوا ذر صغار
طلبوا من مليك ينهر حواشيه

راح ربيع وراح زينه في لحرار
ما يرجع ربيع من غير اماليه

ما يرجع ربيع مادامت لسوار
تردم جمر قلوب هبّه ماتلهيه

من قتلوه ربيع ورثوا هذي الدار
"جاك" معا "قدور" متفقين عليه

مازلنا يا " ماي" محقور وحقار
كاشي قمر ابطال يفضح سر الهيه

دهمتنا ليام وذلتنا لقدار
وذا "قبلي" جاي عنده ما يدريه

حدثني ياماي حديث انتاع كبار
لاه اطلع نهار على غير اماليه؟

لاه اطلع نهار على غير اماليه؟
لاه اطلع نهار على غير اماليه؟

أفريل 1990

مقاطع شعرية ثورية

مريم بلميهوب *

ألف شكر للأخت التي جاءتنا من المغرب، و مجّدت كل الأعمال التي قامت بها المرأة المغربية، و نفس الشيء ينطبق على كل شمال إفريقيا، الأمر الذي نُشيد به.

لقد أتت لنا ببعض الأشعار من منطقة السوس بالشلحية، اللّهجة التي تشبه الشاوية و تشبه كذلك المزابية.

و سألقي عليكم أشعارا بلهجة تشبه الرّيفية القريبة من الأمازيغية القبائلية، و هو عبارة عن نشيد نَظَمتْه المرأة قبل حرب التحرير، و هو النّشيد المفضّل لدى عبّان رمضان، و قد تغنّى به في الجبال، حينما كان رفقة بن مهيدي، أوعمران، و العقيد صادق، لعقد مؤتمر الصومام 1956، و هذه الكلمات أستطيع أن أتغنّى بها و لكن أخاف أن أبكي وسط القصيدة:

Ma nemmut gem-aɣ amekkan
Ɣer tama igenwan
deg durar-nneɣ ɛzizen
gar wezṛu d yedɣaɣen
deg durar-nneɣ ɛzizen
gar wezṛu d-yedɣaɣen

Ma tella "ccedda" yeqwan
ɛanet izekwan
siwlet-d a nili yidwen
w'a nɛiwez fellawen
siwlet-d a nili yidwen
w'a nɛiwez fellawen

Si lezzayer tizi wezzu

Si lezzayer tizi wezzu
D ul-iw ar yeṭṭru
Listeɛmaṛ bu lemḥayen
Tuğğal ḋ igujilen

Deg ssuṛ qebḍen nnefs
S wuzzal n tmes
Lezzayer mazal-iṭṭ teḥzen
Γef arraw-is yemmuten
Lezzayer mazal-iṭṭ teḥzen
Γef arraw-is yemmuten

Mazal lğerḥ unebdu
Mi tnac d aγeddu
Ḥerqen, hudden yexxamen
Rẓen ikufiyen
Ḥeṛqen, hudden yexxamen
Rẓen ikufiyen

Siweḍ-asen sslam ay aḍu
si lhawa d wagu
aweḍ barbarous ḥbes
ṭṭal fellasen, wennes
aweḍ barbarous ḥbes
ṭṭal fellasen, wennes

سي لزاير ثيزي وزو

سي لزاير ثيزي وزو
ذوليو أر يتسرو
ليستعمار بو لحاين
ثوجال ذيڤوجيلان

ذڤ صور قبضن النفس
سوزال نتمس
لزاير مازاليتس ثحزن
غاف أراويس يموثن
لزاير مازاليتس ثحزن
غاف أراويس يموثن

مازال لجرح أونبذو
مي ثناش ذاغدو
حرقن ، هودن يخامن
أرزن إكوفيين
حرقن ، هودن يخامن
أرزن إكوفيين

سيوضاسن سلام أياضو
سي لهاوا ذواڤو
آوض بارباروس أحبس
تسال فلاسن ونس
آوض بارباروس أحبس
تسال فلاسن ونس

ما نموث ڤماغ أمكان
غار ثاما إڤنوان
ذڤ ذورار نغ أعزيزن
ڤر وزرو ذيَذْغاغن
ذڤ ذورار نغ أعزيزن
ڤر وزرو ذيَذْغاغن

ما ثلا الشدّا يقوان
عانث إزكوان
سولثد انيلي يذون
وانعيوز فلاون
سولثد انيلي يذون
وانعيوز فلاون

من الجزائر إلى تيزي وزو

من الجزائر إلى تيزي وزو
قلبي يبكي
فضائع الإستعمار
آرامل ويتامى

مخنوقة داخل السور
بالحديد المحمّي على النار
ما تزال الجزائرفي حداد
على أبنائها الشهداء
ما تزال الجزائرفي حداد
على أبنائها الشهداء

جرح الصيف لن يندمل
لفقدان الصناديد الاثني عشر
دور محروقة ومهدّمة
زير مكسور...
دور محروقة ومهدّمة
زير مكسور.

أيّتها الريح بلّغيهم سلامي
عبر النّسيم والسحاب
فإذا وصلتِ بربروس ...
توّقفي...

من الجزائر إلى تيزي وزو

من الجزائر إلى تيزي وزو
قلبي يبكي
فضائع الإستعمار
آرامل ويتامى

مخنوقة داخل السور
بالحديد المحمّي على النار
ما تزال الجزائرفي حداد
على أبنائها الشهداء
ما تزال الجزائرفي حداد
على أبنائها الشهداء

جرح الصيف لن يندمل
لفقدان الصناديد الاثني عشر
دور محروقة ومهدّمة
زير مكسور...
دور محروقة ومهدّمة
زير مكسور.

أيّتها الريح بلّغيهم سلامي
عبر النّسيم والسحاب
فإذا وصلتِ بربروس...
توّقفي...

واقرئيهم منّا السّلام
وآنسي وحشتهم...
فإذا وصلتِ بربروس ...
توّقفي...
واقرئيهم منّا السّلام
وآنسي وحشتهم...

فإذا متنا...
أسكنونا جوار السماء
بجبالنا العزيزة
بين الصّخور والأحجار
بجبالنا العزيزة
بين الصّخور والأحجار

إذا فجعتم بالزّمان
توجّهوا نحو القبور
نادونا ...
سنكون رفيق مصابكم
وتسهر لكم منّا العيون.
نادونا ...
سنكون رفيق مصابكم
وتسهر لكم منّا العيون.

O vent, apporte-leur mon salut
Par l'air et le brouillard
A Barbarousse
tu t'arrêtes en arrivant
En les saluant
et en leur tenant compagnie
A Barbarousse
tu t'arrêtes en arrivant
En les saluant
et en leur tenant compagnie

Si on meurt accueillez-nous
Au près des cieux
Dans nos chères montagnes
Entre le rocher et les cailloux
Dans nos chères montagnes
Entre le rocher et les cailloux

Si un grand malheur arrive
Rendez visite aux tombes
Appelez-nous
Nous serons à vos côtés
Et nous veillerons sur vous
Appelez -nous
Nous serons à vos côtés
Et nous veillerons sur vous

D'Alger à Tizi-Ouzou

D'Alger à Tizi-Ouzou
Mon coeur pleure
Les atrocités coloniales
Combien de veuves et d'orphelins

Encerclée étouffée
Par des fils de fer brûlants
L'Algérie est encore endeuillée
Pour ses enfants martyrs
L'Algérie est encore endeuillée
Pour ses enfants martyrs

La blessure d'été persiste
Par la perte des douze gaillards
Des maisons brûleés et détruites
Des ikufiyen cassés.
Des maisons brûleés et détruites
Des ikufiyen cassés.

Lğic

Lğic n tmurt-nneɣ
Ulaḥed am neţţa lmital
Ɣures lhiba izaden
Yeţţqeddim am yizmawen
Ur yeţţwexxiṛ ara

Deg durar ata yeḥya
Yeţţṛağu deg weɛdaw-is a d-iban
Deg durar ata yeḥya
Yeţţṛağu deg weɛdaw-is a d-iban

Yezher iɛdawen slan
Nnan izmawen ḥyan
Ur ţţwexxiṛen ara
Ur ţţwexxiṛen ara

لجيش

لجيش نتمورث نغ
أو لاحد أمنتس لميثال
غورس لهيبة إزاذن
يتسقديم أم يزماون
أور يتسوخير أرا

ذڤ ذورار أثا يحيا
يتسراجو ذڤ واعذاويس أديبان
ذڤ ذورار أثا يحيا
يتسراجو ذڤ واعذاويس أديبان

يزهر إعذاون سلان
نان إزماون أحيان
أور تسوخيرن أرا
أور تسوخيرن أرا

الجيش

جيشنا
ماله في الدّنيا نظير
هاب سطوته الوجل
يمضي كما تمضي الأسود
مِكرّ من دون مِفر

دانت لقوته الجبال
يترّبص بكل عدو
دانت لقوته الجبال
يترّبص بكل عدو

حين زأر...
عرف العدو... أنّ الأُسود مازالت تحوم.
مكر من دون مفر
مكر من دون مفر.

Armée

Armée de notre pays
Nul n'est son égal
Elle a un surplus de prestige
Ses hommes foncent comme des lions
Et ne reculent pas

Dans les montagnes, elle est la maitresse des lieux
Comme un lion elle attend l'apparition de l'ennemi
Dans les montagne, elle est la maitresse des lieux
Comme un lion elle attend l'apparition de l'ennemi

L'ennemi entend son rugissement
En sachant que les lions sont vivants
Ils ne reculeront pas
Ils ne reculeront pas.

*ولدت في 1 أفريل 1935، طالبة ثانوية، التحقت بصفوف جبهة التحرير الوطني الجزائري منذ 1955، حيث ناضلت بنشاط حتى ألقي القبض عليها في ديسمبرسنة 1955، ثم أفرج عنها لتصبح مطارَدة فالتحقت بجيش التحرير الوطني وألقي عليها القبض من جديد بالجبال سنة 1956.

Achour Cheurfi, La classe politique algérienne de 1900 à nos jours, Dictionnaire biographique,Casbah Edition,2001.

ملخصات*

* النّصوص المنشورة باللّغة العربية لُخص محتواها إلى اللّغة الفرنسية.
النّصوص المنشورة باللّغة الفرنسية لُخص محتواها إلى اللّغة العربية.

روني قاليسو

مشروع جيش التحرير المغاربي وآثاره،
من نشأة النّزعة الجذرية إلى تهميشها

كان المشروع مزدوجا مسبّقا، بإعلان مكتب المغرب للإتجاه العربي و كذلك الروابط والإستعدادات لأنصار الثورة المسلّحة بالإتصال مع عبد الكريم الخطابي.
الطريقة الثانية هي التي ستأخذ بعين الإعتبار، لأنّ البيانات المهمّة لممثلي الأحزاب الوطنية ستلغى ما عدى المرور إلى العمل المسلّح في الصراعات الوطنية الداخلية لموجهي الحزب. هذه الوضعية تنطبق على تونس وجزءًا من قرار الثورة الجزائرية. أليس إعلان القطيعة مع "العضويين" كان من أجل السّلطة؟ عن طريق سيادة الحزب المعروف في الحركة الوطنية والدولة بوضع أجهزتها مسبقا. التطرف حلم حذر.
شرح تهميش التّطرف المتعلّق بمسألة الأقلية والهجرة، والمسألة الإجتماعية للوطنية التي عملت على إعادة ترتيب البرجوازية من طرف الدولة وتركت لدى مجندي الشعبوية الثورية انتكاسا سريا.

دحو جربال

التحالف واللا تحالف الجزائري- التونسي،
آفاق ذات مدى متوسط

لا تؤرَّخ العلاقات الجزائرية التونسية بسنوات الخمسينات؛ إنّما يربط الشعبين تاريخ طويل ومصير ذو أبعاد مغاربية. وهذا ما يعقّد مسعى إدراك هذه الأحداث المحصورة في مرحلة قصيرة جدا وغنية بالإثارة في آن واحد.
العلاقات المنسوجة في بداية القرن ما بين «تونس الفتاة» و«الجزائر الفتاة»، وبين علماء الحركة الإصلاحية المعاصرة، وبين الوطنيين الدستوريين

والوطنيين النجميين الجزائريين، لم تمر دون أن تترك آثارا في الذاكرة، ونفس الشّيء بالنّسبة لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا، وكذلك مناضلي التّنظيمات النّقابية المرتبطين ارتباطا ما بالتعاليم الماركسية.

نُسجت مابين الزعماء المستقبليين للأحزاب الإستقلالية للجزائر وتونس روابط جديدة، والإشارة لهذا الحدث ليست دون جدوى في منظور العلاقات الجزائرية ـ التونسية في سنوات الخمسينات؛ فقد تكوّن شكل من أشكال التّوافق ما بين حزب الشعب لمصالي والدستور الجديد لحبيب بورقيبة. في حين أنّه منذ نوفمبر 1954، الجوهر الترابطي المتراكم طوال العقود الأخيرة ما بين الإتجاهات السياسية للأحزاب الوطنية الجزائرية والتونسية ظهر فجأة مخاطياً أو على الأقل بقي معلّقاً.

وعلى واقع العمل العسكري، كشف التّحالف الوقائعي عن تجسيده بصفة كبيرة لشكل من أشكال إتحاد كومندو شمال إفريقيا، والّذي أبرم مبدئيا في 29 ماي 1954 بالقاهرة.

عيسى قادري

بين الاغتراب والإلتزام في الحركة الوطنية

مقاربة مقارنة، المغرب، الجزائر، تونس.

يتشكل موضوع هذا التدخل من عدّة نقاط، يتناول الطّلبة المغاربة، و الفئات المتمدرسة في مختلف الوحدات الدراسية، و تدخلاتهم في الحقل الإجتماعي والسياسي خلال المرحلة الإستعمارية. وهذا العمل يوضّح بصفة كبيرة وجود تضامن بين مختلف طلبة الدّول الثلاث.

لعب تهميش الطّلبة لسد جميع الطّرق أو لغلق الكثير منها دورا في تضامنهم. وتناقضات فرنسا الإستعمارية ستعطي لهم وعي المثقف والسّياسي. سنرى كذلك تنظيمات وطنية تظهر في الخمسينات، والتي لم

تعد تنظيمات بين الدول المغاربية لشمال افريقيا، والأمر الذي عمل على حلّ روابط التضامن هو الإختلاف في علاقات البعض والبعض الآخر مع القاعدة العمالية والشعبية بالمهجر حسب الإنتساب القطري إضافة إلى العلاقات التي غذّيت محليا.

عدنان منصر

التضامن القبلي، الوعي الوطني والعمل المسلّح: دراسة حالة بني زيد

تهد ف هذه المساهة إلى دراسة انبثاق شكل خاص جدا لمقاومة السياق الإستعماري. وتتمثل هذه الخصوصية في حالة تضامن ابن زيد (قبيلة كبيرة بجنوب تونس تحتل منطقة حامة قابس) والذين نجحوا في خلق امكانية عمل عسكري ذو مدى بعيد. إذن الأمر يتعلق بنمطين للتضامن، أولا تضامن تقليدي الأمر الذي جعل المقاومة المسلّحة لعام 1952 تنظّم في إطار قبلي محض. والنمط الثاني للتضامن هو نمط سياسي، والذي استوعب كل شبكات العلاقات المنسوجة من طرف حزب الدستور وتنظيماته الوطنية خاصة الشبابية منها.

خديجة صفي الدين

مشاركة المرأة في الحركة التحريرية: لمحة

لاثراء العرض العلمي حول الحركة الإستقلالية، وحول ظروف المرأة داخل هذا السياق، هي بالتأكيد طريقة لطرح موضوع في غاية الحساسية، الأمر الذي يؤدي إلى تحسين هذه الظروف، وتوضيح الظواهر الإجتماعية وشرحها وإعادتها إلى شبكة السّلطة والتأثير الذي يحدّد التمييز، وهذا من بين أدوار وميزة المثقّف في مجتمعه.

ABDELKRIM EL KHATIB

Les accords entre l'ALM et l'ALN et les divergences maroco-algériennes de l'après-indépendance

Avec l'accord du chahid Mohammed Boudiaf, Ahmed Ben Bella a été le premier à émettre l'idée d'une coordination des armées de libération du Maghreb. Lors des réunions que nous tenions, il insistait sur la nécessité de prendre une position militante claire sur cette question de façon à nous engager dans le travail de planification et de structuration sur des bases solides et durables. Il est encore présent dans notre esprit, comme dans celui de la direction centrale de l'armée de libération du Maroc, le souvenir des conditions difficiles que nous devions affronter comme responsables de la lutte armée tant au Maroc qu'en Algérie. Du fait de sa présence permanente dans le nord du Maroc, les discussions avec le défunt Mohammed Boudiaf ont été menées sans discontinuer que ce soit à Nador ou à Tetouan sur toutes les questions. Mais la question que nous avions abordée dans le contexte particulier de l'époque était sans aucun doute décisive ; elle exigeait des prises de décision claires et des positions courageuses au moment où le Maroc était engagé dans les derniers préparatifs du lancement de l'offensive du 2 octobre 1955. Au même moment l'armée de libération algérienne se préparait de son côté à ouvrir un front dans l'ensemble de l'Oranie sous la direction du compagnon de lutte, le chahid Larbi Ben M'hidi.

C'est donc la présence de Mohammed Boudiaf et de Ahmed Ben Bella et leur participation aux derniers préparatifs du lancement de l'offensive d'octobre 1955 qui a permis de donner à cet événement le caractère que nous voulions délibérément et résolument lui donner, celui d'une lutte commune et unitaire.

TAYEB ET-TAÂLIBI

Les étapes de la solidarité marocaine avec la lutte armée en Algérie

Ce témoignage porte essentiellement sur l'étape de la coordination des luttes de libération au Maghreb.

Dans une première partie, Et-taalibi parle des contacts entre Bitat et Ben M'hidi, et de la lutte contre les messalistes à l'ouest de l'Algérie. Il développe également toute une série de contacts qui ont eu lieu entre lui-même, Ben M'hidi, et Abane ainsi que de la relation que ces deux derniers entretenaient entre eux.

Dans la deuxième partie, Et-taalibi évoque la question de l'armement et la coordination avec les Marocains. L'encadrement et la conscientisation des Algériens des frontières, la solidarité du roi ainsi que des populations marocaines à la cause de la libération nationale.

MANSOUR BOUDAOUD

Soutien logistique, armement : la solidarité marocaine

Il s'agit essentiellement d'un témoignage de la période où Mansour Boudaoud était responsable de l'armement et de la logistique au Maroc. Il est question des relations des Algériens avec l'ALM, le peuple marocain, les militants nationalistes et le Palais, plus particulièrement de l'aide matérielle et morale reçue de ces derniers.



اللّبنة الأولى لجنود جيش التّحرير المغاربي داخل ثكنة بالقاهرة للتدريب على استعمال السلاح بقيادة الضابط المغربي الهاشمي عبد السلام الطود.

Première promotion de djounouds de l'Armée de libération du Maghreb. Photo prise à l'intérieur d'une caserne égyptienne d'entraînement au maniement des armes sous la direction de l'officier marocain El Hachemi Abdeslam Taud.



الواقفان من اليمين إلى اليسار

سلطان بن الدين، السيد بالغيث عبد اللّه،

Debout de droite à gauche

Soltane Beneddine, Abdallah Sayed Belghith

الجالسان من اليمين إلى اليسار

علي الساسي، الهاشمي عبد السلام الطود.

Assis de droite à gauche

Ali Saci, El Hachemi Abdeslam Taud



من اليمين إلى اليسار: الهاشمي عبد السلام الطود، صالح تواتي، حمادي العزيز (الريفي)، محمود الخفيفي، عبد الحميد الوجدي، محمدعرعار.

De droite à gauche : El Hachemi Abdeslam Taud, Salah Touati, Hammadi El Aziz « Er Rifi », Mahmoud L'khfifi, Abdelhamid El Oujdi, Mohammed 'Ar'ar.



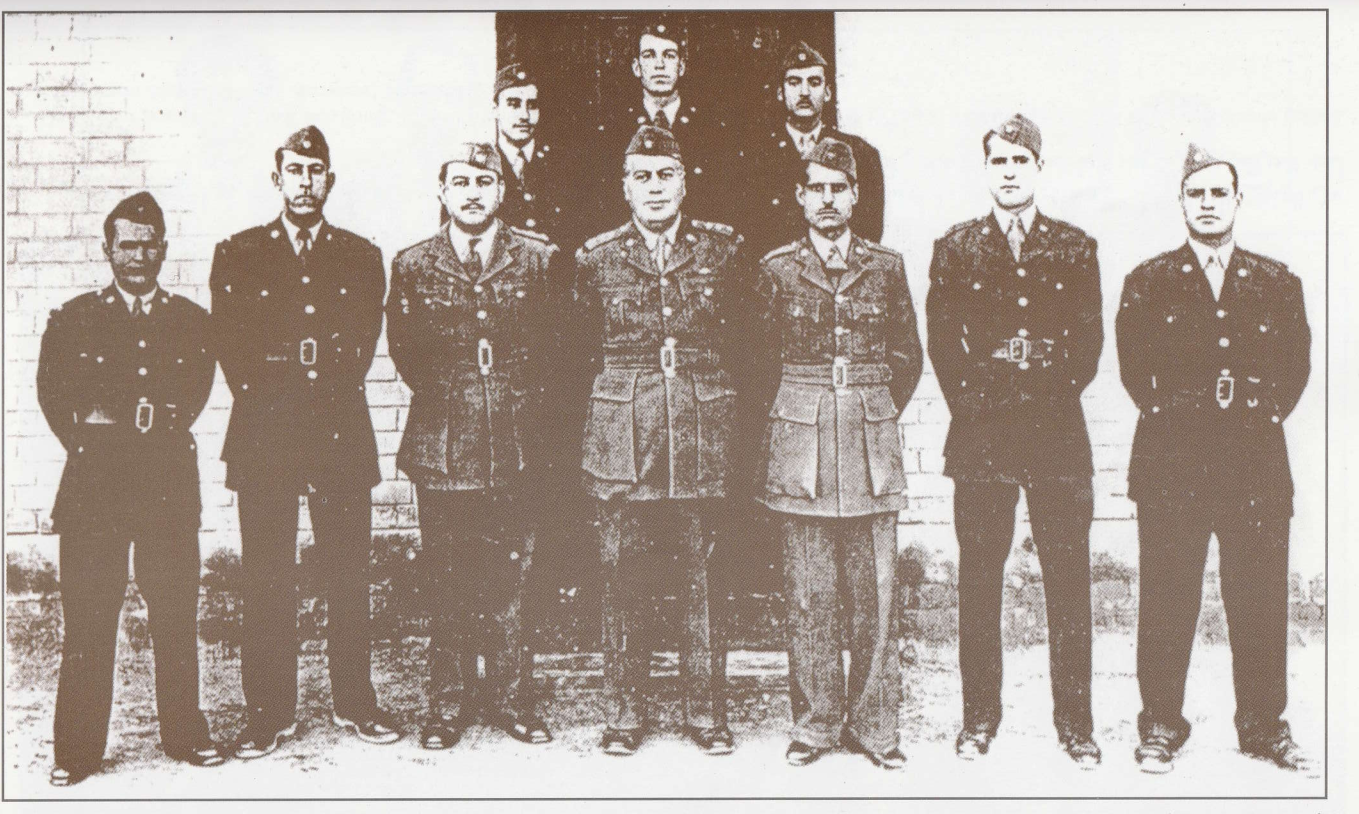
من اليمين إلى اليسار: الهاشمي عبد السلام الطود، صالح تواتي، حمادي العزيز (الريفي)، محمود الخفيفي، عبد الحميد الوجدي، محمدعرعار.

De droite à gauche : El Hachemi Abdeslam Taud, Salah Touati, Hammadi El Aziz « Er Rifi », Mahmoud L'khfifi, Abdelhamid El Oujdi, Mohammed 'Ar'ar.



من اليمين إلى اليسار: الهادي بن عمر، أحمد عبد السلام الريفي، يوسف العبيدي، عبد الحميد الوجدي، محمد إبراهيم بالقاضي، أحد العراقيين الأكراد، الهاشمي عبد السلام الطود، والجالس حمادي العزيز.

De droite à gauche : El Hadi Ben Omar, Ahmed Abdeslam Er Rifi, Youcef Labidi, Abdelhamid El Oujdi, Mohammed Brahim Belkadi, X Kurde irakien, El Hachemi Abdeslam Taud. *Accroupi* : Hammadi El Aziz « Er Rifi »



أول بعثة عسكرية للأمير عبد الكريم الخطابي إلى بغداد من 10 - 10 - 1948 إلى 30 - 6 - 1951.

الأشخاص أعلى الصورة من اليمين إلى اليسار: محمد ابراهيم بالقاضي، الهادي بن عمر، الهاشمي عبد السلام الطود.

أسفل الصورة من اليمين إلى اليسار : يوسف العبيدي، حمادي العزيز، الأشخاص الثلاثة وسط الصورة من العراق، عبد الحميد الوجدي، أحمد عبد السلام الريفي(حدو).

Premier groupe armé envoyé par l'Emir Abdelkrim El Khattabi à Baghdad du 10/10/1948 à 30/06/1951.

Premier rang au fond, de droite à gauche : Mohammed Brahim Belkádi, El Hadi Ben Omar, El Hachemi Abdeslam Taud.

Deuxième rang au premier plan, de droite à gauche : Youcef Labidi, Hammadi El Aziz, XXX tous trois venus d'Irak, Abdelhamid El Oujdi, Ahmed Abdeslam Er Rifi " Haddou ".

Proclamation No. 1
de l'Armée de Libération du Maghreb Arabe

PEUPLE NORD AFRICAIN

L'Armée de liberation Nord Africaine, constituée par l'ensemble des Mouvements de resistance d'Afrique du Nord à engagé la lutte historique contre l'envahisseur étranger en déclanchant des opérations communes.

Le Commandement de l'Armée de Libération, véritable émanation des Mouvements de résistance Nord-Africains, tient à proclamer solennellement tant auprès de l'opinion du Peuple Africain qu'auprès de l'opinion mondiale:

- Qu'il mènera la lutte jusqu'à la réalisation de L'Indépendance totale des pays du Maghreb Arabe et le retour du Sultan Sidi Mohamed Ben Youssef sur son Trône.
- Qu'il ne se considèrera nullement lié par tout accord passé ou futur ne réalisant pas l'objectif précédent.
- Qu'l considérera comme ne représentant qu'elle-même toute personne s'étant mise ou se mettant en contradiction avec les objectifs poursuivis par l'Armée de Libération et qui symbollisent les Aspirations réelles du Peuple Nord-Africain.

PATRIOTES MAGHREBINS

L'Armée de Libération, convaincue que la voie choisie étant la seule susceptible de réaliser nos objectifs sacrés, peut affirmer qu'après une longue préparation, elle possède désormais les moyens nécéssaires pour mener une lutte victorieuse.

Le Commandement de l'Armée de Libération

- Publiera périodiquement des communiqués émanant de son Etat-Major installé à l'intérieur du Pays
- Fait appel à tous les Patriotes pour que notre lutte soit une lutte organisée et les met en garde contre les fausses rumeurs que notre ennemi ne manquera certainement pas de faire circuler dans le but évident de discréditer le caractère sacré de notre combat et de créer une confusion propice à l'accomplissement de ses noirs desseins.
- Invite les Patriotes tout en cherchant la destruction de toutes les forces du colonialisme, à ne pas imiter ses méthodes criminelles, et à épargner les enfants, les femmes et les invalides selon les prescriptions de notre sainte religion
- Demande aux Etrangers résidant en Afrique du Nord d'observer pour le moins la plus stricte neutralité dans le conflit qui nous oppose au colonialisme français.

PATRIOTES MAGHREBINS

L'Armée de Libération, Votre Armée, fiere des traditions héroiques de nos grands Combattants Nord-Africains, fidèle à la mémoire de nos dizaines de milliers de martyrs, vous invite au Grand Combat sacré qui doit mener le Peuple Nord-Africain vers une ère de dignité et d'honneur.

ARMEE DE LIBERATION
DU MAGHREB
(Mouvement de Résistance Marocaine
Front de Libération Nationale Algérien

Le 3 Octobre 1955

لجنة تحرير المغرب العربي

مكتب الجزائر

فرع القاهرة

٣٢ شارع عبد الخالق ثروت

بناءً على قرار اللجنة المركزية لحزب الشعب الجزائري الصادر بالجزائر بتاريخ ١٩٥٤/٨/١٦ . والخاص بإرسال السيد الهاشمي عبد السلام المفوض إلى المملكة الليبية المتحدة للبحث عن الأسلحة وشرائها لصالح حركة التحرير الوطنية يسر وفد الجزائر في لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة أن يؤكد للسلطات الليبية أن حامله مفوض من قبل الحركة للقيام بهذه المهمة، ويرجو أن تقدم له جميع التسهيلات اللازمة .

حرر بالقاهرة بتاريخ ١٩٥٤/٩/١٤

عن الوفد الجزائري

محمد [illegible]

لجنة تحرير المغرب العربي

الوفد الجزائري

حزب الشعب الجزائري

الادارة العليا

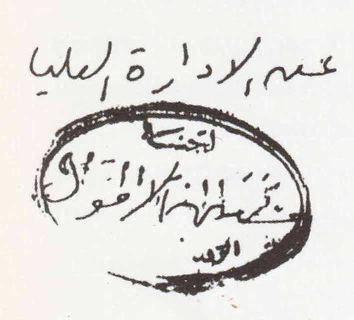
الجزائر في ١٦/ ٨ سنة ١٩٥٤

يسر حزب الشعب الجزائري أن يحيط جميع السلطات الليبية المسؤولة علماً بأن السيد الهاشمي عبد السلام الطود موفد ومفوض من قبل الحزب الى المملكة الليبية المتحدة في مهمة خاصة تتعلق بالبحث عن الاسلحة ونقلها الى الجزائر لصالح حركة التحرير الوطنية.

وقد أعطى الحزب لحامله هذا التفويض ليقدمه كشهادة رسمية منه للمسؤولين عند الطلب.

وحزب الشعب الجزائري اذ يزود مندوبه بهذا التفويض يرجو من السلطات الليبية الشقيقة أن تسهل له مهمته الوطنية.

عن الادارة العليا



نمرة ١٢٠٥٥
الرتبة متطوع
الاسم
الجنسية
المهنة
عنوان السكن

بكباشي أ.ح
قائد معسكر المتطوعين

التاريخ ١٢/٢/١٩٤٨



محمد بوضياف
Mohamed Boudiaf

- L'état d'esprit dominant pour ce qui est de la nécessité de l'entraide et de l'unification de la lutte.
- Les diverses initiatives de liaison entre les trois pays du Maghreb.
- La relation personnelle de Bachir El Kadi avec el Hachemi Taud.
- La désignation de l'auteur du témoignage dans la mission d'établir des liens avec Benghazi et le mouvement de Omar El Mokhtar.
- Les liens entre la Délégation extérieure du MTLD et Taud, et entre ce dernier et Ben Bella.
- Le rôle du Comité de Libération du Maghreb, l'entraide et la coordination entre la résistance algérienne et tunisienne en 1954.
- La situation intérieure au MTLD et au CRUA.
- Les négociations tuniso-françaises et la position des opposants tunisiens et des nationalistes algériens.
- L'opposition de Salah Benyoucef à Bourguiba et les divergences entre Benyoucef et Tahar Lassoued ainsi que les tentatives de conciliation initiées par les nationalistes algériens en direction des protagonaistes tunisiens.
- Les négociations entre Ahmed Ben Bella et Habib Bourguiba.

Safia El Amrani

La poésie et la résistance dans le sud marocain : 1930-1956

Notre intervention portera sur la poésie que la résistance armée contre l'occupation française avait suscitée pendant une période très mouvementée dans l'histoire contemporaine du Maroc (1930 – 1956).

Ces textes poétiques sont aujourd'hui une des sources majeures pour tout chercheur voulant écrire l'histoire de la résistance et de l'armée de libération.

de Libération du Maghreb arabe, la fondation de « Nadi Tollab al Maghrib al Arabi » au Caire en 1956, réunit dans un cadre commun les militants étudiants de l'unité maghrébine. En fait, le « nadî » a été l'aboutissement d'activités en commun, commencées depuis des années.

Suez, après Dien Bien Phu et Bandœng, ouvrait de nouveaux espoirs et de nouvelles dimensions à la lutte de libération nationale. C'est dans ce climat que se développait une culture politique où l'unité maghrébine était perçue, certes, comme un élément faisant une partie d'ensembles plus vastes, mais aussi comme un objectif légitime et réalisable par la voie de la lutte commune.

C'est pourquoi les acteurs maghrébins les plus engagés dans la voie unitaire, étaient naturellement considérés comme les meilleurs représentants des aspirations des peuples maghrébins.

On connaît dans ce sens le rôle de Mohammed Abdelkrim Al Khattabi, de Youcef Rouissi et de Salah Ben Youcef. Tous les trois ont joué, à des moments et à des degrés différents, un rôle dans cette lutte commune. Les raisons de l'échec de ces activités restent une leçon de l'histoire à ne pas perdre de vue.

C'est dans ce cadre que nous voudrions évoquer les activités de quelques militants maghrébins qui étaient à la fois compagnons de lutte et amis et qui se sont trouvés au point de départ au moins en partie involontaire, de ce qu'on a appelé le complot des colonels ou le complot de La'mouri : al Hachemi Taud, Mostafa Lakehal et Brahim El'âmrani.

BACHIR EL KADI

Dirigeants marocains, tunisiens et algériens, ententes et divergences

Ce témoignage porte sur plusieurs aspects de la coordination des armées de libération du Maghreb :

le fut un véritable choc pour la quatrième République française qui, dès lors, a vu ses gouvernements entrer en crise les uns après les autres.

Il était devenu clair pour lui que la coordination entre Marocains et Algériens était plus que nécessaire… et qu'il était indispensable d'avoir un dirigeant arabe, qui ne pouvait être autre que le président Djamel Abd Nasser qui a assumé cette responsabilité malgré l'opposition de certains membres du conseil de la révolution égyptienne.

NAWAL EL MOUTAZAKKI
Les partis nationalistes marocains et le Bureau du Maghreb Arabe au Caire

La communication porte sur les étudiants maghrébins au Caire et leur rôle dans la défense de la cause de la libération du Maghreb auprès des organisations estudiantines et syndicales. Il est également question du rôle du Bureau du Maghreb arabe, de la Ligue arabe et du Comité de défense du Maroc, du Congrès du Maghreb arabe en 1947 et de ses décisions.

Il est enfin question des relations entre la Délégation extérieure du MTLD et le bureau du Maghreb arabe et, pour ce dernier la position de Raschid Idriss et Abdelkrim Ghallab.

LEMNOUER MEROUCHE
Les Militants maghrébins au Caire et la lutte armée en Algérie

Le déclenchement de la lutte armée en Algérie, et, quelques mois après, l'évolution accélérée de la situation au Maghreb, ont donné un nouveau relief à l'unité maghrébine, concrétisée par les activités communes menées par les combattants sur le terrain.

Comme en écho à la création du Comité de Coordination de l'Armée

du mouvement national est aussi abordée pour la période entre 1954 et 1955 ainsi que des liaisons avec la résistance tunisienne. Le témoignage évoque enfin les vues de Djamel Abdel Nasser sur la révolution algérienne.

ABDELATIF JABROU

Le rôle éminent de Mohamed Boudiaf dans la coordination des actions armées au Maghreb et dans le monde arabe

Après l'indépendance, Mohammed Boudiaf a vécu dans l'éloignement les problèmes qu'a hérités l'Algérie de la période coloniale. Depuis la ville de Kenitra où il a résidé près d'un quart de siècle, il a suivi les événements qui ont agité son pays jusqu'à ce que soit venu pour lui le moment de répondre aux nombreux appels de toutes parts qui lui demandaient avec insistance de revenir prendre en mains et assumer la responsabilité de la direction du peuple dans un moment crucial de l'histoire de sa patrie.

Il fut assassiné alors qu'il était en charge de la direction de l'Etat. Tel était le destin de l'un de ceux, parmi les dirigeants historiques, qui ont combattu le colonialisme français.

Il disait qu'il était de ceux qui croyaient en l'unité de l'Afrique du Nord. Il a été élevé et éduqué selon ce principe alors qu'il était militant du parti du peuple et il a tenté de le matérialiser durant la guerre de libération, guerre menée par les enfants du Maroc et de l'Algérie qui croyaient en l'idée de l'unité et du destin commun du Maghreb arabe.

Dans ses dernières déclarations, Mohammed Boudiaf insistait sur sa conviction d'une paix et d'une concorde entre le Maroc et l'Algérie. Il déclarait qu'il travaillerait dans ce sens alors même qu'il était en charge de la présidence. Il a effectivement fait en sorte de créer un climat de fraternité, de rapprochement et de coopération entre les Etats de la région.

A propos de la révolution du 1er novembre 1954, il disait qu'elle avait commencé par des actions armées sur l'ensemble du pays et qu'el-

du mouvement national est aussi abordée pour la période entre 1954 et 1955 ainsi que des liaisons avec la résistance tunisienne. Le témoignage évoque enfin les vues de Djamel Abdel Nasser sur la révolution algérienne.

Abdelatif Jabrou

Le rôle éminent de Mohamed Boudiaf dans la coordination des actions armées au Maghreb et dans le monde arabe

Après l'indépendance, Mohammed Boudiaf a vécu dans l'éloignement les problèmes qu'a hérités l'Algérie de la période coloniale. Depuis la ville de Kenitra où il a résidé près d'un quart de siècle, il a suivi les événements qui ont agité son pays jusqu'à ce que soit venu pour lui le moment de répondre aux nombreux appels de toutes parts qui lui demandaient avec insistance de revenir prendre en mains et assumer la responsabilité de la direction du peuple dans un moment crucial de l'histoire de sa patrie.

Il fut assassiné alors qu'il était en charge de la direction de l'Etat. Tel était le destin de l'un de ceux, parmi les dirigeants historiques, qui ont combattu le colonialisme français.

Il disait qu'il était de ceux qui croyaient en l'unité de l'Afrique du Nord. Il a été élevé et éduqué selon ce principe alors qu'il était militant du parti du peuple et il a tenté de le matérialiser durant la guerre de libération, guerre menée par les enfants du Maroc et de l'Algérie qui croyaient en l'idée de l'unité et du destin commun du Maghreb arabe.

Dans ses dernières déclarations, Mohammed Boudiaf insistait sur sa conviction d'une paix et d'une concorde entre le Maroc et l'Algérie. Il déclarait qu'il travaillerait dans ce sens alors même qu'il était en charge de la présidence. Il a effectivement fait en sorte de créer un climat de fraternité, de rapprochement et de coopération entre les Etats de la région.

A propos de la révolution du 1er novembre 1954, il disait qu'elle avait commencé par des actions armées sur l'ensemble du pays et qu'el-

• Fin de l'armée de libération : l'indépendance acquise, intervention de l'armée française, lâchage du côté algérien ...

Pour plus de clarté, quatre documents sont annexés aux textes de cette communications.

• Carte des foyers de résistance Youssefiste en Tunisie.
• Chronologie de l'opposition Youssefiste.
• Chronologie des opérations militaires.
• Chronologie de la soumission des unités de l'ALNT.

Conclusion : La résistance armée sous la bannière de l'armée de libération nationale a contribué à parachever l'indépendance de la Tunisie et a obligé le régime de Bourguiba à soutenir la résistance algérienne et à tenir un discours pan-maghrégin et progressiste. Cependant, arrivée un peu plus tard, cette résistance n'a pu tenir longtemps. En contradiction avec les stratégies des forces en place : des Tunisiens qui cherchaient à conquérir le pouvoir et à garantir leurs intérêts au plus vite et des Français soucieux d'éviter tout embrasement révolutionnaire de a région, elle était écrasée dans le sang.

M'HAMED YAZID

A la veille du 1er novembre 1954. Débats internes au mouvement national et effets des luttes internationales

L'objet de ce témoignage porte sur les conditions générales et particulières qui ont présidé à la veille du déclenchement du 1er novembre et sur les événements survenus entre 1954 et 1955. Il insiste particulièrement sur l'état des relations et les difficultés de contact entre Maghrébins, et sur les relations entre le Parti du peuple algérien et l'Allemagne.

Le témoignage porte aussi sur les relations entre Mohammed Boudiaf et les mouvements nationaux du Moyen-Orient et du Maghreb ainsi qu'avec les chefs de la Ligue arabe. La représentation extérieure

armé en contacts avec Abd el Krim. C'est cette voie seconde qui compte car les déclarations d'intention des représentants des partis nationalistes s'annulent, sauf passages à l'acte dans les conflits nationalistes internes de leadership. C'est le cas en Tunisie et pour partie la décision de l'insurrection algérienne. N'est-ce pas l'annonce de la coupure avec les « organiques » de la volonté de pouvoir par la maîtrise du Parti identifié au Mouvement national et déjà de l'Etat par la mise en place de ses appareils? L'activisme est un rêve éveillé.

L'explication de la marginalisation de l'activisme aurait à voir et avec le problème des minorités et des migrations, et avec la question sociale d'un nationalisme qui opère un reclassement bourgeois par l'Etat, laissant à eux-mêmes et aux récidives en clandestinité, les engagés du populisme insurrectionnel.

AMIRA ALEYA-SGHAIER

L'Armée de libération de Tunisie, sa réalité et son destin

La résistance armée en Tunisie avortée, une première fois au mois de décembre 1954 sous la pression de la France et en réponse à l'appel du Néo-Destour, a repris au mois de décembre 1955 dans un mouvement de refus des accords du 3 juin 1955. L'intervention en force de l'armée française, au printemps 1956, contre les unités combattantes au sein de ce qui était appelé « Armée de libération nationale tunisienne » a mis fin à cette aventure. Cette communication a pour ambition de mettre en évidence certains points en rapport avec cette question :

- Le cheminement vers la reprise de la résistance armée.
- Les forces politiques et sociales soutenant « la deuxième révolution ».
- Le choix de la résistance armée : conviction ou opportunisme ?
- L'armée de libération : les hommes, les forces, l'armement, les faits d'arme, les rapports avec la résistance algérienne.

Cette communication tentera de présenter l'ensemble des positions qui marquent la résistance au régime du protectorat durant ses principales étapes à la lumière de ces deux notions : « extrémisme » et « modération ».

1. L'extrémisme semble lié à l'élite classée dans l'ensemble dans le cadre du « conservatisme » et « la stagnation » tandis que la modération, tout au contraire, est classée dans le cadre de « l'ouverture et de la perspective de longue durée ».

2. Cependant, la position des modérés n'exclut pas le recours à l'extrémisme de temps à autre. Ceci est généralement lié à « la fermeture » du « dialogue ». Mais il apparaît très vite que les choses reviennent à la modération de telle sorte que l'extrémisme n'aurait servi que de moyen délibéré pour exercer une pression au bénéfice final de la modération. Et cette dernière particularité correspond très bien à la façon dont l'indépendance a été acquise. La lutte armée qui a commencé dans les villes vers la fin des années 40, et s'est étendue avec force dans le début des années 50, s'est avérée une force de pression telle qu'elle a convaincu les Français de trouver une solution au problème du Maroc. Mais une fois que le problème a été résolu dans son principe, la question qui se pose est de savoir :

- Qui a négocié pour la résolution du problème ?
- Pourquoi furent-ils les « modérés » ?
- Comment s'est posé le problème dans son ensemble ?
- Quelles furent ses principales étapes et ses aspects ?
- Quels furent les points sur lesquels les positions ont été les plus résolues ?

C'est ce que ce travail tentera de mettre en évidence

RENÉ GALISSOT

La marginalisation du populisme insurrectionnel : projet et abandon de l'Armée de libération du Maghreb

Le projet est déjà double entre l'affichage du Bureau du Maghreb de la Ligue arabe, et les liens et préparatifs entre activistes du soulèvement

Cette communication tentera de présenter l'ensemble des positions qui marquent la résistance au régime du protectorat durant ses principales étapes à la lumière de ces deux notions : « extrémisme » et « modération ».

1. L'extrémisme semble lié à l'élite classée dans l'ensemble dans le cadre du « conservatisme » et « la stagnation » tandis que la modération, tout au contraire, est classée dans le cadre de « l'ouverture et de la perspective de longue durée ».

2. Cependant, la position des modérés n'exclut pas le recours à l'extrémisme de temps à autre. Ceci est généralement lié à « la fermeture » du « dialogue ». Mais il apparaît très vite que les choses reviennent à la modération de telle sorte que l'extrémisme n'aurait servi que de moyen délibéré pour exercer une pression au bénéfice final de la modération. Et cette dernière particularité correspond très bien à la façon dont l'indépendance a été acquise. La lutte armée qui a commencé dans les villes vers la fin des années 40, et s'est étendue avec force dans le début des années 50, s'est avérée une force de pression telle qu'elle a convaincu les Français de trouver une solution au problème du Maroc. Mais une fois que le problème a été résolu dans son principe, la question qui se pose est de savoir :

- Qui a négocié pour la résolution du problème ?
- Pourquoi furent-ils les « modérés » ?
- Comment s'est posé le problème dans son ensemble ?
- Quelles furent ses principales étapes et ses aspects ?
- Quels furent les points sur lesquels les positions ont été les plus résolues ?

C'est ce que ce travail tentera de mettre en évidence

René Galissot

La marginalisation du populisme insurrectionnel : projet et abandon de l'Armée de libération du Maghreb

Le projet est déjà double entre l'affichage du Bureau du Maghreb de la Ligue arabe, et les liens et préparatifs entre activistes du soulèvement

- Quelques aspects du congrès du PPA-MTLD en 1953.
- Les différends entre Messali Hadj et le comité central.
- Constitution du CRUA.
- Les relations avec Messali Hadj et sa position quant à la lutte armée.
- Les relations avec le comité central et sa position quant à la lutte armée.

MOHAMMED BEN SAÏD AÏT IDIR

Aux débuts de la conscience. La nécessité de la lutte armée

La lutte militante a été marquée sur le plan politique par des choix et des options très diversifiés depuis les salafistes réformistes jusqu'aux partisans de la violence révolutionnaire. La nouvelle élite a joué un rôle d'avant-garde dans la renaissance de la vie politique et sociale et a du affronter les mesures répressives de l'administration coloniale avec tout son arsenal de lois et de mesures visant à briser le mouvement d'indépendance. C'est dans ces conditions qu'a commencé la conscience d'un recours nécessaire à la lutte armée. Cette idée s'est répandue dans de larges couches de la population et au sein des organisations politiques nationalistes au point que la poursuite des démonstrations pacifiques, des manifestations et des rassemblements a bientôt fait de laisser place à une radicalisation croissante n'ex-cluant plus l'affrontement armé avec les forces coloniales.

MOHAMMED MAROUF DEFFALI

Modérés et extrémistes dans le mouvement national marocain

Des lieux communs qui se dégagent du débat sur l'histoire de la résistance au régime du Protectorat au Maroc, l'un des plus persistants est que « l'extrémisme » domine tant que l'initiative est aux mains des élites rurales. Ce dernier se replie pour laisser place à « la modération » lorsque l'initiative revient aux élites citadines.

EL HACHEMI ABDESSELEM TAUD

Aux origines de la coordination. Témoignage d'un fondateur

L'auteur traite des grands événements qui ont contribué à la naissance d'une vision maghrébine de l'action armée dans le Maghreb arabe entendu alors comme comprenant l'Algérie, la Tunisie et le Maroc.

— Après un rapide parcours des grands événements internationaux et un rappel des mouvements de libération en Afrique, Asie et en Amérique latine, il se concentre sur les premières tentatives de coordination qui commencent en 1947 avec la déclaration de l'ONU sur le partage de la Palestine. C'est le premier appel au Jihad de Mohamed Abdelkrim El Khattabi lancé à la nation arabe et musulmane pour la cause de la Palestine. Il est question de la création en 1948 de la Commission de libération du Maghreb et de la présence au Caire de la majorité des leaders politiques maghrébins ou de leurs représentants. Devant le refus de la plupart d'entre eux d'envisager la lutte armée, l'Emir Abdelkrim charge un petit comité composé de 5 militaires et d'un homme politique d'élaborer un plan militaire global en vue de créer une armée de libération au Maghreb, sur les trois fronts : Algérie, Tunisie et Maroc.

ABDELHAMID MEHRI

La question du passage à la lutte armée

Ce témoignage insiste sur l'importance des liens entre les mouvements de libération dans le Maghreb arabe. Il traite en particulier des points suivants :

- Les conditions qui ont amené à la rencontre avec Mohammed Boudiaf et les liens qui se sont tissés entre ce dernier et l'auteur.
- Constitution d'un comité restreint composé de quelques militants et le rôle que l'auteur a assumé.

EL HACHEMI ABDESSELEM TAUD

Aux origines de la coordination. Témoignage d'un fondateur

L'auteur traite des grands événements qui ont contribué à la naissance d'une vision maghrébine de l'action armée dans le Maghreb arabe entendu alors comme comprenant l'Algérie, la Tunisie et le Maroc.

— Après un rapide parcours des grands événements internationaux et un rappel des mouvements de libération en Afrique, Asie et en Amérique latine, il se concentre sur les premières tentatives de coordination qui commencent en 1947 avec la déclaration de l'ONU sur le partage de la Palestine. C'est le premier appel au Jihad de Mohamed Abdelkrim El Khattabi lancé à la nation arabe et musulmane pour la cause de la Palestine. Il est question de la création en 1948 de la Commission de libération du Maghreb et de la présence au Caire de la majorité des leaders politiques maghrébins ou de leurs représentants. Devant le refus de la plupart d'entre eux d'envisager la lutte armée, l'Emir Abdelkrim charge un petit comité composé de 5 militaires et d'un homme politique d'élaborer un plan militaire global en vue de créer une armée de libération au Maghreb, sur les trois fronts : Algérie, Tunisie et Maroc.

ABDELHAMID MEHRI

La question du passage à la lutte armée

Ce témoignage insiste sur l'importance des liens entre les mouvements de libération dans le Maghreb arabe. Il traite en particulier des points suivants :

- Les conditions qui ont amené à la rencontre avec Mohammed Boudiaf et les liens qui se sont tissés entre ce dernier et l'auteur.
- Constitution d'un comité restreint composé de quelques militants et le rôle que l'auteur a assumé.

*RÉSUMÉS**

* Les articles en langue arabe sont résumés en français.
Les articles en langue française sont résumés en arabe.

d'avance à accepter la loi de la défaite. Mais y a-t-il vraiment eu reconnaissance envers ces courageuses femmes nationalistes malgré elles ? N'ayant pas eu de formation politique ni d'objectif patriotique, ces femmes étaient simplement motivées par leur esprit de solidarité et leur amour pour leur pays. La plupart d'entre elles avaient soit leur mari soit leur frère dans le mouvement de libération avec les autres résistants et qui par conséquent arrivaient à encadrer leurs épouses.

En remerciement de leur combat, certaines femmes marocaines ont éventuellement reçu quelques compensations tel un logement, une pension alimentaire, ou bien un agrément de taxi. Mais est-ce que cette reconnaissance est équitable par rapport au sacrifice qu'elles ont offert vu que beaucoup d'entre elles n'ont rien reçu en retour et d'autres ont été récompensées sans avoir vraiment participé au combat ! Il semblerait que la femme algérienne et la femme tunisienne aient subi le même sort étant donné qu'elles ont vécu la même histoire.

pectif, pour comprendre que toutes ces femmes qui ont combattu auprès des résistants marocains ont représenté dans leur ensemble une force extraordinaire, pleine de possibilités et de perspectives. Mais puisées individuellement, elles sont engluées dans leur vie familiale, dans un espace dûment signifié, défini, limité.

En plus de la garde et de l'éducation des enfants en l'absence du mari, la combattante marocaine a joué un rôle important en tant que messagère, cuisinière, infirmière, organisatrice de réunions secrètes. Elle a aussi transporté les armes d'un camp à un autre, d'une ville à une autre ; elle a soigneusement caché les armes qui ont été ultérieurement remises aux combattants ; elle a transformé en cas de besoin sa demeure en un lieu de réunions secrètes pour les membres de la Résistance, en un point de repère pour un échange d'informations importantes entre les chefs de la Résistance, en un abri sur pour les fugitifs. La création spontanée de ce noyau féminin a suscité une certaine effervescence et des moments de grande euphorie dans la société marocaine. Malgré la haute surveillance française, les femmes réussissaient à cacher et à soigner les combattants ; certaines s'organisaient pour ramener les corps des lieux de bataille et les enterrer. A la campagne, la femme marocaine par patriotisme a assuré le côté économique en cultivant les champs, une tache qui normalement ne lui incombait pas. Non seulement elle a courageusement fait face à la réaction souvent violente des soldats français. Certaines femmes enceintes qui n'hésitaient pas à s'allier aux hommes ont perdu leurs bébés. Ainsi en participant aux manifestations et en accompagnant les hommes dans leur combat, la femme marocaine s'est libérée de l'interdit traditionnel qui la confinait à un espace domestique restreint.

Face à l'ennemi commun, hommes et femmes marocains furent traités de la même manière par les soldats français : emprisonnement et châtiment corporel. Les témoignages ont prouvé qu'elles étaient capables non seulement de subir mais aussi de résister au supplice. Pour elles, résister, c'était sans doute combattre, mais aussi refuser

roger l'histoire. La résistance est pour le Maroc un élément essentiel de son histoire. Pourtant, il n'y a pas de véritable histoire de la Résistance. Nombreux sont les récits, les mémoires, les monographies mais rares encore les histoires générales de la Résistance intérieure prise dans son ensemble.

Dans l'histoire du Maroc, la femme improductive et recluse n'a existé que comme un cas très exceptionnel. Une analyse critique de la connaissance sur la femme marocaine est nécessaire pour faire avancer la réflexion sur la question. Qu'il soit historique, juridique ou politique, le discours occulte le rôle de la femme comme actrice dans l'histoire, partenaire à part égale dans le droit, ou citoyenne à part entière dans le champ politique.

Il est admis par les spécialistes marocains de la Résistance que les archives écrites étaient rares et gravement lacunaires. Cette déficience étant déplorée et entérinée, et les sources écrites réputées squelettiques, la seule alternative est d'avoir recours aux sources orales. C'est seulement sur la pertinence de ce type de sources et sur l'importance qu'il convient de leur reconnaître et de leur attribuer qu'a porté le débat sur la participation féminine dans le mouvement de libération. La difficulté à penser réellement la place de la femme marocaine dans la résistance après tant d'années démontre l'intérêt et la nécessité d'une approche diversifiée, croisée. Plutôt que de se demander, selon le pont que l'on privilégie : « les femmes ont-elles résisté autant que les hommes ? », ou bien « comment se peut-il que l'action soit minorée ? », il faudrait peut-être poser cette simple question : « comment ont-elles résisté ? ».

Bien que le nombre de femmes marocaines ayant participé dans le mouvement de libération reste faible par rapport à celui des hommes, il n'en demeure pas moins qu'il faut retenir la qualité de leur participation. La résistance des femmes se fit sur un mode d'intervention où l'efficacité se conjuguait avec la discrétion. Leur participation ne fut pas marginale ou seconde pour autant ! Il suffit de jeter un regard rétros-

Participation de la femme marocaine au mouvement de libération : un aperçu

KHADIJA SAFIEDDINE*

Je voudrais tout d'abord remercier, au nom de mes collègues marocains et en mon nom propre, la fondation Boudiaf avec à sa tête Mme Fatiha Boudiaf et les membres du comité d'organisation pour leur invitation. Ce colloque, qui a réuni de nombreux chercheurs maghrébins, manifeste l'importance que la fondation attache aux mouvements de libération et de l'indépendance. Il s'inscrit dans le cadre d'une mobilisation très large d'éminents historiens et chercheurs en vue de réfléchir sur un problème souvent épineux de par la subjectivité profonde qu'il engendre. Développer le discours scientifique sur les mouvements de libération et sur la condition féminine dans ce processus est certainement une manière de soulever un sujet très sensible et de contribuer à l'amélioration de cette condition. Et éclairer les phénomènes sociaux, les expliquer, les restituer dans les réseaux de pouvoir et d'influence qui en déterminent la perception est un des rôles et privilèges de l'intellectuel dans sa société.

Le Maghreb ne cesse de nous interpeller et pour mieux comprendre ce qu'il est devenu de nos jours, il faut sans cesse revenir sur son passé et éclairer certains points encore négligés. En fait, il faut toujours inter-

* Université Hassan II, Faculté des lettres. Cassablanca.

Tunis s'estompent au profit de relations de genre nouveau. Ils seront chargés d'acheminer des convois d'armes en provenance des frontières sud au profit des résistants algériens. Tahar Lassoued rejoindra pour une certaine période le maquis algérien avant d'être chargée de commander « l'Armée de Libération de l'Afrique du Nord ».

Qu'en est-il des résistants ordinaires ? leurs témoignages ne sont dans la plupart des cas qu'une apologie de la famille, du clan, de la tribu. Le « Nous » qu'ils emploient très souvent dissimule une volonté de paraître unis devant l'enquêteur. Leur rôle personnel est totalement effacé sous le poids du charisme des chefs qu'ils ont suivi. Pour eux, le parti n'est qu'une illustration du nationalisme des intellectuels. Ils restent étrangers aux divisions qui y surviennent de temps à autre et n'ont pas honte d'avouer qu'ils ne comprennent encore pas pourquoi Bourguiba et ses amis ont quitté le Destour de Thaalbi ou d'avancer qu'ils ne croyaient vraiment pas au désaccord entre Bourguiba et Ben Youssef. Or, ce sont eux plus que les chefs qui sont représentatifs de la réalité de la résistance. Ces derniers ne faisant que donner une interprétation politique à des comportements plus ou moins instinctifs. Ainsi, la solidarité politique, partisane, quand elle ne parvient pas à véhiculer les tensions internes de la tribu, éclate et devient elle-même source de tensions.

NOTES

1. Les témoignages sur lesquels nous nous basons sont conservés à l'Unité d'histoire orale de l'Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National (ISHMN) à Tunis. Ils sont le résultat d'une enquête que j'ai mené avec mon ami H. Kazdaghli dans la région de la Hamma de Gabès.

colonie à Tunis ; ils avaient leurs propres institutions dont par exemple la cellule de Sidi Jebali. Les relations très étroites entre cette colonie et la Hamma furent davantage renforcées avec le déclenchement de la résistance armée. L'association réussit à acheminer aux hammis de Tunis des armes et des munitions à volonté par le biais d'un spahi du Contrôle civil, ex-officier de l'armée française devenu membre de l'association. Une bonne partie de ces armes furent même prélevée sur le stock d'armes de guerres collectées par les autorités auprès des populations civiles. Le noyau nationaliste du Contrôle civil a même assuré l'acheminement en Tripolitaine de quelques uns des résistants de Tunis qui, à la suite d'attentats, étaient activement recherchés. Bien plus, les nationalistes de la Hamma sont, semble-t-il, les premiers résistants avec lesquels la direction du parti établit le contact. Le parti s'est trouvé dans l'impossibilité de réussir une quelconque action au sud sans le concours des hammis qui s'étaient déjà habitués à l'activité clandestine ; les Hammis de Tunis facilitèrent le contact, ceux de la Hamma, Taieb Ben Belgacem en tête, permettront au parti de contrôler effectivement la résistance. Ces relations seront rudement éprouvés lors du différend Bourguibo-Youssefiste quand la majorité des Hammis rejoignirent le clan Ben Youssef. Les récalcitrants les suivront quand la répression des comités de vigilance s'abattit sur la ville. Quelques beldis notoires sont ainsi assassinés poussant les plus modérés à rejoindre l'opposition. Taieb Ben Belgacem en fit partie et sera poussé à se réfugier auprès des maquisards dans les montagnes environnantes. Il n'est plus délégué du parti mais conserve toutefois une certaine notoriété. Sassi Lassoued installera son Quartier Général à la Hamma même, essayant de s'imposer par la terreur de ses *Comités de vigilance* après avoir échoué à gagner le respect des hammis. Assistons-nous à une certaine forme de revanche ? la rupture sera consommée entre les anciens compagnons d'armes et Sassi Lassoued parvient avec ses hommes à occuper un territoire qui lui était jusque-là fermé. Les youssefistes hammis tenteront une nouvelle métamorphose ; les relations avec

le luxe d'étudier à la Zeytouna, il s'intègre rapidement dans la vie de la Grande mosquée. Le monde zeytounien eut un grand effet sur le parcours intellectuel de l'homme bien qu'il affirme s'être engagé dans l'action nationaliste avant même de partir à Tunis. Il militera au sein de la cellule destourienne de Sidi Jebali, cellule composée exclusivement de hammis. A son retour à la Hamma, et jouissant de son statut de zeytounien, il commença un travail actif de propagande dans les douars de la région, diffusant les principes du parti et prêchant l'union autour du slogan du *Djihad*. Il fut soutenu dans son effort par un autre zeytounien, Cheikh Abderrahmane Hamdi. La propagande des deux hommes semble avoir bien réussi chez les bédouins. Taieb Ben Belgacem semble avoir sincèrement cru dans la capacité de l'union politique autour des principes nationalistes à endiguer les animosités claniques. Plus tard il réussira à mettre sur pied une organisation terroriste clandestine composée de militants de toutes les fractions de la tribu. Cette association, fondée selon lui le 22 décembre 1951 voit ses effectifs passer de 6 membres fondateurs à plus de 60 membres actifs à la fin du mois de février 1952. Le témoin affirme que la fondation de la dite association fut une improvisation locale eu regard au contexte politique immédiat qui, avec la note française du 15 décembre 1951, mit fin à toute action politique pacifique. Quelques documents en possession de Taieb Ben Belgacem, dont l'authenticité ne fait pas de doute, renforce l'hypothèse d'une association souterraine très solide ; les membres sont recrutés dans les organisations de jeunesse, sont sévèrement testés et font l'objet d'une enquête méticuleuse. *L'association du fer et du feu* se spécialisa dans le terrorisme urbain tout en s'engageant à fournir aux maquisards armes et munitions et à s'occuper des familles des résistants. Avec cette association, la Hamma devient une véritable plaque tournante de la résistance. Elle réussit en effet à infiltrer le Contrôle civil et à se garantir ainsi une bonne source de renseignements. Ses activités dépassèrent vite le cadre de la région pour s'étendre jusqu'à Tunis. En effet, les Hammis formaient une grande

il ne réussira pourtant jamais à s'imposer à El Hamma comme chef respecté.

Le discours des témoins laisse toujours apparaître des divisions d'origine tribale. Ces divisions ont été un véritable défi pour les nationalistes locaux ; irréductible, l'esprit de clan se manifeste à toutes les occasions ; l'autorité du chef de bande s'accroît quand il est dans le territoire de sa tribu, elle est chétive ailleurs. Des bandes entières sont parfois composées de cousins ; un différend personnel prend rapidement une dimension menaçante pour l'unité du groupe ; parfois, l'idéologie du *Djihad* parvenait à calmer les tensions. Ce sont notamment les chefs locaux du Destour qui proposaient ou imposaient leur médiation chaque fois que l'unité des combattants est menacée ce qui nous ramène à un personnage clé, Taib Ben Belgacem.

Pour quelques uns, il n'était qu'un délégué du parti ; son rôle ne consistait donc qu'à transmettre les consignes de la direction de Tunis, mais nous savons qu'en fait il jouait un rôle beaucoup plus important. Toutefois, son autorité fut aussi contestée. Lors des pourparlers Franco-Tunisiens de 1954, il n'avait pas réussi à imposer les consignes du parti qui voulait un arrêt des opérations. Il avait même été victime d'un attentat qui faillit lui coûter la vie. était-il contesté parce qu'il représentait le parti ? Des indices permettent de penser qu'il l'était surtout à cause de son origine beldie ; les beldis étaient très minoritaires dans l'action armée, la plupart d'eux n'y étaient que parce qu'ils ne pouvaient plus continuer leur activité clandestine au sein de l'organisation de Taieb Ben Belgacem. D'autre part, il serait possible que les combattants, issus des fractions nomades, se sentaient moins indépendants en présence des beldis surtout quand ceux-ci prétendaient au rôle de direction. l'action armée leur offrait un épanouissement qu'ils auraient jugé incompatible avec une ingérence de ce genre. Ainsi, la solidarité qui est classique et politique, coexiste avec son corollaire, l'esprit de dissidence .

La carrière politique de Taïb Ben Belgacem propose en fait un autre genre de comportement ; issu d'une famille moyenne qui put lui offrir

à calmer les esprits. Les résistants s'étaient divisés lors de cet épisode entre *Kharja* et *Chiyyab*, la médiation ne pouvait réussir que si elle venait d'un beldi, ce qui était le cas de Ibrahim Fatnassi, ou d'un étranger comme ce fut le cas de Ali Dhahri, originaire des *Hzam* de Gabès ; jusqu'au moment du différend Tahar Lassoued était le chef unique, et si ce différend ne le discrédite pas aux yeux des Beni Zid, il lui confirma toutefois qu'il est devenu contesté et que d'autres chefs, nés d'hier, ne tarderont pas à surgir un peu partout. Il allait prendre une décision grave, celle de quitter la région pour poursuivre son action au nord du pays. En partant, voulait –il préserver son image ? voulait-il conserver l'unité des Beni Zid ? Dans son témoignage, il donne une seule explication : les nécessités de la lutte armée avaient exigé de répandre les opérations dans tout le pays. Sassi Lassoued quittera lui aussi la région probablement pour les mêmes raisons. les témoignages recueillis s'accordent toutefois pour lui réserver un profond mépris ; les jugements les plus pondérés affirment que son caractère ambitieux est la cause de son impopularité. En fait, l'ambition ne peut, à elle seule, expliquer ce phénomène. Sassi Lassoued fut le seul qui brisa le consensus hammi à deux reprises, et il semble que sa rivalité avec Tahar Lassoued et sa volonté de lui nuire a toujours déterminé son comportement politique. La deuxième occasion se présenta pour lui au cours du différend Bourguiba-Ben Youssef, quand il attendit de connaître la position de Tahar Lassoued pour se rallier au camp opposé. Il sera le chef des comités de vigilance instaurés par le parti tandis que Tahar Lassoued était le Chef de l'Armée de Libération de la Tunisie puis de l'Afrique du Nord, l'animosité personnelle entre les deux hommes était institutionnalisée et une guerre impitoyable allait les opposer. Or, la plupart des hammis avaient rallié les youssefistes et Sassi Lassoued, devenu l'homme du pouvoir, ne réussira à imposer son autorité que par la violence ; des massacres étaient organisés par les comités qu'il présidait, lui-même avait égorgé le beau-frère de son ennemi éternel après lui avoir donné *l'aman*. Enrichi par la suite par des concessions spéciales,

cette activité aux lendemains des émeutes d'avril 1938 ; il était étudiant à la Zeytouna de Tunis et sa rentrée précoce à la Hamma va coïncider avec une reprise du travail de propagande nationaliste après la répression qui s'abattit sur le pays après les évènements tragiques d'avril 1938. Quant à Tahar Lassoued, lui-même *Kharja* qui se sédentarisa à la Hamma pour pratiquer une activité typiquement beldia, celle de tailleur, il jouera un rôle non moins important ; il fût des premiers néo-destouriens de la Hamma qui s'engagea dans une lutte acharnée contre l'archéo-destour, il eut des responsabilités officielles dans la cellule locale du néo-destour et organisera la jeunesse destourienne. Voilà un bédouin qui put rivaliser avec les beldis dans une activité considérée jusque-là comme leur domaine propre. Il sera néanmoins toujours considéré, par les *Chiyyab*, comme *Kharja* et ne put imposer sa personnalité sur cette fraction rurale de la tribu. Le monde beldi lui offrait en effet plus de possibilités d'action et ouvrait devant lui grandes les portes d'une activité qu'il trouvait passionnante. C'est effectivement lui qui franchira le premier le pas dans l'action armée, les beldis, *Gasr* et *Dabdaba*, seront dès lors confinés dans un rôle plus ou moins secondaire. Taib Ben Belgacem qui fonda une organisation secrète urbaine se consacrera à un travail de renseignement, activité plus en relation avec les aptitudes beldies. Tahar Lassoued renoua alors avec la tradition *Siba*. Il prendra peu à peu ses distances avec l'organisation de Taieb Ben Belgacem et constituera son propre réseau d'informateurs quoique les relations demeurèrent cordiales. Son esprit indépendant, son puritanisme révolutionnaire et ses prédispositions à commander les hommes révélèrent une personnalité hors du commun. Toutefois, et comme on pouvait s'y attendre, son charisme sera contesté non pas par les beldis qu'il sût surpasser mais par les *Chiyyab* ; en effet, une nouvelle recrue dans la résistance, un Sassi Lassoued, mettra fin à cette unanimité autour de Tahar Lassoued ; le différend qui éclatera entre les deux hommes se situe après la bataille de *Idoudi* dans l'automne 1953 et faillit tourner au massacre si une médiation n'avait pas réussi

armée en milieu rural car s'il est vrai que les *moujahidines* marocains, algériens et tunisiens ont affronté leur ennemi commun toujours avec le même courage et la même détermination, ils étaient néanmoins traversés par des divisions qui, le moment venu, feront éclater l'unité apparente du front nationaliste.

Les témoignages collectés seront ainsi analysés en fonction de trois problématiques essentielles à savoir : la dynamique de la solidarité tribale chez les Beni Zid, son rôle dans le processus de formation de la conscience nationale et son influence sur l'action nationaliste.

Il s'agit en fait d'un milieu tribal mi-sédentarisé dont la vie se trouve axée sur l'oasis et l'activité pastorale. Comme toutes les tribus, les Beni Zid offrent à l'historien, comme au sociologue, l'occasion d'étudier un phénomène devenu classique pour les férus de segmentarité. La tribu est traversée par des divisions dont chacune révèle un certain mode de vie, des origines particulières et une conscience d'appartenir à un clan bien différent des autres. Retenons les deux principales divisions : les nomades et les sédentaires. les premiers se divisent entre *Kharja* et *Chiyyab*, les seconds, *beldis*, sont *Gasr* ou *Dabdaba*. Toutefois, ces divisions ne se font sentir que lors d'évènements plus ou moins graves qui font éclater l'unité fragile de la tribu, de ce point de vue le nationalisme va évoluer dans un contexte très particulier car, prétendant unir, il provoque en fait une certaine concurrence entre les clans qui va animer inlassablement l'émergence de ces divisions. Sur le plan exclusivement politique la concurrence opposera les deux fractions rivales du monde beldi, les *Dabdaba* et les *Gasr* ; l'émergence de la résistance armée mettra en opposition les deux fractions rivales du monde nomade, les *Kharja* et les *Chiyyab*. Ainsi le travail préparatoire de propagande nationaliste a été le seul apanage des beldis ou de certains des nomades qui se sont sédentarisés : retenons pour le premier cas Taïb Ben Belgacem, l'exemple type de personne ayant joué ce rôle, et Tahar Lassoued pour le second cas ; car si le premier ne fut pas du groupe des fondateurs de l'activité nationaliste il joua un rôle de régénération de

Solidarité tribale, conscience nationale et activité militante : le cas des Beni Zid

ADNEN MANSAR*

*C*ette contribution essayera d'utiliser le témoignage oral pour reconstituer une certaine histoire à laquelle les documents écrits n'ont pas donné suffisamment d'importance. Il s'agit en effet des résultats d'une enquête[1] réalisée auprès des militants de la région de la Hamma de Gabès, région connue par sa contribution pionnière dans les différentes formes de résistance anticoloniale. A la suite de cette enquête nous nous sommes rendus compte à quel point la résistance armée, voire l'action nationaliste, trouvait du mal à dompter l'esprit de clan, surtout en milieu rural. La solidarité tribale qui, ajoutée à une certaine propagande religieuse, semble être à l'origine des premiers succès des nationalistes dans ce genre de milieu, posera néanmoins des difficultés insurmontables au leadership nationaliste lorsque, à l'occasion d'évènements cruciaux, l'unité de la tribu, et avec elle l'efficacité de l'action nationaliste, a été ébranlée. L'importance de l'exemple étudié réside dans le fait que, souvent bien implantée en milieu tribal et tirant sa force de la solidarité tribale, l'action armée maghrébine a souvent affronté le même genre de difficultés ; ainsi, notre contribution tentera de mettre l'accent sur l'un des cotés cachés de l'action nationalise

* Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Sousse, Tunisie.



LA COORDINATION DES LUTTES SUR LE TERRAIN. ACTEURS ET REPRÉSENTATIONS

citation d'un philosophe espagnol, qui est directement lié à ce qu'avait dit Lemnouer Merouche : « Le présent qui étrangle le passé produit des cadavres », je cite de mémoire. Il s'agit donc pour nous d'objectiver l'histoire au-delà de nos intérêts et de nos passions. La question posée dans ce colloque, ce qui m'intéresse dans ce passé si proche, à la fois et si lointain, et en tout les cas déterminant dans la compréhension d'aujourd'hui, c'est de savoir ce qui a bloqué le procès d'autonomisation d'un champ intellectuel dans nos sociétés, notamment en Algérie, et qui serait capable de donner un sens à nos sociétés. A ce titre, c'est en Algérie que s'est construite historiquement dans les conditions de la dynamique du mouvement national, une logique anti-intellectuelle. Il nous faut donc le dire, le sort et la place dominée des intellectuels, qu'à produit la colonisation et qu'a approfondi le mouvement social dans sa version nationaliste. On observe que, si dans les autres mouvements nationaux les intellectuels ont une place sinon centrale du moins importante, celle-ci n'est pas pour autant contenue dans la nature sociale des groupes sociaux et n'a pas inféré de réels changements pour ces sociétés. On le voit aujourd'hui, les intellectuels sont les laissés pour compte de ces sociétés.

nombre élevé de travailleurs, mais le parti ne les maîtrisait pas, comme ce fut le cas, pour les Algériens. S'agissant enfin des Tunisiens, je me rendais compte qu'ils constituaient une minorité et que le parti comptait sur les étudiants, faute d'un public ouvrier ». Ainsi se dessine peu à peu ce rapport à la base ouvrière. Il dit plus loin, d'ailleurs après discussion avec Djelloul El Farès qui était représentant du Néo Destour à Paris, que pour ce qui était de ce dernier, il ne jouissait pas d'une base auprès des travailleurs tunisiens en France. Il constate à juste titre que l'action de ce parti à Paris est limitée au cercle des étudiants, ceux-ci étant bien évidemment des élèves et des étudiants des établissements français, donc sans culture arabe islamique solide. Le comité de ces étudiants était précisément la seule organisation active sur le terrain. Chawi est très dur avec Bourguiba et le rend responsable de l'échec des solidarités étudiantes.

Un important congrès, celui de 1950, se tient à Tunis. Le contrôle politique est plus visible. Il se tient en présence du prince Chadli Bey, de Habib Bourguiba, Salah Ben Youcef, Moundji Slim. Il réunit les étudiants tunisiens de Tunis et de Paris. Une délégation algérienne composée de dix membres participe à ce congrès. La délégation marocaine est composée de 3 membres venus par avion de Paris : Abdellah Abderrahmane, Abdelatif Ben Djelloun et Ahmed Allaoui.

En 1953, lors de l'exil du sultan, les étudiants nord africains font une motion de protestation le 19 novembre, à l'occasion de l'anniversaire de l'accession au trône de Mohamed V. Une réunion rassemblera les étudiants des trois pays, le 30 mai 1954, à l'occasion du 40e anniversaire du traité du Protectorat exigeant le retour de roi et de l'indépendance. Mais à partir de là, on voit vite se développer les syndicats nationaux.

En conclusion, j'aimerais citer ce nationaliste chinois Sun Yatsen, qui dit quelque part : « Regarder le passé, c'est comprendre l'avenir ». Il s'agit pour nous ici de regarder le passé, pour comprendre l'avenir, pour expliquer le présent et pour construire l'avenir. J'ajoute aussi une

mais il la fera en français, ce qui va vexer un ensemble d'étudiants qui s'attendaient à ce qu'il parle en arabe. Les débats portent sur le développement d'un patrimoine maghrébin, la critique de la France coloniale et la mise à nu des contradictions de la France avec les principes démocratiques affichés. Tous sont acquis au nationalisme : les Tunisiens soutiennent le Néo Destour, les Marocains sont aux trois quarts partisans de l'Istiqlal. Le reste est partisan ou lié au Parti démocratique de l'indépendance d'El Ouazzani. Selon des sources connues les Algériens sont plutôt messalistes ou de sympathie messaliste aux deux tiers, le dernier tiers suivant Abbas. Ils déclarent donc l'Afrique du Nord patrie commune, dans une fédération de trois pays qui souhaitent l'indépendance. Cette idée d'indépendance se fonde dans une vision panarabiste. Les mémoires d'un frère musulman Toufik Chawi le montrent. Jeune assistant à l'université du Roi Fouad du Caire en 1945, Tewfik Chawi obtient une bourse à Paris du maître Hassen El Banna, pour étudier le droit et faire une thèse de droit criminel à la Sorbonne. Il écrit ses mémoires, le « Journal d'un demi siècle d'action islamique », où il raconte effectivement ce qui se passe entre le Caire, Paris, Madrid, Genève etc. (Le journal est traduit de l'arabe par Sadek Salem). C'est extrêmement intéressant, même si le point de vue est effectivement orienté. Toufik Chawi dit trois choses qui paraissent importantes sur le rapport de ces étudiants à la base. Il dit : « Nous travaillons pour cette association [c'est cette fameuse association pour la cause palestinienne, et pour les questions nord africaines], et nous finîmes par être persuadés de l'unité des questions islamiques, tel que le croyaient d'ailleurs les frères musulmans. » Il ajoute « Mes activités dans cette association m'ont montré que nos frères algériens étaient les plus disciplinés et les plus persévérants. D'autant que le parti national est un parti combattant. C'était le parti le plus discipliné, il jouissait de l'adhésion de grands publics en France. Il était formé surtout d'ouvriers algériens. Son influence ne cessera de croître grâce à la présence de Messali. Quant aux Marocains, ils représentaient certes un

Le troisième congrès qui devait se tenir à Fès en 1933 fut interdit et il se réunit finalement à Paris. Il mit en avant l'idée d'indépendance des trois pays, dans une nation nord-africaine fondée sur la base de l'islam. Au quatrième congrès à Tunis en 1934, selon des sources de seconde main, une pétition de Moufdi Zakaria intitulée les Dix commandements du patriotisme, fut exposée. Le cinquième congrès eut lieu à Tlemcen et fut marqué par un incident, le changement de salle de réunion, de la mairie vers le cercle réformiste Essaada, où fut applaudi le discours de Cheikh El Ibrahimi.

La politisation de l'AEMNAF connut son apogée en 1937 quand les étudiants présentent des doléances à l'occasion de la conférence internationale des étudiants, réunie à Paris. Ils demandent la réunion libre des congrès dans les espaces maghrébins. Pourtant celui de Rabat qui est prévu ne se tiendra pas. Les étudiants nord-africains refusent l'invitation de Franco à se réunir à Tétouan. La dissolution du Néo destour en 1938 les empêche d'organiser leur congrès à Tunis et la guerre va arrêter les réunions jusqu'en 1943.

En 1937, l'AEMNAF va tenter d'organiser sous l'influence de Chekib Arslan une association des étudiants arabes de Paris dont le congrès est prévu en décembre 1937. Ils protestent au cours de la même année contre l'arrestation de Messali. On observe un reflux de 1938 à 1943 avec la guerre et le début des dissensions. Il faut noter qu'en 1940-1942, la composition de l'AEMAN est modifiée par la présence de nombreux Tunisiens et Marocains, notamment Mahdi Ben Barka qui va être secrétaire général en 1940-41, et Abdelkrim Khattib qui sera vice-président en 1944-45 et par la suite chef de l'armée de libration nationale.

Chawki Mostefai fut président en novembre 1944, tout ça est connu. Une intense activité de l'AEMNAF se développe au 115 Boulevard Saint-Michel qui est le centre même de l'activisme politique. Les étudiants se radicalisent. Des conférences sur la langue arabe, sur Abdelkrim se tiennent. Taha Hussein vient y tenir une conférence,

per par la suite également à l'AEMNAF et vont être représentés dans tous les bureaux de 1930 à 1937. Ils seront nombreux et dominants vers la fin. Je parle sous contrôle puisqu'il y a là des personnalités qui ont été membres de ces bureaux.

Le deuxième point important me semble-t-il est que, au moment de la fondation de l'Etoile nord africaine, on observe qu'il y a peu d'étudiants dans l'ENA. D'après Guy Pervillé, les Tunisiens Salem el-Chadli, Ahmed Ben Milad, et l'Algérien Kessous, auraient été les membres dirigeants de l'AEMNAF. On peut se poser la question de la faible jonction de l'Etoile avec le mouvement étudiant et principalement pour les Algériens. Ceci est un indicateur de ce qui va advenir plus tard de la nature même et de la caractéristique du mouvement intellectuel en Algérie. Le troisième point, c'est le début du conflit qui va inaugurer un autre débat et Si Belaïd Abdeslam présent, pourrait nous en parler. Mohamed Harbi, l'a soulevé à l'Institut Maghreb Europe : c'est la divergence sur l'islamité dans l'appartenance à l'Association. Ahmed Belfredj vote en 1930 l'exclusion des étudiants nord africains naturalisés français, ce qui amène quelques Algériens à créer une association des étudiants musulmans en France dont le premier président fut Amar Naroum.

En tout état de cause l'AEMNAF qui naît en 1927, va représenter les trois quarts des étudiants nord africains. Elle voit le jour dans une perspective purement politique avec des objectifs politiques de plus en plus avoués.

Ce fut une école de nationalisme auprès des étudiants nord africains. L'exil ouvrit de nouveau horizons avec la fréquentation des étudiants des autres pays coloniaux. Le voisinage du mouvement ouvrier a été aussi très influent. L'AEMAN va tenir une série de congrès culturels. Le premier congrès de l'AMNEF invité par l'AEMAN d'Alger a eu lieu à Tunis à la Khaldounia, le second congrès eut lieu à Alger à l'intérieur de l'AEMAN. Il mit au centre du débat la question de la langue arabe dans le nord de l'Afrique.

Sur les espaces j'irai vite en disant qu'il y a plusieurs pôles : il y a les villes locales, principales villes culturelles comme Paris, Le Caire avec des périphéries, provinces françaises dans un cas avec Toulouse, Montpellier etc., villes du Moyen Orient, dans l'autre cas avec Damas, Baghdad.

On trouve aussi bien des villes européennes comme Genève qui ont une place importante. La présence de Chekib Arslan à une époque met Genève au centre d'allers-retours fréquents des étudiants. Il y a Madrid, René Galissot en a parlé hier. Dans toutes ces villes, vont se déployer des activités politiques où les étudiants sont une force essentielle. Il y a donc des interrelations fortes de l'un à l'autre et d'une ville à une autre. Cela a été dit hier à propos de Mohamed Boudiaf. Je ne m'attarderai pas sur la période de l'entre deux guerres, mais je pourrai avancer quelques remarques. On relève d'une part l'importance des Tunisiens dans la première phase de l'après guerre. Le mémoire d'un Tunisien, Adel Youssef, qui travaille sur cette période, estime à 500 le nombre de lycéens en France. Les Tunisiens jouent donc le rôle le plus actif dans l'AEMNAF constitué en 1927, par le Tunisien Salem el Chadli. L'effectif marocain est extrêmement faible, 15 en 1928, 33 en 1933, dont 13 dans le supérieur et 16 étudiants en 1934. Peu nombreux, on les trouve aussi à l'AEMNAF avec Ahmed Balafredj au début. En 1935-1936 le bureau ne compte plus de Marocain parmi ces dix membres et seul Kubadj Boubekar va être membre en 1937-1938

Ils sont faibles, mais ils déploient une activité intense. Ils sont actifs entre Rabat – Paris – Le Caire – Damas. Les plus représentatifs sont Belafredj, Mekki, Naceri Mohamed Ben Hassen el Ouazani qui rencontre Chekib Arslan, un libanais druze converti au sunnisme et personnage central dans l'activité politique. Quant aux Algériens, ils ont déjà fondé leur association en 1919, l'Association des étudiants musulmans d'Afrique de Nord, l'AEMAN. Elle se construit et se développe à l'image d'une société d'entraide, son sigle indique bien ses présupposés, ses référenciations : nord africaine et maghrébine. Ils vont partici-

avocat, c'est le leader du Néo-Destour. Il faut également, me semble t-il, mesurer la place que les groupes occupent dans la dynamique des mouvements, eu égard à leurs origines sociales, et ceci est contenu dans la nature de la domination coloniale protectorat dans un cas, colonisation de peuplement dans l'autre. Ceci amène à développer une stratégie différente de gestion des élites par le pouvoir, on est plus enclins vis-à-vis des étudiants Marocains et Tunisiens, que vis-à-vis des Algériens.

Il faut intégrer ici me semble t-il, dans ces logiques, la nature des cursus suivis, des filières dont les uns et les autres sont issus. René Gallissot en a parlé. Les activistes sont apparemment le produit des filières moyen et primaire. Ceux qui entrent dans le mouvement national dans les années trente pour le cas des Algériens, vont se radicaliser dans les années d'après guerre avec la montée de la contestation, et au début des années 50. Cela ne se produit pas sans dilemme pour certains, il n'y a qu'à voir le moment où il a fallu rentrer et monter au maquis. Du point de vue des origines sociales, les Algériens sont plutôt d'origine populaire, du moins les premiers dans le mouvement nationaliste dans les années trente. Ceux qui venaient après les années de la deuxième guerre sont d'origine petite bourgeoise.

Les Tunisiens et les Marocains, sont plutôt d'origine sociale bourgeoise et petite bourgeoise, dans le mouvement étudiant. Schématiquement on peut déceler deux phases : l'une je l'ai dit, globalement située dans le cadre de la colonisation, plutôt assimilation avec un versant contestataire et l'autre plus radicale. Mais la situation va aller vers la scission interne, dans le mouvement, sous l'effet de la montée d'un militantisme de type communiste ou du moins nourri aux influences communistes.

Revenons à notre analyse des moments générationnels et de ce qu'on appelle l'action collective. De ce point de vue disons qu'il y a des espaces dans lesquels vont se déployer ces diplômés et affirmer leur engagement. Il y a le poids des acteurs, le nombre, à travers les différentes catégories d'étudiants et de diplômés, il y a enfin les formes de solidarité construites et les engagements politiques.

plus amples, me semble t-il, à l'extérieur de nos sociétés. En reprenant les moments générationnels définis plus haut, je vais essayer d'esquisser très rapidement la manière dont les formes de solidarité vont se construire entre les différents étudiants ou les différents diplômés dans l'espace maghrébin, à l'extérieur surtout.

Lemnouer Merouche a parlé du Caire, je parlerai surtout pour l'Europe, Paris et les provinces françaises, mais auparavant, je voudrais formuler une hypothèse. Je pense que cette hypothèse pourrait s'articuler, dans la description que je vais faire plus loin, avec les analyses historiques qui montrent très bien qu'il y a une forte solidarité entre les différents étudiants des trois pays. J'essaye d'y répondre à travers des sources secondaires, quelques-unes de première main. Ce qui a joué dans ces solidarités, c'est l'effet de marginalisation des étudiants pour qui toutes les voies sont bouchées, ou pour qui beaucoup de voies se ferment. Ce sont les contradictions de la France coloniale qui va leur donner une conscience intellectuelle et politique, et surtout ce qui me semble important, ce qui va se jouer dans les différences, c'est la dissolution des liens de solidarité. Ainsi, on va voir des organisations nationales apparaître dans les années 50. On n'est plus dans l'organisation intermaghrébine, nord africaine. Ce qui est en œuvre dans la dissolution des liens de solidarité, c'est d'une part les différences dans les rapports que les uns et les autres, selon l'appartenance territoriale, ont avec la base ouvrière et populaire en émigration, et les rapports entretenus localement ensuite. Les étudiants algériens ont de ce point de vue un retard me semble t-il, c'est une hypothèse, on pourra en discuter, sur le mouvement plébéien et populiste porté par l'Etoile Nord africaine et puis par le P.P.A. – MTLD. Les étudiants je dis bien, Marocains et les Tunisiens, sont au fondement de l'encadrement du mouvement nationaliste. Ce sont les intellectuels qui sont ici à la base de l'encadrement. Je porte cet élément au débat. Les Algériens arrivent et sont portés vers le radicalisme vers la fin, bien que dans la période entre les deux guerres ils soient dans une logique de contestation. Chez les Tunisiens, Bourguiba est

son rapport à la langue, avec une formation francophone ou française dominante, sous le rapport à la langue des sociétés locales, et du pouvoir colonial. Formation de médiateurs d'acculturation, différenciation, nous pourrions y revenir dans les débats.

Résultats identiques donc, surtout par la faiblesse numérique des effectifs. Il y a très peu d'élèves tout au long de la colonisation, très peu de diplômés. Je vous ferai grâce des statistiques. L'effet du système français dans nos sociétés et plus la conséquence de l'institution que de l'effet du nombre. Les effets portent par l'imposition d'une organisation avec des règles, une hiérarchie, une spécialisation, des contraintes, des effets de certification, mais aussi imposition de valeurs dans l'enseignement supérieur : la morale, la raison, le progrès, la laïcité, mais subverties par l'idéologie coloniale. Par idéologie coloniale on entend une idéologie fondée sur la domination, l'inégalité, la soumission, l'exclusion. Il y a donc de fait une faiblesse numérique des populations scolarisées, dans les différents ordres d'enseignement. Lacheraf avance dans un texte l'idée d'un enseignement très développé, mais on ne comprendrait pas alors pourquoi 60 à 70 % de la population est analphabète à l'indépendance.

Une autre faiblesse : le nombre de diplômés du supérieur est infime par rapport à l'importance de la population musulmane. De plus, beaucoup de diplômés du supérieur étaient des diplômés de certificats spéciaux, pour indigènes. Il faut donc attendre l'après deuxième guerre mondiale, pour voir relativement les effectifs scolarisés évoluer.

Les Maghrébins, de fait, essayent de contourner les freins à la scolarisation en développant leur propre enseignement scolaire à travers le réseau des écoles ulémistes. Des statistiques relèvent qu'à une période on compte plus de 60 000 élèves dans ces écoles.

Les obstacles sont nombreux devant les étudiants. Abbas disait d'ailleurs dans *Jeune Algérien* : « On est arrivé, on ne sait comment à l'université ». Ils sont rares ces étudiants. Ils s'exilent, pour leur scolarité. On voit donc le rôle des facteurs de conscientisation politique être

Si l'Algérie connaît effectivement un état éducatif, disait Tocqueville, comparable à celui de la France en 1845, l'Algérie ne connaît pas comme la Tunisie ou le Maroc de tentatives de modernisation du système d'enseignement telles qu'elles ont été initiées par la Régence et l'empire Chérifien. La création d'écoles européennes est prônée en Tunisie et au Maroc et de nombreux établissements sont ouverts : une école italienne, anglo-maltaise, écoles congrégationistes de langue française,. Vingt établissements sont comptabilisés en 1883 en Tunisie. Il existe au Maroc une dizaine d'écoles espagnoles en 1861 ; 16 écoles de l'Association israélite universelle en 1862 ; 8 écoles dépendant de la légation française. En 1838 est fondé le premier établissement d'enseignement polytechnique, l'Ecole polytechnique du Bardo qui est une création d'Ahmed Bey en Tunisie. Elle est définie sur le modèle européen et fut dirigée à l'origine par des militaires italiens et français. Le sultan du Maroc créa lui aussi une école d'ingénieur en 1864 et institua l'envoi de boursiers. Des jeunes sont envoyés au lycée Saint-Louis à Paris. Hassan poursuit l'expérience avec l'envoi de militaires à Gibraltar dans l'armée britannique et plus tard avec la fondation Al Hassaniya en Allemagne, en Angleterre, et en Egypte.

Il y a une tentative de modernisation qu'on ne voit pas dans le cas algérien, même si l'état éducatif est comparable, comme disait Tocqueville à celui de la France. Je le cite : « La moyenne des individus de sexe masculin sachant lire et écrire était au moins égale à celle de nos campagnes ». Deux à trois mille jeunes suivaient dans chaque province les cours des madrasat, six cents à huit cents l'étude des sciences, de droit et de théologie. Même si les expériences sont différentes, il n'empêche que, du point de vue des fonctions objectivement assumées, l'imposition rend les choses identiques. On observe que la France a imposé en 132 ans de colonisation le même primat de la fonction idéologique dans les différents systèmes, au détriment de la fonction technique et scientifique. Le résultat est la production d'une élite scindée dans les trois situations, Algérie, Tunisie, Maroc, sous le triple plan de

libéralisme. On assiste à un ensemble de changements qui se situent à des moments précis, changements qui vont marquer ces groupes, ou ces catégories dans l'espace local ou dans l'espace international.

Le deuxième pré requis pour aller vite, et je n'approfondirai pas mon propos, c'est effectivement un débat que nous pourrions poser, c'est celui de la définition d'intellectuel, d'intelligentsia, d'élite, de diplômés etc. Si nous faisons nôtre la définition gramscienne des intellectuels, tous les hommes sont des intellectuels, mais tous les hommes n'exercent pas la fonction intellectuelle. La fonction intellectuelle est une fonction critique, même si Gramsci distingue les intellectuels organiques des intellectuels traditionnels. La fonction intellectuelle est une fonction critique loin des dogmes et des vérités toutes faites. Pour ma part, dans cette approche, je préfère utiliser ici plutôt qu'intellectuel la notion d'intelligentsia, c'est-à-dire des catégories intellectuelles au pluriel, définies dans leur engagement. La notion d'intelligentsia qui est un mot russe, permet d'en rendre compte. Intellectuel est un terme qui vient du champ sémantique français, et d'une phase française précise – de strate intellectuelle, moins du point de vue de l'autorité de la signature que par la diversité des pratiques d'engagement.

Ces pré requis sont nécessaires à la compréhension de cette coupure, de cette conjoncture historique et des pratiques sociales politiques et culturelles des groupes sociaux spécifiques.

Revenons à l'histoire. On ne peut comprendre en fait la production de ces intelligentsias, si on ne rend pas compte des conditions historiques et sociologiques qui ont prévalu du point de vue de l'imposition du système d'enseignement français dans les trois pays du Maghreb. Cette imposition du système français métropolitain aux trois pays ne s'est pas faite au même rythme dans ces différentes zones, primaire, secondaire, supérieure, et d'ailleurs il ne pouvait en être autrement, au regard des différentes formes de colonisation, protectorat, colonisation violente de peuplement, et du niveau de l'état éducatif et culturel dans lequel se trouvaient ces pays.

imaginé. Les générations, dit Manheim, se développent aussi dans la contemporanéité, c'est-à-dire qu'elles ne naissent pas comme ça au hasard, mais qu'elles fonctionnent dans les mêmes référenciations, les mêmes expériences. Les faits générationnels sont déterminés dans l'espace monde alors quid d'aujourd'hui. On parle de la génération de la chute du mur de Berlin. Le monde historique de la chute du mur de Berlin a pu effectivement définir un espace temps de respiration idéologique commune. Certains notent que c'est la révolution iranienne, dans notre espace, qui redéfinit ou définit cet espace générationnel ; pour d'autres c'est la guerre du Golfe qui constitue un moment de rupture générationnel.

Il s'agit donc de penser la rupture, l'événement fondateur. Manheim va définir ce groupe social dans la moyenne durée ou dans la longue durée. C'est donc précisément cette catégorie qui me semble importante pour saisir les mouvements sociaux culturels et politiques tout à la fois, dans leurs dimensions locales, territoriales-locales, nationales et internationales, et dans leurs interrelations. Il s'agit de les situer dans cet espace-temps propre qui permet leur émergence.

Cela nécessite évidemment une analyse à la fois historique et sociologique dans la longue durée, mais aussi en synchronie pour expliquer les interrelations du moment. On peut évidemment déceler des strates de générationnel, dans un même mouvement, ou des groupes participant de la même génération, mais ce sont des groupes dominés et des groupes paradigmatiques portant, si vous voulez, l'idée générationnel forte. La génération est donc aussi l'interpénétration des groupes sociaux. Ce qui nous occupe ici, ce sont deux moments générationnels, disons de courte durée, celui de l'entre-deux-guerres, et celui de l'après seconde guerre mondiale, marqués par des bouleversements à l'échelle internationale, régionale ou locale. Je vous fais grâce des changements : révolution d'octobre, chute de l'empire ottoman, émergence et affirmation du Kémalisme entre les deux guerres et après la seconde guerre mondiale, développement de la notion d'autodétermination et de

Abdelaziz sur « L'écriture de l'histoire au Maghreb ». La Fondation Boudiaf me donne ici l'occasion d'approfondir cette réflexion. J'en remercie les organisateurs, Madame la Présidente surtout, et mon ami Daho Djerbal.

Je voudrais donc dire que l'entrée principale de la réflexion sur les groupes sociaux, sur les catégories sociales, va se faire à travers la notion de génération qui va nous éclairer sur les engagements de ces groupes intellectuels. C'est donc la notion de génération, non pas dans son acception biologique, comme classe d'âge qu'on relève souvent dans les débats, même si effectivement on recourt à cette notion de classe d'âge dans un certain nombre de réflexions, mais c'est dans la notion de génération telle que proposée par un sociologue hongrois, Karl Manhein. Il définit la notion de génération comme un espace – temps historico-social. C'est Manheim qui théorise le plus cette notion de génération : il parle de moment générationnel et de fait générationnel, de situation historique, une définition qui met en relation des groupes sociaux et des expériences identiques.

La génération, le fait générationnel, sont représentés par des schèmes et des problèmes communs dans une conjonction précise, avec aussi une même respiration idéologique. Manheim relève d'ailleurs que les nouvelles générations je le cite : « Apparaissent au moment où le temps s'accélère, où les bouleversements sociaux et intellectuels rendent possible le changement latent et continu des formes traditionnelles de l'expression vécue. » Pour aller vite, disons que Manheim avance une autre idée : les générations naissent sous l'effet d'un événement fondateur qui peut être la guerre, on parle de la génération de l'entre-deux guerres, la génération de l'après-seconde guerre mondiale, on parle aujourd'hui de la génération de 1988, de ces jeunes qui se sont exprimés dans l'espace public, on parle de génération du nationalisme. Nous sommes sortis aujourd'hui de cette génération du nationalisme, pour passer à la génération qui fait de l'appartenance à l'espace démocratique et de la citoyenneté, un projet. Cela passe par un statut tout à la fois imposé et

Abdelaziz sur « L'écriture de l'histoire au Maghreb ». La Fondation Boudiaf me donne ici l'occasion d'approfondir cette réflexion. J'en remercie les organisateurs, Madame la Présidente surtout, et mon ami Daho Djerbal.

Je voudrais donc dire que l'entrée principale de la réflexion sur les groupes sociaux, sur les catégories sociales, va se faire à travers la notion de génération qui va nous éclairer sur les engagements de ces groupes intellectuels. C'est donc la notion de génération, non pas dans son acception biologique, comme classe d'âge qu'on relève souvent dans les débats, même si effectivement on recourt à cette notion de classe d'âge dans un certain nombre de réflexions, mais c'est dans la notion de génération telle que proposée par un sociologue hongrois, Karl Manhein. Il définit la notion de génération comme un espace – temps historico-social. C'est Manheim qui théorise le plus cette notion de génération : il parle de moment générationnel et de fait générationnel, de situation historique, une définition qui met en relation des groupes sociaux et des expériences identiques.

La génération, le fait générationnel, sont représentés par des schèmes et des problèmes communs dans une conjonction précise, avec aussi une même respiration idéologique. Manheim relève d'ailleurs que les nouvelles générations je le cite : « Apparaissent au moment où le temps s'accélère, où les bouleversements sociaux et intellectuels rendent possible le changement latent et continu des formes traditionnelles de l'expression vécue. » Pour aller vite, disons que Manheim avance une autre idée : les générations naissent sous l'effet d'un événement fondateur qui peut être la guerre, on parle de la génération de l'entre-deux guerres, la génération de l'après-seconde guerre mondiale, on parle aujourd'hui de la génération de 1988, de ces jeunes qui se sont exprimés dans l'espace public, on parle de génération du nationalisme. Nous sommes sortis aujourd'hui de cette génération du nationalisme, pour passer à la génération qui fait de l'appartenance à l'espace démocratique et de la citoyenneté, un projet. Cela passe par un statut tout à la fois imposé et

Entre exil et engagement dans le mouvement national. Approche composée, Maroc, Algérie, Tunisie

KADRI AÏSSA*

L'objet de ma communication porte sur Collégiens, lycéens, étudiants, intellectuels et intelligentsia : exil et engagement. Il s'agira de proposer une définition de cet ensemble de catégories scolarisées dans différents ordres d'enseignement, et de caractériser leur intervention dans le champ social et politique.

Tout d'abord quelques pré requis méthodologiques, nécessaires à la compréhension de la problématique de l'engagement intellectuel. Je vais essayer de les exposer très vite ainsi que l'hypothèse et j'essaierai d'y répondre par une série de pistes de réflexion. En premier lieu, cette réflexion sur les catégories scolarisées, les intellectuels, s'inscrit dans le cadre d'un programme que nous développons à l'institut Maghreb Europe, de l'université de Paris VIII. Il porte sur les générations intellectuelles dans l'action sociale, culturelle et politique au Maghreb et en émigration.

Ce programme a donné lieu depuis à une publication qui est exposée dans « Parcours d'intellectuels Maghrébins ». Il a également donné lieu depuis deux ans, à deux colloques, l'un à Tunis sur le concept ou la notion de « Génération » et le second à Casablanca, à l'Université du Roi

* Directeur de l'Institut Magreb-Europe, Université de paris VIII.

INTÉRIEUR / EXTÉRIEUR, NTELLECTUELS / ACTIVISTES LA QUESTION DE LA DIRECTION DE LA LUTTE ARMÉE

INTÉRIEUR / EXTÉRIEUR, NTELLECTUELS / ACTIVISTES LA QUESTION DE LA DIRECTION DE LA LUTTE ARMÉE

4. cf. Omar Carlier in *Les mouvements politiques et sociaux dans la Tunisie des années 1930*. 3e Séminaire sur l'Histoire du mouvement national. Publications scientifiques tunisiennes. Série Histoire du mouvement national. Tunis 1987, p.127 et suiv.
5. Bourguiba est invité à prononcer des discours aux banquets offerts par l'ENA en juillet 1927 ainsi qu'en juin 1936.
6. Omar Carlier, op. cit. p.196-198.
7. Slimane Chikh, *L'Algérie en armes ou le temps des certitudes*. O.P.U., Alger 1981, p. 486 et suiv.
8. En 1946, le parti du peuple algérien dissout décide de participer aux élections sous le sigle de Mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques.
9. Mohammed Boudiaf (comme coordonnateur), Mostefa Ben Boulaïd, Larbi Ben M'hidi, Mourad Didouche, Belkacem Krim, Rabah Bitat
10. Un des responsables de l'O.S. pour l'Est algérien, désigné par Boudiaf pour diriger le 1er novembre la région frontalière.
11. Témoignage de Aïssa Kechida du groupe du 1er novembre de la capitale, compagnon de Boudiaf.
12. Témoignage d'Ahmed Mahsas représentant politico-militaire du FLN auprès des autorités tunisiennes en 1955-1956
13. Comité constitué de représentants des wilayas 1, 2, 3 et de la base de l'Est.
14. *Id.*
15. Jean Boisson. *Ben Bella est arrêté*. Études et recherches historiques. 1978. P. 422.
16. Paul Marie de La Gorce. *Apogée et mort de la IVe République*. Grasset, Paris 1979. p.229
17. Ali Haroun. *La 7e wilaya. La guerre du F.L.N. en France*. Paris. Le Seuil. 1986. p. 42
18. Témoignage d'Aïssa Kechida.
19. Vincent Monteil et Germaine Tillon sont officiellement chargés d'établir *« un dialogue discret ou secret avec les nationalistes, même ceux qui ont partie liée avec l'insurrection [...] »*.
20. Chefs de l'ALN de l'intérieur pour les zones de Kabylie et de l'Algérois.
21. Le 20 août 1955, Zighout Youcef, chef de la zone du Constantinois organise un soulèvement généralisé des campagnes de l'Est du pays.
22. cf. Mohammed Harbi. « Le complot Lamouri ». *In La guerre d'Algérie et les Algériens 1954-1962*. Ed. Armand Colin, Paris, 1997.
23. *Id.* p. 157.
24. *El Moudjahid*. Numéro 11 du 1er novembre 1957.
25. Lakhdar Bentobbal. *Mémoires*. Inédit.
26. *Note* de l'un des collaborateurs d'Alain Savary, Secrétaire d'Etat aux affaires marocaines et tunisiennes, du 12 septembre 1956, *sur ses entretiens avec M. Bourguiba à Aix-les-Bains*. In *J. Boisson, op. cit.*, p. 40.
27. Bien que parlant au nom de Abane, Ferhat Abbas, ancien président de l'UDMA, n'est pas encore membre de l'instance exécutive du FLN.
28. *Note... In J. Boisson, op. cit.*, p. 42.

vis-à-vis de la ligne Abane dite des politiques amène les uns et les autres à faire monter les enchères et à radicaliser la lutte armée.

Ceci éloigne d'autant la direction du FLN des positions de Bourguiba. Et c'est dans ce contexte que se produit l'affaire du *préalable* dont nous avons parlé plus haut. L'internationalisation de la question algérienne en décembre 1957 aidera finalement à atténuer le différend jusqu'à la tenue de la Conférence de Tanger en avril 1958.

Mais avec cette conférence, l'arrivée de De Gaulle à la tête de la Ve République et la constitution du G.P.R.A., nous entrons dans une nouvelle ère des relations algéro-tunisiennes tout aussi agitée que la précédente.

NOTES

1. Ce document a fait l'objet d'une communication au Colloque international de l'Université de Tunis I, Institut Supérieur d'histoire du mouvement national tunisien : *Processus et enjeux de la décolonisation de la Tunisie (1952-1962).* Tunis, 8-9-10 mai 1998.
2. Voir en particulier les Actes du 3e séminaire sur l'Histoire du mouvement national tunisien. Il faut également citer les thèses et travaux de recherche soutenus par de nombreux universitaires dans les universités du Maghreb et d'Europe et dont l'inventaire mériterait d'être dressé.
3. Association des étudiants musulmans d'Afrique du Nord créée en 1919 à Alger et l'Association des étudiants musulmans nord-africains en France fondée en 1927 à Paris.

tielle est que la France vous reconnaisse votre vocation à l'indépendance. À partir de ce principe, des étapes devraient être prévues ; et seule la première étape devrait être définie au début. La première de toutes devrait être très prudente, par exemple par la définition d'une structure étatique comportant un pouvoir exécutif, un pouvoir législatif etc. »[26]

Ne trouvant pas auprès de Ferhat Abbas[27] l'écho favorable escompté, Bourguiba se tourne vers Ahmed Ben Bella qui aurait donné des signes d'ouverture.

« *Il faut que je voie les autres dirigeants du FLN pour savoir s'ils sont, plus que Ferhat Abbas, en mesure de parler utilement. Ben Bella a fait une très bonne impression à Bahi Ladgham (le vice-président du Conseil tunisien) lorsque celui-ci l'a vu. Il s'est exprimé en termes raisonnables. Ladgham m'a dit que Ben Bella serait favorable à un compromis avec la France, qu'il était convaincu que la violence ne permettrait pas au FLN de régler le problème.* »[28]

Les entretiens préalables de Rabat entre Ben Bella, le sultan Mohammed V et le prince Moulay Hassan ont lieu le 20 octobre 1956. Les bases d'une solution pacifique de la question algérienne et d'une future confédération nord-africaine devaient y être jetées comme devait être aussi officiellement sanctionné le leadership de la direction extérieure du FLN.

Voilà pourquoi, le lundi 22 octobre 1956, l'arraisonnement de l'avion amenant la délégation du FLN à Tunis a tant pesé sur les possibles alliances algéro-tunisiennes.

Pour le C.C.E. encore établi à Alger, la menace que fait peser sur lui la contestation de la Délégation extérieure du FLN n'existe plus. En Tunisie, Mahsas ne pèse plus du même poids que lorsqu'il disposait de l'appui que lui procurait Ben Bella. Désormais, Bourguiba a les coudées franches pour se défaire de sa propre opposition et des partisans de Salah Ben Youssef.

Mais d'un autre côté, l'intransigeance de la direction politique du FLN ne faiblit pas, bien au contraire. L'opposition dite des militaires

dépendance de l'Algérie. Il en résulte – et ce pour couper court aux commentaires tendancieux et aux manœuvre habiles – que le C.C.E. estime indispensable de réaffirmer solennellement qu'il ne saurait y avoir de négociation sans la reconnaissance préalable de l'indépendance de l'Algérie. Cette reconnaissance ne sera que la conséquence d'un droit naturel, fondamental et intangible du peuple algérien »[24].

Cette prise de position est jugée maximaliste par Habib Bourguiba qui prend sur lui d'inviter les représentants du C.C.E. à une réunion. Un des membres de la délégation algérienne relate l'entrevue :

« *Après la réunion* [du C.C.E.] *nous lui avons rendu visite sur sa demande. Il commença par nous donner des leçons de politique. Pour lui, la déclaration était trop dure. Je crois que cela était en rapport avec le préalable qui avait été maintenu et surtout sur le style de la déclaration.*[...] *Il se comportait avec nous plus qu'en conseiller, c'était le détenteur de la science politique. Il était le seul à comprendre la politique. Un accrochage l'avait opposé à Lamine Debaghine qui lui avait dit que notre problème était différent de celui des Tunisiens. Quand nous sommes sortis, il n'était visiblement pas satisfait que l'on n'ait pas suivi ses conseils. Mais, à cette époque, il avait peur des alliances que nous pouvions conclure et nous avons dû le rassurer. Il avait des problèmes avec les youssefistes. Mahsas et d'autres, avant notre arrivée* [à la tête du C.C.E.], *étaient les alliés de Ben Youssef et du fait de ses problèmes intérieurs, il n'a pas été trop dur avec nous. Ce n'était pas encore le Bourguiba que nous connaîtrons plus tard.* »[25]

Cette réaction semble tout à fait logique vu les efforts déployés par le président tunisien pour convaincre la direction du FLN d'accepter une solution à long terme du problème algérien. Dans l'entretien qu'il a avec Ferhat Abbas le 5 août 1956 en Suisse, Bourguiba aurait dit :

« *Le peuple algérien a droit à l'indépendance...Ce droit théorique doit être reconnu dans un arrangement avec la France. Mais l'accession à l'indépendance ne doit pas être immédiate. L'Algérie n'y survivrait pas. Elle ne doit accéder à l'indépendance qu'après un long terme* [...] *La chose essen-*

« Base de l'Est ». Amara Bouglez est maintenu dans ses fonctions de commandement.

Cette nouvelle donne permet au pouvoir central tunisien de marquer les coups contre sa propre opposition en arrêtant en juin 1957 Larbi Taleb. C'est le capitaine Smaëli Salah Ben Ali, chef de la zone 6 de la wilaya 1 (Nementchas) qui a été chargé de récupérer les armes, l'argent et les djounouds algériens arrêtés par la police tunisienne[23].

La reprise en mains par le CCE et l'imposition de son autorité sur les différentes composantes de l'ALN a été grandement facilitée par l'arraisonnement, le 22 octobre 1956, de l'avion devant amener les dirigeants du FLN dits de l'extérieur à la conférence maghrébine de Tunis. Mohammed Boudiaf, Ahmed Ben Bella, Mohammed Khider et Aït Ahmed devaient sceller définitivement plusieurs accords avec les autorités des deux pays frères du Maghreb. On envisageait même une entremise tuniso-marocaine dans la solution au conflit opposant le FLN au MNA de Messali Hadj.

La question du préalable de l'indépendance (1957-1958)

Cette possibilité un moment entrevue de voir se renouer les liens politiques établis depuis l'époque de l'Etoile Nord Africaine se trouve à nouveau anéantie. Elle l'est d'autant plus pour les intérêts et la ligne politique que représente le parti de Bourguiba que l'opposition à Abane finit par l'emporter en août 1957 à l'occasion de la première conférence du CNRA, organe consultatif et délibératif de la révolution algérienne.

Le nouveau CCE où Lamine Debaghine et Abdelhamid Mehri (partisans de l'alliance stratégique avec le Machrek) font leur entrée aux lieux et place de Ben Khedda et Dahlab, fait une déclaration maximaliste à l'opposé du gradualisme bourguibien.

Dans la déclaration du CCE datée du 1er novembre 1957, il est dit :

« 1. Préalable aux négociations entre la France et l'Algérie :

Les objectifs de la guerre de libération nationale sont et demeurent l'in-

L'éclatement de la crise de succession dans les Aurès, la séparation des régions frontalières du commandement de la wilaya 2 (Nord-Constantinois) et la persistance du refus des décisions de la Soummam par la Délégation extérieure du FLN seront les ingrédients de toutes les alliances et mésalliances algéro-tunisiennes des années 1956-1957.

Gradualisme en Tunisie

Face à la segmentation des forces de l'ALN repliées en territoire tunisien, Habib Bourguiba va chercher tout naturellement à trouver des appuis susceptibles de faire basculer le rapport des forces politiques en sa faveur et couper ainsi les alliances contractées entre son opposition intérieure et les unités de l'ALN des frontières. La première tentative est paradoxale puisque le commandant de la garde nationale tunisienne Mahdjoub Ben Ali se rapproche de Amara Bouglez, un homme investi par Ben Bella d'une autorité que lui conteste la wilaya 2 et le CCE[22].Il lui fournit des armes et lui demande de l'aider à éliminer Salah Ben Youssef. Bouglez n'a pas l'appui des Aurésiens ni des Soufis de Larbi Taleb plutôt proches de Lazhar Cheriet et Tahar Lassoued.

Pour mettre un terme à la dissidence, au refus de l'autorité centrale et à l'anarchie apparente qui sévit dans les Aurès et au sein des troupes cantonnées aux frontières, le CCE intervient en déléguant le colonel Ouamrane (premier chef de la zone centre devenue wilaya 4 en 1956) puis le commandant Amirouche (adjoint et successeur de Krim à la tête de la Kabylie devenue wilaya 3), puis Ben Aouda (responsable de la région de Annaba-Guelma en 1954) et le commandant Brahim Mezhoudi (Nemmouchi, membre des Ulémas nommé par Abane au conseil de la wilaya 2). Petit à petit, le CCE finit par asseoir son autorité sur les troupes des frontières. Le 2 avril 1957, le colonel Ouamrane met en place le commandement unifié des Aurès-Nementchas. Dans le même temps, la région de Souk-Ahras abandonne son soutien à Ben Bella et fait son entrée dans l'organigramme de l'ALN sous le nom de

Cette nouvelle orientation rencontre une vive opposition tant à l'intérieur qu'à l'extérieur du pays. Mohammed Boudiaf, Ahmed Ben Bella et Ahmed Mahsas refusent ces désignations les considérant comme un coup de force contre leur autorité légitime et comme un retour de l'ancienne classe politique aux commandes de la révolution.

D'un côté, les maquis du Nord-Constantinois et des Aurès-Nementchas radicalisent leur lutte en provoquant à la fois des actions spectaculaires[21] et des attentats contre des personnalités politiques accusées de modération vis-à-vis du FLN. À l'extérieur, les réactions sont tout aussi vives. Mahsas s'oppose manu militari à l'arrivée de l'intrus tandis que le groupe du Caire organise la contestation en tentant de s'appuyer sur les cadres de l'intérieur et de l'extérieur. Une des raisons de la crise que connaît la zone 1, celle des Aurès-Nementchas, à la mort de Mostefa Ben Boulaïd est la volonté de la direction centrale d'intervenir dans le conflit de succession qui agite cette région. Les effets s'en font d'ailleurs sentir de l'autre côté de la frontière où s'affrontent partisans et adversaires de l'autorité centrale du FLN.

Cela fait évidemment désordre et il faut absolument y remédier en jetant les grandes lignes d'un programme politique pour le court et le long termes. C'est ce à quoi va s'atteler Abane en préparant le 1er congrès du FLN dit Congrès de la Soummam.

On peut considérer, pour aller vite, que ce 1er congrès tenu le 20 août 1956 constitue un véritable triomphe pour la ligne Abane résumée dans le principe de la double primauté, celle de l'intérieur sur l'extérieur et celle du politique sur le militaire. Un comité de coordination et d'exécution (C.C.E) est installé où siègent des éléments du FLN du 1er novembre ainsi que des représentants de l'ancien comité central du M.T.L.D.

Cet organe est désormais la première et la plus haute autorité de la révolution et c'est à elle qu'il revient de désigner aux postes de commandement pour les wilayas de l'intérieur comme pour les représentations à l'extérieur.

À l'idéal d'une unité du Maghreb fondée sur une alliance politique des partis Istiqlal, M.T.L.D. et Néo-Destour se substitue, sur le terrain, une autre unité maghrébine reposant sur la conjonction des armées de libération des trois pays du Maghreb : ALM, ALN, ALT.

Face à la solution politique négociée prévoyant une indépendance, par étapes, d'un Maghreb tourné vers l'Occident, se dresse alors l'alternative d'une indépendance conquise par les armes avec pour objectif, l'édification d'un Maghreb arabe intimement lié au Machrek.

Entre gradualisme et maximalisme, une nouvelle alternative

Maximalisme en Algérie

L'arrivée au printemps 1955 de Abbane Ramdane à la direction (intérieure) du FLN va donner une nouvelle orientation aux stratégies d'alliance du front de libération. Pour couper court aux tentatives du gouvernement français de préparer le terrain à une solution *à la tunisienne*[19], le nouveau responsable à l'organisation soutenu par Krim Belkacem et Amar Ouamrane[20] intègre d'anciens membres du comité central du M.T.L.D. (Benyoucef BenKhedda et Saad Dahlab) avant d'entrer en contact avec les représentants de l'U.D.M.A. (Ferhat Abbas et Ahmed Boumendjel) ainsi qu'avec les Ulémas. Il n'exclut de ces contacts ni les communistes algériens ni les quelques Européens catholiques progressistes et libéraux qui ont manifesté de la sympathie aux thèses nationalistes. Pour donner des gages à ces nouvelles composantes du FLN de l'intérieur, il décide de nommer aux différentes représentations du FLN à l'extérieur des éléments appartenant à ces courants. Ainsi Kheyreddine (Uléma) est désigné pour diriger la fédération du FLN au Maroc, Salah Louanchi (M.T.L.D.) la fédération de France, Lamine Debaghine (M.T.L.D.) le bureau du Caire et Aït Ahcène la fédération de Tunisie.

à tout prix à les faire avancer accroît la pression pour obtenir le désarmement des maquis du Sud tunisien. Les principaux négociateurs du Né-Destour, Tahar Ben Amar, Mohammed Masmoudi et Mongi Slim sont convoqués à Paris pour agir dans ce sens. Le 22 novembre, alors que la lutte armée a commencé en Algérie, un accord approuvé par le bey et par Mendès France stipule : « le gouvernement tunisien invite solennellement les fellaghas à remettre leurs armes aux autorités françaises et tunisiennes »[16]. Le 15 janvier 1955 c'est le président du Conseil lui-même qui prend part aux pourparlers alors que Salah Ben Youssef durcit sa position craignant des concessions de la part de Bourguiba. Le renversement du gouvernement Mendès France par le Parlement français, sur l'affaire tunisienne justement, n'empêche pas cette même affaire d'être réglée le 21 avril par le gouvernement Edgard Faure qui signe avec Habib Bourguiba une convention générale amendée.

Tout porte à croire que l'alliance des unités de l'ALN et de l'ALT sur le terrain est dirigée contre la ligne Habib Bourguiba et s'inscrit dans le cadre d'un projet de soulèvement général de l'Afrique du Nord.

Pour confirmer cette hypothèse, à l'Ouest, la 5e zone (Oranie) dirigée par Larbi Ben M'hidi installe ses quartiers à Nador dans le Rif marocain où se trouvent les camps de l'armée de libération du Maroc (ALM). Un des chefs de cette armée, le colonel Ben Miloudi remet gracieusement aux combattants algériens le camp de Khemisset[17]. C'est là que sont repris par Aberkane et le Docteur Khatib les projets d'une armée de libération de l'Afrique du Nord.

À Alger, Abdelhamid Boudiaf, un élément de l'O.S. proche de Mostefa Ben Boulaïd arrive avec un certain Lieutenant Abdelaziz « Al Iraqi » en provenance du Maroc. Celui-ci avait pour mission d'aider à la formation militaire des maquisards. Pris en charge par Boudjeroudi puis par Mahieddine Berrezouane et Mohammed Moqaddem, il est envoyé en Kabylie. Il sera quelque temps plus tard arrêté en compagnie de Abdallah Fadhel[18].

Dès lors se cristallise sur le terrain militaire une alliance de fait qui matérialise très probablement une sorte d'union des commandos nord-africains dont le principe aurait été acquis le 29 mai 1954 au Caire.

Des faits et témoignages viennent à l'appui de cette hypothèse. En effet, quelques semaines avant le déclenchement de la lutte armée, Mokhtar Badji[10], informe Mohammed Boudiaf que des combattants tunisiens traversent les frontières pour demander de l'aide, collecter des armes, de l'argent et des médicaments. Comme les journaux locaux commençaient à parler de ces infiltrations de *fellaghas*, cela a fini par susciter quelques inquiétudes chez le responsable du FLN naissant qui craignait que ne se reproduisent les incidents ayant entraîné la découverte de l'O.S. en 1950[11].

Dans le Sud tunisien, dès les premiers mois de l'insurrection, l'ALN algérienne apporte son aide à Lazhar Cheriet et à Tahar Lassoued pour l'organisation des unités de l'ALT (armée de libération de la Tunisie)[12]. Ahmed Mahsas, chargé par Ben Bella en 1955 de la logistique et de la sécurité pour l'Est algérien, revient en Tunisie après un court passage par la Libye. C'est en qualité de représentant de la direction (extérieure) du FLN qu'il va tenter de mettre un terme au désordre qui prévaut dans les rangs des unités de l'ALN cantonnées au-delà des frontières. Sur le plan militaire, il est chargé de la mise en place d'un comité pour la répartition des armes venues du Caire[13]. Sur le plan politique, sa mission est de « jeter les bases d'une structure révolutionnaire nord-africaine pour contrecarrer les plans français »[14].

De leur côté, les partisans de Salah Ben Youssef apportent une aide directe aux djounouds algériens. « Une lettre de Ben Bella datant du 28 novembre 1955, atteste en effet que le FLN considérait comme un avantage pour les acheminements d'armes de Libye en Algérie, l'implantation de 300 Youssefistes dans le Sud tunisien »[15].

Dans ce contexte, il y a lieu de rappeler que le 17 août 1954 s'ouvrent les négociations franco-tunisiennes. Mendès France qui cherche

dront s'établir entre le FLN-ALN et le Néo-Destour après le déclenchement de la lutte armée en 1954.

En 1951, une autre conjonction s'établit lorsque, pour les soustraire aux arrestations, la direction du M.T.L.D envoie les responsables de l'O.S. au Caire où ils constituent la première délégation extérieure du parti. On y retrouve Aït Ahmed, Mohammed Khider et Ahmed Ben Bella. Ainsi, les représentants de la voie insurrectionnelle vont vivre des années cruciales dans la proximité immédiate du Comité de libération du Maghreb arabe. C'est là que, par l'intermédiaire d'Ahmed Ben Bella en particulier, s'établissent des alliances et se met en place un axe Maghreb-Machrek dont le pivot semble se trouver dans la capitale égyptienne.

En Algérie, l'impasse dans laquelle se trouve engagée la voie électorale et pacifique de la majorité du comité central du M.T.L.D. précipite la crise. Des responsables de l'O.S. dont Mohammed Boudiaf et Mourad Didouche tentent par tous les moyens de rassembler leurs troupes et, faute de faire l'unité des rangs entre partisans de Messali et ceux du comité central, ils passent à la phase active de l'insurrection le 1er novembre 1954.

La conjonction des maquis

La naissance du FLN représenté par le Comité des Six[9] à Alger et par la Délégation extérieure du M.T.L.D. au Caire, pose un problème majeur en tant que solution de continuité entre le nationalisme des partis indépendantistes traditionnels et une nouvelle génération de militants. En Algérie, le passage à la lutte armée se fait dans les premiers temps en dehors du parti et même contre le parti. Il est vécu par Messali comme par le comité central du M.T.L.D. comme un coup de force, une sorte de rébellion des activistes contre les politiques. De ce fait, dès novembre 1954, le capital relationnel accumulé tout au long des dernières décennies entre les directions politiques des partis nationalistes algérien et tunisien, semble être subitement rendu caduque ou pour le moins laissé comme en suspens.

représente les nationalistes marocains. De cette rencontre naît le Bureau du Maghreb arabe dont la mission sera de coordonner l'action politique des différents partis nationalistes maghrébins. La ligne radicale du recours à la lutte armée l'emporte dans la capitale égyptienne au point qu'une année plus tard, en janvier 1948, un « Comité de libération du Maghreb arabe » est créé sous l'égide de l'Emir Abdelkrim el Khattabi. La question centrale devient alors celle de la coordination des différents partis nationalistes du Maghreb pour un déclenchement concerté de la lutte armée sur l'ensemble de l'Afrique du Nord. Une Charte d'union des commandos nord-africains aurait même été signée le 29 mai 1954 au Caire faisant suite à un autre accord secret conclu en 1951 entre les représentants de l'Istiqlal, du Né-Destour et ceux du M.T.L.D.[7]

Nous nous devons de relever ici la coïncidence chronologique des faits entre la tenue du 1er congrès du Maghreb arabe et celle du congrès du M.T.L.D.[8] qui a lieu lui aussi en février 1947. À cette occasion, les débats laissent apparaître une divergence de vues sur les voies et moyens pour l'accession à l'indépendance. Une sorte de compromis est conclu débouchant sur la poursuite de la voie électorale sous le sigle du M.T.L.D. et la création d'une Organisation Spéciale (O.S.) chargée de préparer secrètement le parti et les militants au passage à la lutte armée.

Lorsque au début des années cinquante les dirigeants du P.P.A-M.T.L.D et surtout ceux de l'Organisation Spéciale cherchent des appuis logistiques et des filières pour le passage des armes, c'est auprès des insurgés du Sud tunisien qu'ils vont les trouver. Ce n'est d'ailleurs pas par hasard que les premiers maquisards algériens seront eux aussi appelés par les Français *fellaghas*.

Cette proximité entre les militants nationalistes des Aurès, des Nementchas, ceux de l'Oued Souf et les partisans de Salah Benyoucef dans le Sud tunisien n'est pas seulement sémantique ou géographique. Elle ne sera pas non plus sans conséquence dans les relations qui vien-

Alliances et mésalliances tunisiennes ou les relations Algéro-Tunisiennes vues par le FLN *1954-1958*[1]

DAHO DJERBAL*

TRADITION ÉTOILISTE ET CONVERGENCE DES POLITIQUES

Est-il nécessaire de rappeler ici que les relations algéro-tunisiennes ne datent pas des années cinquante et qu'une longue histoire commune lie les deux peuples dans un destin aux dimensions maghrébines. C'est justement ce qui rend si complexe la tentative de rendre compte d'événements circonscrits dans une période à la fois si courte et si riche en rebondissements.

Le fait de rappeler la longue histoire commune des deux peuples n'est pas une simple clause de style. En Tunisie même, les travaux du programme national de recherche (P.N.R.) commencés dès les années quatre-vingt et ceux de l'Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National montrent à quel point les faits qui relèvent du politique, du social, du culturel comme du religieux sont imbriqués ou marqués par la similitude, le parallélisme ou la convergence entre les mouvements nationaux des deux pays[2].

Les liens tissés depuis le début du siècle entre « Jeunes Tunisiens » et « Jeunes Algériens », entre Ulémas du mouvement islahiste contem-

* Université d'Alger, Faculté des sciences humaines et sociales. Département d'histoire.

Alliances et mésalliances tunisiennes ou les relations Algéro-Tunisiennes vues par le FLN *1954-1958*[1]

DAHO DJERBAL*

TRADITION ÉTOILISTE ET CONVERGENCE DES POLITIQUES

Est-il nécessaire de rappeler ici que les relations algéro-tunisiennes ne datent pas des années cinquante et qu'une longue histoire commune lie les deux peuples dans un destin aux dimensions maghrébines. C'est justement ce qui rend si complexe la tentative de rendre compte d'événements circonscrits dans une période à la fois si courte et si riche en rebondissements.

Le fait de rappeler la longue histoire commune des deux peuples n'est pas une simple clause de style. En Tunisie même, les travaux du programme national de recherche (P.N.R.) commencés dès les années quatre-vingt et ceux de l'Institut Supérieur d'Histoire du Mouvement National montrent à quel point les faits qui relèvent du politique, du social, du culturel comme du religieux sont imbriqués ou marqués par la similitude, le parallélisme ou la convergence entre les mouvements nationaux des deux pays[2].

Les liens tissés depuis le début du siècle entre « Jeunes Tunisiens » et « Jeunes Algériens », entre Ulémas du mouvement islahiste contem-

---

* Université d'Alger, Faculté des sciences humaines et sociales. Département d'histoire.

l'audace de parler d'aujourd'hui. A cette époque les dirigeants des partis nationalistes, ils ont entre 18 et 30 ans et les dirigeants de ce mouvement insurrectionnel, ils ont entre 17 et 30 ans et le plus jeune a 14 ans, sont semblables. Ils sont de la même génération mais la coupure est en quelque sorte une coupure idéologique politique sociale, à l'intérieur même du mouvement. Ils sont engagés dans un même mouvement fusse-t-il dans une forme modérée, comme il a été dit tout à l'heure pour les partis politiques, mais ils sont engagés dans le mouvement d'indépendance nationale à titre extrêmement divers, tandis qu'aujourd'hui, la coupure sociale que l'on observe au Maroc, en Algérie, en Tunisie, est une coupure cette fois historique. La coupure est dans cette histoire nationale, entre la reproduction de l'Etat national par les jeunes technocrates qui l'ont investi. Les uns et les autres sont en totale coupure avec si je puis dire les déclassés, ou ceux des classes populaires, qui sont les générations jeunes. Nous voyons que la coupure cette fois est une coupure, non seulement historique et sociale, mais c'est presque une coupure de blocs qui ont trente ans de différence dans cette histoire. L'autre grande différence, je me permets de dire cela, c'est qu'il n'y a plus de projet d'indépendance nationale. S'il n'y a plus de projet d'indépendance nationale, les activistes n'ont plus de projet d'activisme. C'est pourquoi je pense, cette coupure sociale, dont j'ai évoqué en quelque sorte les antécédents est encore beaucoup plus grave que la coupure qui opère dans la contradiction même de l'histoire du mouvement national.

derrière cet activisme plébéien, populaire. Ces résistants ont des liens avec les partis nationalistes. Il y a des éléments intermédiaires et parmi eux par exemple, les membres du parti nationaliste qui sont passés par les medersas, notamment par l'institut Ben Youssef de Marrakech, on voit par exemple le passé de Youssoufi. Les anciens medersiens faisaient le lien en quelque sorte avec l'activisme de ces bases révolutionnaires, liens également à travers les commerçants soussis que j'ai déjà évoqués.

Il y a des liens avec certains noyaux de la bourgeoisie, on pourrait presque dire que c'est le noyau intermédiaire avec ceux qui entrent dans les appareils de l'organisation de l'armement, de l'organisation militaire, et qui deviendront plus tard les services. L'exemple à la limite absolu de cette histoire, c'est le petit Basri. Il tire tous ces fils, jusqu'à vouloir en 1973 recommencer une insurrection sur les mêmes lieux. L'insurrection de 1973, c'est le dernier massacre de cette histoire de l'activisme révolutionnaire. J'évoque ce fait parce que cela retentit dans les débats politiques d'aujourd'hui. Je voudrais en arriver à la signification politique. Je vais me permettre le culot de la fixer par rapport aux références que l'on trouve à des formules religieuses, ou à un mouvement religieux.

La religion n'est pas la même. Invoquée par les activistes révolutionnaires, c'est pour faire serment pour s'engager au combat, d'autre part leur religion est une morale plébéienne, une morale égalitaire, du populisme. Leur soulèvement révolutionnaire pour la libération nationale, est, en même temps, une libération sociale, c'est la libération du peuple. Par contre, la référence religieuse chez les Ulémas, pour simplifier mais c'est très clair, est une référence de conservatisme social ; c'est une référence à la religion qui doit garantir l'Etat, qui doit garantir les structures sociales. Si on fait l'analyse du discours, l'analyse politique et l'analyse idéologique, on note en quelque sorte deux pôles : un pôle religieux de conservatisme social, et un pôle religieux d'activisme si l'on peut dire plébéien. Ce sera cette fois ma conclusion ultime avec

cadres de la formation militaire et qui accueillent notamment les déserteurs algériens pour former l'ALN. On retrouve des comptes rendus des déserteurs et on se rend compte qu'ils viennent de la même région que l'émigration, c'est à dire également de pays rifain, de l'Atlas, de Kabylie, de la région de Maghnia, de l'Aurès etc. Les mêmes régions donnent à la fois les soldats et les émigrants. C'est l'émigrant pour la première solde, et ce sont ces migrants qui sont à la base de l'activisme. Ils sont les actionnaires de cet activisme révolutionnaire. L'explication n'est pas seulement dans le fait du paradoxe berbère, il est dans cette réalité sociologique, fondée sur l'émigration.

Je vous donnerai les tableaux qui se trouvent dans la thèse sur l'armée de libération du Maroc. Sur les 85 dirigeants des partis nationalistes marocains plus de 90 % viennent de Fès, de Rabat-Salé, et de Tetouan. Quelques-uns de Marrakech et aucun ne vient de Casablanca. 2,6 % peut avoir une origine rurale, mais une origine rurale lointaine. Parmi ces bourgeois citadins, il faut bien les appeler par leur nom social, un tiers a fait des études supérieures, or, pour faire les études supérieures il faut avoir une certaine aisance familiale. Il n'y a pratiquement pas d'illettrés, ça n'existe pas. On peut donc observer la caractérisation sociale. Si l'on considère les caractéristiques sociales de 53 dirigeants des associations armées, elles nous donnent exactement la figure contraire : les 2/3 sont de Casablanca. Pour le mouvement national, Casablanca, ça n'existe pas, être d'une famille de Casablanca, c'est être prolétaire. Je rappele que le mouvement national marocain n'a jamais demandé le retour d'Abdelkrim. Par contre, les dirigeants activistes sont des gens de Casablanca, mais les deux tiers, viennent à plus de 90 % de pays montagnards, du pays des Berbères dont j'ai parlé. Ces migrants, ce prolétariat en formation est la base de cet activisme révolutionnaire. L'exemple marocain est probablement grossissant, mais l'exemple algérien n'est pas totalement divergent. J'ajouterai une chose qui a un sens pour mon dernier propos, ce sera la signification politique qu'il y a derrière ces faits d'histoire sociale, derrière cette migration,

et à d'autre bases sous la forme des migrants en ville et à Alger particulièrement. Au Maroc c'est encore beaucoup plus évident, plus clair, puisque les bases sont les territoires rifains. Les bases de l'insurrection répétée sont le Moyen Atlas, la base de l'organisation insurrectionnelle à peu près constante c'est le Tadla et le Tadla c'est une ville de résistance syndicaliste communiste, de mobilisation des paysans contre les colonisateurs. C'est eux qu'on retrouve dans les contacts pour l'armée de libération. D'autres bases et c'est encore dans le domaine de l'Atlas, avec les gens du Sous, c'est-à-dire les émigrants de la région d'Agadir et au-delà d'Agadir, les montagnes du Sous. Tous ceux-là se retrouvent dans les grandes villes, ils se retrouvent dans les mines de phosphates de Khouribga et à nouveau nous allons voir des mineurs des syndicalistes etc. qui se retrouvent à Casablanca. A Casablanca ce sont les militants de l'organisation secrète que ce soit le Croissant noir après la Main noire, que ce soit les derniers résistants, ces migrants montagnards, qui sont le prolétariat de Casablanca. Ceux qui les financent sont des commerçants Soussis, ils les réunissent, et parfois achètent les armes. Le plus connu est celui qui a donné son nom à un boulevard malgré tout, Houdami, mais il y en a bien d'autres. Le paradoxe, en quelque sorte, est que la base du projet révolutionnaire du Maghreb arabe est en pays berbère, et cela on peut le comprendre si on a suivi l'effort d'analyse que j'ai tenté de poser au début de mon intervention. Le projet révolutionnaire du Maghreb arabe n'a pas le même sens qu'aujourd'hui, mais le sens que j'ai rappelé tout à l'heure. Il se pose plus profondément un problème cette fois d'histoire sociale, parce que ces gens qui se sont retrouvés dans les camps d'entraînement de Khemisset, à Tétouan, à Nador, les gens qui se sont retrouvés à Berriane, Oudja et qui se sont retrouvés encore à Casablanca, ce sont les démobilisés de l'armée française. Il y a peut être un fond de 60 000 hommes de l'armée espagnole qui forment les instructeurs. Bouzar, l'instructeur du camp est un ancien capitaine de l'armée française. Ce sont donc les instructeurs de l'armée française qui sont devenus les

comme on l'a dit aux frontières. Ce fonctionnement militaire se trouve à la fois du côté d'Oujda et va se développer également du coté tunisien voire du côté libyen. On voit là une autre coupure, la coupure historique, qui elle, est beaucoup plus fondamentale que la coupure que l'on connaît tous, « intérieur-extérieur ». C'est la même, mais en quelque sorte c'est son explication la plus lointaine. Les choses se partagent et j'allais dire s'arrêtent en 1956, parce que les négociations de l'indépendance commencent alors que les activistes marocains veulent continuer la lutte armée et poursuivre les actions contre les postes français. Nadia Bouzar est en contact avec ce qu'on appelle le Croissant noir, c'est une autre organisation que l'organisation secrète de l'armée de libération, liée à l'armée de libération du Maghreb. Les divergences entre les leaders nationalistes y compris Ben Barka qui participe à l'établissement du gouvernement marocain et de la première assemblée marocaine, et les militants de l'activisme révolutionnaire, sont laissés en quelque sorte en suspens. Ces militants se retrouveront dans les deux armées de libération et ne mériteront pas le titre de « résistant », puisque le dahir arrête le mouvement à avril 1956, ce sont l'Armée de libération du Rif et l'Armée de libération du Sud Marocain, du Sahara comme on le dit également, dès 1957-1958. J'évoque cette histoire pour vous dire ce qu'a été la place de cet activisme révolutionnaire et comment il s'arrête historiquement. On peut se poser la question de comprendre les grandes actions historiques de cet activisme révolutionnaire, la question de l'histoire sociale, les analyses, les explications sociologiques que l'on peut donner à cette marginalisation, ou cette mise à l'écart.

La première question est ce que j'appelerai le paradoxe berbère. L'activisme de l'Armée de libération du Maghreb arabe répond à ce qu'on appele à l'époque le nationalisme arabe tel que Abdelkrim l'a toujours exprimé. Les principales bases de cet activisme révolutionnaire et ses principaux militants appartiennent au domaine berbère, partiellement en Algérie que ce soit en la forme en Kabylie ou l'Aurès

ment de l'ALN. Ces hommes entrent en relations dans ces contacts avec les Espagnols, parfois même avec les Français. Il y a donc l'émergence ici d'un lieu intermédiaire, entre la clandestinité de ceux qui préparent l'insurrection armée, les gens des partis nationalistes reconnus, et ceux qui fonctionnent à ciel ouvert à l'intérieur de cette liaison, de ces contacts entre les services. Il est très important de voir ce phénomène parce que c'est un phénomène terrible pour l'histoire aussi bien algérienne que marocaine, que ce point d'articulation. Ensuite les choses prennent de l'envergure, et les contacts deviennent plus grands.

La présence de Mohamed Boudiaf également est très fréquente. C'est la préparation commune de ce qu'on a appelé le mouvement du 20 août 1955. Les Marocains ont subi le démembrement de leurs bases clandestines aussi bien dans la zone orientale qu'à Casablanca. Ils ont accepté de reculer la date de la préparation de l'action armée et il fut convenu qu'il y aurait une action en Algérie le 20 août 1955 en commémoration de la destitution du sultan Mohamed V. Au Maroc également, les contacts sont plus intenses, plus fréquents dans les préparatifs de cette coordination insurrectionnelle. Elle a effectivement lieu dans l'élaboration de ce mouvement d'août 1955, pour partie au Maroc, et pour partie en Algérie. Au Maroc elle est également réprimée, démembrée, et donnera lieu à des récidives à la fin des années 1950. En Algérie elle a été passablement isolée, puisque après la mort de Didouche Mourad, c'est Zirout Youssef qui assure la préparation de ce mouvement. Mais c'est un événement préparé avec une certaine intensité, liée au partage des armes débarquées par deux cargos, armes distribuées à partir de la base de Nador, partagées entre les Algériens et les Marocains. C'est une histoire assez connue, donc je ne fais que l'évoquer, mais on observe que c'est probablement le moment où l'intensité des relations entre les activistes de l'insurrection armée est la plus élevée, en dehors si je peux dire du fonctionnement des dirigeants politiques, et en dehors même du fonctionnement militaire qui s'institue

ment de l'ALN. Ces hommes entrent en relations dans ces contacts avec les Espagnols, parfois même avec les Français. Il y a donc l'émergence ici d'un lieu intermédiaire, entre la clandestinité de ceux qui préparent l'insurrection armée, les gens des partis nationalistes reconnus, et ceux qui fonctionnent à ciel ouvert à l'intérieur de cette liaison, de ces contacts entre les services. Il est très important de voir ce phénomène parce que c'est un phénomène terrible pour l'histoire aussi bien algérienne que marocaine, que ce point d'articulation. Ensuite les choses prennent de l'envergure, et les contacts deviennent plus grands.

La présence de Mohamed Boudiaf également est très fréquente. C'est la préparation commune de ce qu'on a appelé le mouvement du 20 août 1955. Les Marocains ont subi le démembrement de leurs bases clandestines aussi bien dans la zone orientale qu'à Casablanca. Ils ont accepté de reculer la date de la préparation de l'action armée et il fut convenu qu'il y aurait une action en Algérie le 20 août 1955 en commémoration de la destitution du sultan Mohamed V. Au Maroc également, les contacts sont plus intenses, plus fréquents dans les préparatifs de cette coordination insurrectionnelle. Elle a effectivement lieu dans l'élaboration de ce mouvement d'août 1955, pour partie au Maroc, et pour partie en Algérie. Au Maroc elle est également réprimée, démembrée, et donnera lieu à des récidives à la fin des années 1950. En Algérie elle a été passablement isolée, puisque après la mort de Didouche Mourad, c'est Zirout Youssef qui assure la préparation de ce mouvement. Mais c'est un événement préparé avec une certaine intensité, liée au partage des armes débarquées par deux cargos, armes distribuées à partir de la base de Nador, partagées entre les Algériens et les Marocains. C'est une histoire assez connue, donc je ne fais que l'évoquer, mais on observe que c'est probablement le moment où l'intensité des relations entre les activistes de l'insurrection armée est la plus élevée, en dehors si je peux dire du fonctionnement des dirigeants politiques, et en dehors même du fonctionnement militaire qui s'institue

au Maroc. Dans ce que j'ai lu, et même dans la thèse que je viens de citer, il y a encore des points noirs ou des points obscurs. Ce sont les contacts, les rencontres, la mise en place de ces centres de formation militaire en 1952-1953, et c'est possible que Mohamed Boudiaf se soit rendu au Maroc. Des témoins le disent, pour la fin de 1952, et ensuite il est passé certainement, plusieurs fois en 1953. Ce dont on est sûr, c'est qu'il est allé au Maroc préparer ce qu'on appelle le plan d'insurrection pour la libération du Maghreb, en août-septembre 1954, et ensuite on le retrouvera au Maroc, à la fin de 1954, début 1955. On l'a vu ce matin, on connaît beaucoup mieux les réunions et les contacts de l'année 1955. Mais il y a encore beaucoup de zones d'ombre sur les contacts, les premières réunions, ne serait-ce que pour se souvenir des dates, des points de rencontre, il y là encore des choses à faire valoir. Un moment important dans cette histoire se déroule en octobre 1953, quand les événements s'accélèrent au Maroc, après la destitution du sultan. En octobre 1953, un accord est passé entre Abdelkader Al Fassi qui travaille pour le compte de l'Istiqlal, il est un peu le correspondant de l'Istiqlal, et le général Vallino qui est le haut commissaire espagnol. Cet accord stipule que les Espagnols tolèreront l'organisation des réfugiés qui viennent en zone nord, et tolèreront d'autre part la préparation armée. C'est ce qui a permis d'ouvrir le camp de formation de Khemisset et celui de Tetouan par la suite. C'est là où se déroule en quelque sorte la préparation. Si je cite cet accord avec le général Vallino, c'est parce que cela suppose l'accord des services espagnols. C'est le marocain Khatib qui assura les liens avec le général Vallino, et cela suppose que les Espagnols de temps à autre mettent le holà, arrêtent, limitent l'action des activistes, leur disant qu'ils ne peuvent pas déclencher par exemple des attaques contre des postes français à un moment ou à un autre. D'autre part, ce sont les débuts d'une liaison entre les services d'Etat et les services qui vont se former aussi bien derrière le mouvement national marocain que derrière le mouvement national algérien, c'est à dire les appareils des services de renseigne-

dans les cimetières, qui sont une autre forme de commémoration. L'autre forme de marginalisation est d'instituer en quelque sorte la référence à la révolution. La dernière phrase de cette thèse concerne le colloque d'aujourd'hui. « Il serait sans doute intéressant, dit l'auteur, d'envisager dans une perspective maghrébine, la question du rapport de la résistance armée aux mouvements politiques d'une part et d'autre part, du rapport au nationalisme, en ce qui concerne la transformation et la modernisation des structures politiques et culturelles des sociétés maghrébines. Cela permettrait, entre autres, de vérifier si les conclusions de cette thèse sont spécifiques au cas marocain ».

Je vais reprendre les conclusions de sa thèse : les dirigeants de la résistance n'avaient que peu de traits communs avec ceux des partis politiques nationalistes. Ce sont deux mondes distincts et depuis l'indépendance, l'un est à la place dominante et l'autre à la place minorée.

Ce matin nous avons eu le rappel de l'apparition de quelques groupes de formation militaire, dès 1948 parfois, dès 1949, mais très peu nombreux. L'accélération s'est produite à partir de 1951 et en 1952 l'on voit la naissance de groupes clandestins. Ils ne savent même pas qu'ils font partie de l'armée de libération du Maghreb mais ces groupes clandestins locaux préparent l'action armée et leurs noms sont mentionnés. Ils savent rarement qu'ils peuvent être en relation avec ce qui est représenté dans les communiqués comme l'Armée de libération du Maghreb dont la préparation, les contacts, permettent des échanges avec la Tunisie l'Algérie et le Maroc. Très souvent ces relations passent par Madrid, qui devient en quelque sorte le centre de contact ou de coordination et elle le restera. Ces contacts passent par la zone nord c'est-à-dire la zone du protectorat espagnol au Maroc, parce qu'il y a une sorte de tolérance des réfugiés de la zone française qui, je peux dire, contrebalance la politique française, en tolérant un certain nombre d'activités. On ne met pas directement les gens en prison, et on ne leur interdit pas toute activité. On les laisse même ouvrir certains centres de formation armée, c'est donc pourquoi les choses se passent

parenthèses, les partis nationalistes marocains n'ont jamais demandé le retour d'Abdelkrim qui est le grand oublié de l'histoire nationale du Maroc... Abdelkrim est donc semi clandestin au Caire et de ce fait, c'est lui qui a les contacts. C'est avec lui que se préparent les noyaux d'activistes. Ses instructeurs et ses militants vont traverser la Tunisie, parfois la Libye, l'Algérie et arriver au Maroc comme on l'a vu ce matin. La coupure est là, entre les activistes, l'activisme de la préparation de l'action clandestine et de l'insurrection, et le jeu politique de représentation politique. Cette coupure va se prolonger par l'entrée dans les négociations en Tunisie, et elle va se poursuivre à travers la crise du MTLD. On va le voir aussi de plus près avec les soubresauts de l'action au Maroc. Je me fonde, pour mes propos, sur une thèse de Mohamed Zadire qui vient d'être soutenue à Nice, sous la direction de Guy Pervillé, et dont l'intitulé est : « Résistance et Armée de Libération au Maroc 1941-1956, de l'action politique à la lutte armée, rupture ou continuité ». Mohamed Zadire, parce qu'il a fait partie de cette institution, a disposé des fiches des demandeurs de carte de résistant ; il a eu d'autre part accès aux rapports d'activité centralisés par cette institution qui gère en quelque sorte les résistants. Sur la base du dahir du 15 janvier 1973, le titre de résistant est attribué pour les actions armées qui se sont déroulées du 15 août 1953, c'est-à-dire les jours qui précèdent la déposition du sultan, jusqu'à avril 1956. C'est ce qui est appelé officiellement par le Dahir « La révolution du Roi et du Peuple ». Je trouve absolument sublime cette définition « La révolution du Roi et du Peuple ». On voit comment le mot révolutionnaire peut être institutionnalisé sous l'égide de deux majuscules mais qui n'en couvrent qu'une dans le cas de Maroc, le roi et le peuple. Vous voyez là, en quelque sorte, la marginalisation symbolique de ce qu'a été la résistance, puisqu'on leur a confié une fonction de résistant. Dans tous les pays du Maghreb au moins, et ailleurs aussi, quand ils ne sont pas marginalisés, éliminés, ils n'ont plus de place que dans cette institution symbolique, celle à laquelle on fait appel pour les commémorations tous les ans ou

sont les vainqueurs de l'histoire du mouvement national et de l'établissement des Etats nationaux.

C'est cette grave question, qu'il est possible de se poser maintenant, et c'est pour quoi il faut le faire, qu'il faut s'interroger. Pourquoi cette marginalisation et cet échec, cette déperdition du mouvement révolutionnaire maghrébin. Je vais très rapidement reprendre quelques points et après j'exposerai des hypothèses pour essayer de comprendre.

Nous avons déjà évoqué ce matin le point de départ : le congrès du Maghreb arabe en février 1947 au Caire. Il était prévu la constitution du bureau du Maghreb arabe et le projet de l'antenne de ce bureau à Damas. Je ne crois pas que tout cela ait jamais existé. La seule décision fut l'envoi des 8 volontaires, en préparation militaire à l'Académie royale militaire de Bagdad. Comme l'a fait remarquer Mansour Boudaoud, la seule académie existante était celle du Maroc. Cette décision a eu des conséquences puisqu'ils vont devenir les animateurs des groupes de formation militaire et des groupes clandestins, et de la préparation des actions armées. Dès cette époque la coupure existe. Pourquoi? Parce que le bureau de Maghreb arabe c'est la représentation, ce sont les délégués, ce sont les représentants des partis politiques nationalistes. Le Maroc est représenté par quatre partis nationalistes, deux de la zone nord, deux de la zone sud, ce qui donne des cas de figures tout à fait différents de l'Algérie et de la Tunisie puisque ce sont le MTLD-PPA et le parti Néo-Destour qui en sont les uniques représentants. Ces délégués sont en quelque sorte les officiels, mais ces délégués ne font que s'annuler. *Ils s'annulent politiquement, pourquoi ?* Parce que quatre partis nationalistes marocains ça *s'annule forcément,* et parce que la division est à l'intérieur du Destour et du MTLD qui entrent en crise. C'est pourquoi les personnalités qui agissent au Caire, sont au premier rang, ou au second rang. On place des délégués, donc des politiques dans une action de représentation politique, mais l'efficacité est annulée. C'est ce qui explique la place plus grande prise par les activistes proprement dits, qui sont en contact avec Abdelkrim. Entre

dans le combat du projet d'une armée, d'une insurrection, derrière une armée de libération du Maghreb arabe. Mon sujet, précisément, est l'échec de ce projet de libération révolutionnaire, ou d'armée de libération du Maghreb. Ce projet initial sera suivi par ce qu'on pourrait appeler l'échec du Maghreb des peuples. L'échec du Maghreb des peuples se consomme dans les tentatives d'union du Maghreb de 1957-1958 et après 1958, puis par la caricature d'aujourd'hui, un comité consultatif qui se réunit épisodiquement. Et depuis, il n'y a plus de Maghreb des peuples. Je ne développerai pas cet aspect, je vous réfère, pour l'explication de l'échec du Maghreb des peuples, à mon analyse faite à l'occasion du colloque Ben Barka que nous avons tenu à l'institut Maghreb Europe. Je vous renvoie d'autre part à un article sur les mouvements sociaux et les mouvements associatifs du Maghreb. Il n'est pas la peine de dire l'importance de ce type de contribution à l'analyse des émeutes et de la répression et qui sont totalement d'actualité.

Le sujet de la marginalisation est une question très grave. Marginalisation veut dire finalement mise à l'écart, cela veut dire défaite. C'est une question douloureuse et je vais le dire d'une manière brutale : les vaincus sont les partisans de l'insurrection révolutionnaire, ce sont les activistes du mouvement révolutionnaire. Pourquoi sont-ils les vaincus ? Ils sont les vaincus parce qu'ils ont le plus grand nombre de morts, ils sont les vaincus parce qu'ils ont été éliminés y compris par l'assassinat. Ils sont les vaincus parce qu'ils ont été éliminés politiquement. Ils sont les vaincus parce que la constitution des directions des Etats et des appareils des Etats indépendants les ont peu à peu considérés comme la marge, comme des minoritaires. Ils ont continué parfois à être des clandestins, à être des opposants, ils ont même continué à mener des projets insurrectionnels, mais à nouveau ils sont vaincus. Ce sont bien les vaincus de cette histoire que je vais évoquer ici. On peut le voir à travers l'isolement de M. Boudiaf, isolement de son itinéraire politique et l'isolement qui est derrière son assassinat. C'est le renvoi, en quelque sorte vers l'extérieur, de ceux qui sont la majorité et qui

Le projet de l'Armée de Libération du Maghreb et ses effets. De l'activisme premier à sa marginalisation

RENÉ GALLISSOT*

Le sujet que Daho Djerbal a soulevé ce matin et qui a été plusieurs fois abordé dans la matinée, c'est la question du Maghreb, de l'unité du Maghreb arabe, puisque c'est la formule employée depuis 1947. Je voudrais simplement insister sur le fait que, quand on dit Maghreb arabe en 1947, ça n'a pas du tout le même sens qu'aujourd'hui. Le Maghreb arabe entre dans le cadre de la constitution de la Ligue arabe, cela a été bien rappelé ce matin, c'est une référence arabe, si l'on peut dire, une référence à la question palestinienne. Il est très important de l'inscrire dans cette conjoncture de 1947 qui voit la création de l'Etat d'Israël au mépris de la résolution du partage de 1947 qui, je le rappele, crée un Etat palestinien à côté d'un Etat Juif. Mais la Ligue arabe a refusé ce projet et, bien sûr, elle l'a encore plus refusé lorsqu'un Etat d'Israël expansionniste s'est substitué à ce qui était un projet de partage.

Cela explique pourquoi, dans les textes, on peut voir la superposition entre l'Armée de Libération du Maghreb et l'appel à la résistance nord africaine, l'appel aux peuples nord africains. C'est comme si les militants étaient encore les militants nord africains et qu'ils s'engageaient

* Institut Magreb-Europe, Université de paris VIII.

AUTOUR DU PROJET :
LA QUESTION DES VOIES ET MOYENS
DE LA LIBÉRATION DU MAGHREB

sur cet épisode mal connu de l'histoire récente de notre région. Pour cela, il a été fait appel aux historiens mais aussi aux témoins et acteurs de cette période afin de ramener à la mémoire tous ceux qui auront consacré leur vie militante à l'unité du Maghreb. Vu l'importance des contributions de ces historiens, témoins et acteurs de cet événement fondateur et pourtant méconnu de notre histoire, la Fondation Boudiaf a décidé d'en publier les actes*.

NOTES

1. Association des étudiants musulmans d'Afrique du Nord créée en 1919 à Alger et l'Association des étudiants musulmans nord-africains en France fondée en 1927 à Paris.
2. Témoignage d'Ahmed Mahsas représentant politico-militaire du FLN auprès des autorités tunisiennes en 1955-1956
3. Ali Haroun. La 7e wilaya. La guerre du F.L.N. en France. Paris. Le Seuil. 1986. p. 42
* Les témoins et acteurs de même que les historiens et autres intervenants à cette rencontre sont seuls responsables de leurs propos.

Dés 1954, et même avant cette date, se cristallise sur le terrain de l'action armée une alliance de fait qui matérialise très probablement une sorte d'union des commandos nord-africains dont le principe aurait été acquis le 29 mai 1954 au Caire.

Des faits et témoignages viennent à l'appui de cette hypothèse, mais ils restent rares et partiels sinon laconiques. Nous savons par exemple que, dans le Sud tunisien, dès les premiers mois de l'insurrection, l'ALN algérienne apporte son aide à Lazhar Cheriet et à Tahar Lassoued pour l'organisation des unités de l'ALT (armée de libération de Tunisie)[2]. De leur côté, les partisans de Salah Ben Youssef apportent une aide directe aux djounouds algériens.

Tout porte à croire que l'alliance des unités de l'ALN et de l'ALT sur le terrain s'inscrit dans le cadre d'un projet de soulèvement général de l'Afrique du Nord.

Pour confirmer cette hypothèse, à l'Ouest, la 5e zone (Oranie) dirigée par Larbi BenM'hidi installe ses quartiers à Nador, dans le Rif marocain, où se trouvent les camps de l'armée de libération du Maroc (ALM). Un des chefs de cette armée, le colonel Ben Miloudi remet gracieusement aux combattants algériens le camp de Khemisset[3]. C'est là que sont repris par Aberkane et le Docteur Khatib les projets d'une armée de libération de l'Afrique du Nord.

À l'idéal d'une unité du Maghreb fondée sur une alliance politique des partis Istiqlal, M.T.L.D. et Néo-Destour, se substitue sur le terrain une autre unité maghrébine reposant sur la conjonction des armées de libération des trois pays du Maghreb : ALM, ALN, ALT.

Face à la solution politique négociée prévoyant une indépendance par étapes d'un Maghreb tourné vers l'Occident, se dresse alors l'alternative d'une indépendance conquise par les armes avec pour objectif, l'édification d'un Maghreb arabe intimement lié au Machrek.

C'est donc autour de ces tentatives d'union des forces politiques pour la libération du Maghreb que la Fondation Boudiaf a organisé au printemps 2001 une rencontre d'étude, de réflexion et de témoignages

rencontre naît le Bureau du Maghreb arabe dont la mission sera de coordonner l'action politique des différents partis nationalistes maghrébins.

La ligne radicale du recours à la lutte armée l'emporte dans la capitale égyptienne au point qu'une année plus tard, en janvier 1948, un « Comité de libération du Maghreb arabe » est créé sous l'égide de l'Emir Abdelkrim el Khattabi. La question centrale devient alors celle de la coordination des différents partis nationalistes du Maghreb pour un déclenchement concerté de la lutte armée sur l'ensemble de l'Afrique du Nord. Une Charte d'union des commandos nord-africains aurait même été signée le 29 mai 1954 au Caire, faisant suite à un autre accord secret conclu en 1951 entre les représentants de l'Istiqlal, du Néo-Destour et ceux du M.T.L.D.

Lorsque, au début des années cinquante, les dirigeants du P.P.A-M.T.L.D, et surtout ceux de l'Organisation Spéciale, cherchent des appuis logistiques et des filières pour le passage des armes, c'est auprès des insurgés du Sud tunisien qu'ils vont les trouver. Ce n'est d'ailleurs pas par hasard que les premiers maquisards algériens seront eux aussi appelés par les Français *fellaghas*.

Cette proximité entre les militants nationalistes des Aurès, des Nementchas, ceux de l'Oued Souf et les partisans de Salah Benyoucef dans le Sud tunisien n'est pas seulement sémantique ou géographique.

En 1951, une autre conjonction s'établit lorsque, pour les soustraire aux arrestations, la direction du M.T.L.D envoie les responsables de l'O.S. au Caire où ils constituent la première Délégation extérieure du parti au Machrek. On y retrouve Aït Ahmed, Mohammed Khider et Ahmed Ben Bella.

Ainsi, les représentants de la voie insurrectionnelle vont vivre des années cruciales dans la proximité immédiate du comité de libération du Maghreb arabe. C'est là que, par l'intermédiaire d'Ahmed Ben Bella en particulier, s'établissent des alliances et se met en place un axe Maghreb-Machrek dont le pivot semble se trouver dans la capitale égyptienne.

rencontre naît le Bureau du Maghreb arabe dont la mission sera de coordonner l'action politique des différents partis nationalistes maghrébins.

La ligne radicale du recours à la lutte armée l'emporte dans la capitale égyptienne au point qu'une année plus tard, en janvier 1948, un « Comité de libération du Maghreb arabe » est créé sous l'égide de l'Emir Abdelkrim el Khattabi. La question centrale devient alors celle de la coordination des différents partis nationalistes du Maghreb pour un déclenchement concerté de la lutte armée sur l'ensemble de l'Afrique du Nord. Une Charte d'union des commandos nord-africains aurait même été signée le 29 mai 1954 au Caire, faisant suite à un autre accord secret conclu en 1951 entre les représentants de l'Istiqlal, du Néo-Destour et ceux du M.T.L.D.

Lorsque, au début des années cinquante, les dirigeants du P.P.A-M.T.L.D, et surtout ceux de l'Organisation Spéciale, cherchent des appuis logistiques et des filières pour le passage des armes, c'est auprès des insurgés du Sud tunisien qu'ils vont les trouver. Ce n'est d'ailleurs pas par hasard que les premiers maquisards algériens seront eux aussi appelés par les Français *fellaghas*.

Cette proximité entre les militants nationalistes des Aurès, des Nementchas, ceux de l'Oued Souf et les partisans de Salah Benyoucef dans le Sud tunisien n'est pas seulement sémantique ou géographique.

En 1951, une autre conjonction s'établit lorsque, pour les soustraire aux arrestations, la direction du M.T.L.D envoie les responsables de l'O.S. au Caire où ils constituent la première Délégation extérieure du parti au Machrek. On y retrouve Aït Ahmed, Mohammed Khider et Ahmed Ben Bella.

Ainsi, les représentants de la voie insurrectionnelle vont vivre des années cruciales dans la proximité immédiate du comité de libération du Maghreb arabe. C'est là que, par l'intermédiaire d'Ahmed Ben Bella en particulier, s'établissent des alliances et se met en place un axe Maghreb-Machrek dont le pivot semble se trouver dans la capitale égyptienne.

rencontre naît le Bureau du Maghreb arabe dont la mission sera de coordonner l'action politique des différents partis nationalistes maghrébins.

La ligne radicale du recours à la lutte armée l'emporte dans la capitale égyptienne au point qu'une année plus tard, en janvier 1948, un « Comité de libération du Maghreb arabe » est créé sous l'égide de l'Emir Abdelkrim el Khattabi. La question centrale devient alors celle de la coordination des différents partis nationalistes du Maghreb pour un déclenchement concerté de la lutte armée sur l'ensemble de l'Afrique du Nord. Une Charte d'union des commandos nord-africains aurait même été signée le 29 mai 1954 au Caire, faisant suite à un autre accord secret conclu en 1951 entre les représentants de l'Istiqlal, du Néo-Destour et ceux du M.T.L.D.

Lorsque, au début des années cinquante, les dirigeants du P.P.A-M.T.L.D, et surtout ceux de l'Organisation Spéciale, cherchent des appuis logistiques et des filières pour le passage des armes, c'est auprès des insurgés du Sud tunisien qu'ils vont les trouver. Ce n'est d'ailleurs pas par hasard que les premiers maquisards algériens seront eux aussi appelés par les Français *fellaghas*.

Cette proximité entre les militants nationalistes des Aurès, des Nementchas, ceux de l'Oued Souf et les partisans de Salah Benyoucef dans le Sud tunisien n'est pas seulement sémantique ou géographique.

En 1951, une autre conjonction s'établit lorsque, pour les soustraire aux arrestations, la direction du M.T.L.D envoie les responsables de l'O.S. au Caire où ils constituent la première Délégation extérieure du parti au Machrek. On y retrouve Aït Ahmed, Mohammed Khider et Ahmed Ben Bella.

Ainsi, les représentants de la voie insurrectionnelle vont vivre des années cruciales dans la proximité immédiate du comité de libération du Maghreb arabe. C'est là que, par l'intermédiaire d'Ahmed Ben Bella en particulier, s'établissent des alliances et se met en place un axe Maghreb-Machrek dont le pivot semble se trouver dans la capitale égyptienne.

Présentation

DAHO DJERBAL*

Les liens tissés depuis le début du siècle entre nationalistes marocains, nationalistes destouriens et nationalistes étoilistes d'un côté, et entre Ulémas du mouvement islahiste contemporain de l'autre, ne sont pas sans laisser des traces dans les mémoires. Il en va de même pour les étudiants de l'A.E.M.A.N[1] et de l'A.E.M.N.A.F et pour les militants des organisations syndicales plus ou moins proches des formations marxistes qui ont mené des luttes communes et solidaires. Mais qu'en est-il des liens tissés entre les partisans de la lutte armée pour la libération du Maghreb ?

Nous savons que, tout au long des années trente, Mohammed Hassan El Ouazzani, Ahmed Balafrej, Mohammed et Allal El Fassi, Chedly Kheyrallah, Ahmed Ben Miled et Habib Bourguiba rencontrent les dirigeants de l'Etoile Nord Africaine et se concertent avec eux sur la ligne générale du mouvement vis à vis du pouvoir politique colonial.

Nous savons aussi qu'après la deuxième guerre mondiale, les nationalistes marocains, algériens et tunisiens se retrouvent au Caire où se tient le 1er congrès du Maghreb arabe (15 au 22 février 1947). De cette

---

* Université d'Alger, Faculté des sciences humaines et sociales. Département d'histoire.

INTÉRIEUR / EXTÉRIEUR, INTELLECTUELS / ACTIVISTES LA QUESTION DE LA DIRECTION DE LA LUTTE ARMÉE

LA COORDINATION DES LUTTES SUR LE TERRAIN ACTEURS ET REPRÉSENTATIONS

SOMMAIRE

AUTOUR DU PROJET :
LA QUESTION DES VOIES ET MOYENS
DE LA LIBERATION DU MAGHREB

MODERES ET RADICAUX
POUR LA LIBERATION DU MAGHREB



L'Armée de Libération du Maghreb 1948 — 1955

Actes de la Rencontre
de la Fondation Mohamed Boudiaf
Alger, 11 - 12 mai 2001

Sous la direction de Daho Djerbal

Actes de la Rencontre de la Fondation Mohamed Boudiaf

Actes autour des tentatives de coordination des armées de libération du Maghreb

Alger 11 - 12 mai 2001

Sous la direction de Daho Djerbal

Transcription et traduction du français à l'arabe
Afaf ZEKKOUR

Traduction du français à l'arabe
Lahcène AÏSSANI

Traduction du tamazight au français
Kahina NAÏT ABDELLAH

Sécrétariat de l'édition
Maquette - couverture (français)
Zahia Tazairt-Yebbal

Sécrétariat de l'édition (arabe)
Afaf Zekkour

Maquette et Mise en page (arabe)
Abdelkader Smati

Dépôt légal : 530 – 2004
ISBN : 9947-0-0358-2

L'Armée de Libération du Maghreb
1948 — 1955



1948

L'ARMÉE DE LIBÉRATION DU MAGHREB 1948 — 1955

Actes de la Rencontre
de la Fondation Mohamed Boudiaf
Alger, 11 - 12 mai 2001

Sous la direction de Daho Djerbal



FONDATION MOHAMED BOUDIAF

1955